

الزَّمان الدَّلالي

دراسة لغوية لمفهوم الزمان والفاظه في الثقافة العربية

تأليف

د. كريم زكي حسام الدين

الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة



000185722

مكتبة مبارك العامة

مكتبة جامعة القاهرة
 مكتبة جامعة القاهرة
 مكتبة جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا
 وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِجَابِ ﴾

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) «يونس: ٥»

الكتاب : الزمان الدلالي

المؤلف : الدكتور زكي حسام الدين

رقم الإيداع : ٣٤٦١

تاريخ النشر : ٢٠٠٢

التوثيق الدولي : I. S. B. N. 977 - 215 - 645 - 8

حقوق الطبع والنشر والانتداب محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من الناشر
 الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
 شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والطابع : ١٢ شارع نوبار لا طوعلى (القاهرة)

ت ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
 والمعرض الدائم ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

الإهداء:

إلى السلف الذين أحيوا الوقت فصلاح بهم زمانهم
إلى الخلف الذين قتلوا الوقت ففسد بنا زماننا
إلى أولئك مع كل الحب وإلى هؤلاء مع بعض العتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

إن اللغة وسيلة الإنسان لإدراك ما حوله من ظواهر الكون، ومن هذه الظواهر حركة الزمان التي يستشعرها ويعبر عنها بألفاظ اللغة، فيعيش تجارب الحاضر، ويسترجع ذكريات الماضي، ويستشرف آمال المستقبل، وهو مع استعماله اللغة يلجأ إلى المجاز يصور به إحساسه بالزمان، فيجعل الوقت شيئاً إن لم تقطعه قطعك، ويجعل من العمر قطاراً في رحلة الحياة، ويصف أوليات سنوات عمره، بأنها ربيع العمر، وأخرياتها بأنها خريف العمر.

وإذا كان هذا هو إحساس الإنسان بالزمان فهو لديه العمر مقسم على أيام وشهور وسنين، تبدأ رحلته معه يوم دخوله إلى هذه الحياة وتنتهي يوم خروجه منها، وهو في خلال هذه الرحلة يخاف من الزمان الذي يترك بصماته في تجاعيد الوجه وشيب الشعر وهذا يعني الاقتراب من النهاية.

والزمان لدى الإنسان في المجتمعات الصناعية يعني المال مقسم إلى جنهات وقروش وتعبر الإنجليزية عن هذا المفهوم بمثل هذه العبارات : To Spend Time

To Spend money , To Pay a visit , To pay money, The Watch gains or Loses

الساعة تربح أو تخسر أى تقدم أو تؤخر.

وإذا كان الإنسان ينجح في استعادة ما يسرق منه من نقود، فإنه لن ينجح في استعادة ما يسرق من الوقت، إننا متهمون - نحن أصحاب الثقافة العربية - بإهدار

الوقت وتضييعه، وإذا صدق هذا الاتهام علينا في حياتنا المعاصرة الآن فإن لغتنا العربية التي جرت على ألسنة الآباء والأجداد تقضى هذا الاتهام.

لقد نشرت هذه الدراسة منذ أكثر من عشر سنوات، ونعود لنشرها بعد نقاد الطبيعة الأولى التي لقيت قبولا واستحسانا لدى المتخصصين وغير المتخصصين، وقد أضفنا إليها فصلا رابعا في الباب الثاني بعنوان : دلالة الزمان والسياقات اللغوية وأرجو أن تكون هذه الدراسة في طبيعتها الثانية تذكيرا بقيمة الوقت في حياتنا، فنعود إلى سيرة السلف الذين أحيوا الوقت فصلاح بهم زمانهم.

وحسبى بهذا العمل أننى قد بذلت جهداً متواضعاً لخدمة لغة القرآن الكريم، فأما الزيد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض،
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. كريم حسام الدين

أستاذ الدراسات اللسانية كلية الآداب

جامعة الزقازيق - فرع بنها

مكتبة المقطم في ٢١ جمادى ١٤٢١

١١ أغسطس ٢٠٠١

من ب ٨٣ المقطم ١١٥٧١ - القاهرة

مقدمة الطبعة الأولى

لقد شغلت ظاهرة الزمان الإنسان منذ أن دب ودرج في هذا الكون، لأنه في الزمان يعلن يوم مجيئه إلى الحياة، وبالزمان يسجل يوم رحيله عنها، وبين الميلاد والموت يعيش مراحل حياته مع الزمان لينتقل من طور إلى طور جسما وعقلا، ويحقق ما يريد وما يهدف إليه، وينظم ما يقوم به من عمل ونشاط من خلال شهادات تحمل توقيع الزمان، مثل شهادة الميلاد وشهادة الوفاة والشهادات الدراسية والعلمية ووثائق السفر وتحقيق الشخصية.

وإذا كان هذا هو شأن الإنسان مع الزمان، فإنه قد يجد نفسه أحيانا في صراع معه، ويتمثل هذا الصراع في كيفية السيطرة عليه حتى لا يصبح عبداً له، خاصة عندما يكتشف ذاته المتمثلة في قدرة أو موهبة علمية أو فنية أو أدبية، ومن ثم يحتاج إلى وقت لتجويدها وتمثيلها للآخرين، ويتطلب هذا الوقت قدرة على التنظيم، أو بالأحرى القدرة على السيطرة عليه، وإذا نجح الإنسان في ذلك، فإنه ستولد لديه - أو قل سيكسبه الزمان - سمات خلقية كالصبر والمثابرة، والصمود والتحمل، ومن هنا يصبح الزمان عنصراً مكملًا للإنسان ويتحول من سيف قاطع إلى صديق نافع.

لقد كان الزمان سيد الإنسان، فأصبح الإنسان سيد الزمان بفضل عقله الذي مكّنه من إنجاز كثير من الاختراعات التي حققت له هذه السيادة، ولهذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن الزمان والإنسان هما اللذان يصنعان كل حضارة، وإذا كان الزمان وعاء للأحداث - كما ستبين هذه الدراسة - فإن قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل

أو الحدث الذى يتم فيه، وإذا كان هذا الحدث أو الفعل من صنع الإنسان فإن القيمة الجوهرية له تتمثل فيما فعله فى الماضى، وما يفعله فى الحاضر، وما سيفعله فى المستقبل.

لقد كانت محاولات الإنسان على مر العصور تهدف إلى اختزال الزمان والمكان والسيطرة عليهما منذ أن اكتشفت النار، ثم انتقل إلى عصر البخار، ومنه إلى عصر الكهرباء حتى وصل إلى عصر اختراق الفضاء واكتشاف الذرة، لقد نجح الإنسان بالتقنية الحديثة فى تضيق شقة الزمان وتوسيع رقعة المكان، أى الوصول إلى أقصى رقعة مكانية فى أقصر مدة زمنية، وكان لهذا النجاح انعكاسات ملموسة فى حياة الأفراد والجماعات مثل ظهور اتجاه الهجرات الفردية والجماعية لطلب العلم والرزق، وسرعة انتشار الأفكار والآراء السياسية والاجتماعية والدينية وأنواع الملابس والأزياء وأشكال وأنماط المسكن والأثاث، وغير ذلك من الظواهر الإنسانية التى تعتبر من نتائج سيطرة الإنسان وقدرته على اختزال الزمان بواسطة وسائل الاتصال والمواصلات المختلفة.

وإذا كان الفضل يرجع فى ذلك إلى الآلة الغربية التى تجسد لنا مدى إحساس الإنسان الغربى المعاصر بالزمان وشدة وعيه به، فيجب ألا ننسى فى غمرة هذا الانبهار زمان الجواد العربى الأصل الذى كان يطوى الأرض طياً، هذا الجواد الذى لا يزال القرب يحتفى به لسرعته وجماله معاً، وإذا كنا نستعمل هذا الرمز هنا، فإننا نريد أن نذكر الخلف الذين أضاعوا سنة السلف.

وإذا كانت قيمة الزمان - كما سبق أن أشرنا - ترتبط بقيمة الفعل الذى أنجز وتم فيه، فقد كان وعى أجدادنا المسلمين بالزمان فعلاً، وكان زمانهم أسرع من زمان غيرهم فى ذلك الوقت، ولنتنظر مثلاً إلى الزمان الخاطف الذى استغرقته الفتوحات الإسلامية، والزمان المتمهل الذى استغرقته الأمبراطورية الرومانية فى توسيع رقعتها، لقد كان هذا ترجمة لحياة الجماعة العربية الأولى التى اعتمدت على الحركة، واحتفلت بالسرعة التى تختزل الزمان، فوضعت لحركة الإنسان ألفاظاً

مثل: المشى، والسعى، والرَّمْل، والهرولة، والعدو، ووضعت لحركة الحيوان ألفاظاً مثل: الخُبَّة، والتقريب، والإرخاء، والعدو، ووضعت لسوابق الخيل فى حلبه المنيق ألفاظاً مثل: المُجَلَّى للأول والمُصَلَّى لثانى سعى بذلك لأن هامته عند صلا السابق وهى مؤخرة الفخذ، والمُصَلَّى لثالث، والتالى للرابع.. وقد سجلت لنا مصادر اللغة والأدب إعجاب الجماعة العربية الأولى بالعذائين من الصعاليك وغيرهم ممن كانوا يمتازون بسرعة العدو فضربوا بهم الأمثال، فقالوا أعدى من الشنفري، وأعدى من السليك، كما ضرب المثل بحذيفة بن بدر فى سرعة السير، ومن ذلك قول قيس بن الخطيم قائلاً :

هممنا بالإقامة ثم سرنا كسير خذيفة الخير بن بدر
لقد كان زمان العرب المسلمين أسرع من زمان غيرهم أيضاً عندما اخترعوا علامة الصفر، فاخترلوا العمليات الحسابية التى كانت تستغرق من الوقت وتستهلك من الورق الكثير، وتعاون الصفر العربى الذى شغل الفجوة أو الفراغ^(١) مع الأرقام الهندية^(٢) التى تبنّاها العرب المسلمون ونقلها عنهم الأوروبيون واستعملوها بدلاً من الأرقام الرومانية I, II, III, IV, كما كان اكتشاف الترقيم العدى من أهم الإنجازات العلمية التى عرفها الأوروبيون عندما دخل لفظ الصفر العربى إلى اللغات الأوروبية فى القرن الثانى عشر الميلادى بالشكل اللاتينى ziphinum بمعنى الفجوة أو الفراغ وذلك قيل أن يأخذ شكله المعروف لدينا zero ويقوم بدوره فى العمليات الحسابية فى مختلف العلوم.

لقد كانت فكرة الصفر وكيفية استعماله من أعظم الهدايا التى قدمها العرب المسلمون للأوروبيين على يد الخوارزمى فاخترلوا بها الزمان، كما كانت الساعة آلة قياس الوقت ثانية هذه الهدايا، وتحدثنا المصادر التاريخية أن هارون الرشيد قد

(١) يعنى لفظ الصفر فى العربية الفراغ ومن ذلك قولهم صفر اليدين أى فارغ اليدين.

(٢) نمنى بذلك أننا إذا كتبنا الرقمين ٢٣ بهذه الدلالة العددية وأقبلنا بعلامة الصفر لتسد الفراغ بين الرقمين فسيصبح لنا رقم بدلالة جديدة هى ٢٠٣.

أهدى الإمبراطور الروماني شرمان أول ساعة مائية دقاقة يعرفها الأوربيون بقياس الوقت، كما تسجل لنا المصادر التاريخية أن الملك الأشرف قد أهدى أول ساعة ميكانيكية للإمبراطور الروماني هرديك الثاني في القرن الثالث عشر الميلادي.

وإذا كانت الجماعة العربية قد احتفلت بالزمان واهتمت به في حركتها الدائبة في صحراء الجزيرة العربية الواسعة، فإن التشريع الإسلامي قد جعل الزمان من أهم القيم الإسلامية التي حفظها ورعاها وأدامها العرب المسلمون وهم يرتلون كتاب ربهم الذي أقسم فيه سبحانه بالزمان في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالْفَجْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى *﴾ (الضحى: ١)، ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *﴾ (الشمس: ١)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى *﴾ (الليل: ١)، ولعل ارتباط - الصلاة عماد التشريع الإسلامي - ارتباطاً وثيقاً بالوقت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٢)، وفي قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ (مود: ١١٤) أكبر دليل على قيمة الزمان في حياة المسلم، ولهذا لم يكن غريباً أن يتحدث فقهاء المسلمين عما سموه «بعمارة الأوقات بما هو نافع»، وقالوا «إن علامة المقت إضاعة الوقت»، الواجبات أكثر من الأوقات. كما قالوا: «زمانك عمرك»، وقد ترجم ذلك الشاعر المسلم قائلاً:

إذا مرَّ بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري وهكذا تحولت قيمة الوقت عند العرب المسلمين من مجرد مبدأ إيماني إلى سلوك عملي وفعل، وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرف تعبير «قتل الوقت» To Kill the time، فإن اللغة العربية تعرف تعبير إحياء الوقت في مثل قولهم: إحياء الليل، وإحياء الذكرى وإحياء الحفل.

إن ظاهرة الزمان - كما سبق أن أشرنا - من أهم الظواهر التي شغلت عقل الإنسان قديماً وحديثاً، وهي ظاهرة اشتجرت معها العلوم العملية مثل الرياضة، والفلك، والطبيعة، والعلوم النظرية مثل: الفلسفة وعلوم النفس والاجتماع وعلوم اللغة والأدب، ولا غرابة في ذلك، لأن الزمان من أهم الظواهر الحياتية التصاقاً بالخبرة

الإنسانية على المستوى المادي الخارجي في الكون، والمستوى المعنوي الداخلي في فكر الإنسان ووجدانه.

لقد ساهمت بعض الدراسات الأدبية الحديثة في دراسة ظاهرة الزمان في الأدب العربي، كما ساهمت بعض الدراسات اللغوية والنحوية في دراسة ظاهرة الزمان في اللغة العربية من الناحيتين الصرفية والنحوية، إلا أن هذه الدراسات لم تتجه بنظرها إلى دراسة الزمان من الناحية الدلالية ومن هنا كان الدافع لتقديم هذه الدراسة إلى القارئ المثقف والدارس المتخصص.

وإذا كان هذا هو الدافع الموضوعي الذي يقف وراء تقديم هذه الدراسة فإن هناك دافعاً ذاتياً يتمثل في تجربة الباحث الشخصية مع الزمان عندما سافر لأول مرة وقد تجاوز عامه العشرين يشهور في بعثة دراسية للولايات المتحدة فشغف بزمان الآلة الغربية الذي يحاكي زمان الجواد العربي في إيقاعه السريع، كما يحاكي في قيمته مفهوم الفقهاء المسلمين من الوقت الذي يترجمه قولهم المأثور: «من المقت إضاعة الوقت».

إن زمان الآلة الغربية الذي يعرفه الأوربيون باسم Budget time مثل النقود بل هو النقود لأنه يمكن أن تكتسبه We earn it وأن تستثمره We invest it، وأن تنفقه We spend it وأن نوفره We Save it وأن نهدره we waste it ولا يزال وقت الأوربي يقاس بمقياس اقتصادي، فساعة الإنجليزي لا تقدم ولا تؤخر ولكن تبيع أو تفسر The watch agains or Loses.

إننا إذا أردنا أن نقف على ملامح شخصية ما، أو السمات الثقافية لجماعة ما، فيجب أن نعرف كيف يقضى الفرد وقته، وكيف يتفق نقوده، لأن كيفية التصرف في النقود والوقت تعكس بشكل واضح السلوك الثقافي للفرد والجماعة.

كما يتمثل هذا الدافع الذاتي أيضاً في أسفار الباحث شرقاً وغرباً وخبرته ببعض اللغات في أوروبا وآسيا وأفريقيا سماعاً وقرأة التي لم يجد - فيما يعلم - لغة منها تحتفل بالزمان احتفال العربية به مما يعكس إحساس الجماعة العربية

بالزمان، نذكر ذلك لأن كثيرا من المستشرقين قد ظن أن العربية التي نشأت لدى الجماعة العربية الأولى في الصحراء الخاوية تفتقد للألفاظ والتراكيب التي تعبّر عن أوقات الزمان، لأنه لا قيمة للزمان عند أهلها.

إن المعجم اللغوي للجماعة العربية الأولى يرد هذا الظن ويقدم الدليل - كما سيرى القارئ الكريم في ثنايا الدراسة - على أن العربية لغة الزمان لأنها أحسنت التعبير عنه بدقة، ولا يتقى هذه الحقيقة أن الخلف قد أضاعوا بالقول والعمل معاً ألفاظ الزمان والإحساس به، وإذا زعمنا أن العربية لغة الزمان، فلأن أصحابها الأوائل الذين تواضعوا واتفقوا على ألفاظها أحسوا بالزمان أحساساً دقيقاً، لأنه كان منظماً لحركتهم في الصحراء الواسعة في الحاضر، وهم في نظرهم للحاضر كانوا يستشرفون المستقبل، وليس أدل على هذا من تعميد النحاة للفعل المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال معاً، كما كان الزمان لديهم مستودع مفاخرهم وأنسابهم في الماضي، ولهذا لم يكن من قبيل المصادفة أن يسمى علم التاريخ عندهم بالأيام.

وإذا كانت هذه الدراسة تثبت للقارئ أن العربية هي لغة الزمان وأنها أحسنت التعبير عنه، إلا أنها للأسف لم تستطع أن تعالج هذا التناقض الذي وقع فيه الخلف الذين أضاعوا بالقول والعمل ألفاظ الزمان والإحساس به، لأن هذا من شأن دراسات أخرى في علوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا، وكما لا نحمل لغتنا العربية مسئولية سوء استعمالنا لألفاظها وتراكيبها، فإننا لا نحملها أيضاً مسئولية وجود ظاهرة الوقت الضائع في ثقافتنا العربية الإسلامية التي تمثل تناقضاً صارخاً بين بنية اللغة العربية التي تحتفي بالزمان وسلوك أصحابها الذين يتكلمونها.

إن المتتبع للدرس اللغوي عند اللغويين القدماء يعرف مدى اهتمامهم بجمع ألفاظ اللغة في رسائل وكتب صغيرة تحمل اسم كتب الصفات مثل كتب خلق الإنسان، والإبل والخيل والمطر والنبات والحشرات وغير ذلك، كما اهتموا أيضاً بجمع الألفاظ الواصفة لأوقات الزمان في مصنفات تحمل أسماء مثل : الأيام والليالي والشهور للفراء ت ٢٠٧، والأزمنة وتلبيبة الجاهلية ، لقطرب ت ٢٠٦.

والأيام والليالي « لابن السكيت ت ٢٢٤ » والأزمنة والأمكنة « للمرزوقي ت ٤٢١ » والأزمنة والأنواء « لابن الأجدابي ت ٤٧٠ » هذا بالإضافة إلى اهتمام بعض كتب اللغة والأدب مثل : أدب الكاتب، العقد الفريد، فقه اللغة، المخصص، نهاية الأرب، صبح الأعشى، وغيرها بتخصيص بعض أبوابها لألفاظ الزمان.

ونجد إلى جانب هذه المصنفات مصنفات أخرى اهتمت بألفاظ الزمان وحملت عنوان الأنواء، ذكر صاحب الفهرست عدداً كبيراً منها للسدوسي ت ٢٠٠، والأصمعي ت ٢١٢، وابن الأعرابي ت ٢٢٢، والمبرد ت ٢٥٨، ولأبي حنيفة الدينوري ت ٢٨٢، وابن دريد ت ٣٢١ وغيرهم، ولم يصلنا للأسف من هذه الكتب إلا كتب الأنواء لابن قتيبة ت ٢٧٦ ومقتطفات من كتاب أبي حنيفة نقلها ابن سيده في المخصص وابن منظور في لسان العرب، كما اهتم بعض علماء الفلك والجغرافيا بدراسة الزمان والفاظه في مؤلفاتهم مثل البيروني في كتابيه « الآثار الباقية » في علم التوقيت، « والقانون المسعودي » في الهيئة والنجوم، والمسعودي في كتابه «مروج الذهب».

لقد كان اهتمام الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام بألفاظ الزمان والأنواء يعكس اهتمامهم بمعرفة أوقات المطر، واتجاه الرياح، وأوقات حلهم وترحالهم، وأسمات النجوم التي كانوا يهتدون بها في أسفارهم، ولقد استمر هذا الاهتمام بالزمان والأنواء بعد الإسلام وازداد بظهور حاجات جديدة تتعلق بالتشريع الإسلامي مثل معرفة أوقات الصلاة ومواقيت الحج والصوم التي ترتبط بظهور القمر وغيابه، وشرق الشمس وغيابه، وقد تولد عن هذا الاهتمام نشأة علم الهيئة أو الفلك ونموه على يد علماء مسلمين برعوا فيه مثل الخوارزمي ت ٢٢٥، وابن قرة ت ٢٨٨، وابن يونس ت ٣٩٩، ابن الهيثم ت ٤٢٠ والبيروني ت ٤٤٠، والطوسي ت ٥٩٧ وغيرهم.

إننا إذ أردنا أن نقف على مدى احتفاء الثقافة العربية الإسلامية بالزمان فيمكن أن نتصفح معجمها التناطقي بلسان أصحابها الذي سنجده زائراً بعشرات الألفاظ الدالة على الزمان التي لا تزال مع غيرها تمثل قطاعات أخرى من المعجم

العربي تحتاج أن يدرسها ويمحصها، بل ويمستطقها حتى تبوح بكل أسرارها، ولا نفنى بذلك دراسة الألفاظ الصامته بين دفتي هذا المعجم ولكن نعتى بها الألفاظ الناطقة التي تتفاعل على ألسنة الجماعة العربية وتقف من خلالها على سلوكها وفكرها وتصورها، وإذا كان دارس اللغة يهتم عادة بالإجابة على سؤالين هما : كيف يتكلم الإنسان ؟ ولماذا يتكلم ؟ فإنه يجب أن يهتم أيضا بالإجابة على سؤال ثالث هو : عن أى شيء يتكلم ؟ وانطلاقا من هذا التصور للدرس اللساني سبق أن تناولنا بالدراسة ظواهر لغوية أخرى مثل : التعبير الاصطلاحي، المحظورات اللغوية، ألفاظ القرابة، ولقد كان إنجازنا لهذه الدراسات في إطار يرضى الدارس المتخصص من ناحية، ويناسب القارئ المثقف من ناحية أخرى حتى لا يظل الدرس اللغوي حبيسا في بيوت المتخصصين من جانب ولا تبقى العربية في معزل عن المتكلمين بها من جانب آخر.

تقع هذه الدراسة التي نقدمها للقارئ في بابين يحتويان على ستة فصول جاء الباب الأول بعنوان الزمان والإنسان واشتمل على ثلاثة فصول، يعالج الفصل الأول ثنائية الزمان التي تظهر في ثنائية الزمان والحركة، لأن كل ما في الكون يعيش الزمان بالحركة التي تتسم بالإيقاعية المنظمة وتولد الزمان وتحدد لنا كميته، وثنائية الزمان والمكان، لأن المكان هو الذي يساهم في تحديد هويته.

وقد بين هذا الفصل أنه إذا كان الزمان تابعا للحركة لأنها تعطينا الإحساس به وتقوم بتحديدته، وإذا كنا لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسبناها إلى الزمان، فإن هذه الحركة تتطلب أيضا مكانا تتدرج عليه، ومن هنا كان الزمان مشتجرا بالحركة تارة وبالمكان تارة أخرى، فالمكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزمن، والزمان هو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن، وإذا كانت نظرية النسبية قد أدركت علاقة الزمان بالمكان، فإن الجماعة العربية الأولى قد فطنت بفطرتها إلى ملازمة الزمان للمكان فاصطلحت على ألفاظ تعبر عن ذلك مثل : الميقات، والمشهد، والمرصد، والدوام، والخلود، والأبد، والوراء، وقد أدرك النحاة هذه الحقيقة فدرسوا ظرفي الزمان والمكان على صعيد واحد في قسم المفعولات لأن لهما وظيفة واحدة هي وعائية الحدث.

كما تناول الفصل ثنائية ثالثة هي ثنائية الزمان والإنسان، لأن الإنسان هو الذي يعطى الزمان دلالة الموضوعية والذاتية، فالإنسان يعيش الزمان الموضوعي الذي تحدده الساعات والتقويم، كما يعيش الزمان الذاتي الذي تحدده مشاعره النفسية التي يحسها، وحالاته الجسدية التي يشعر بها فالحزن والمرض يجعلانه يعيش زمانا بطيئا متأقلا، والفرح والنشاط يجعلانه يعيش زمانا سريعا خاطفا.

يعالج الفصل الثاني الزمان والبيئة ونعنى بالبيئة هنا دور المكان وما يشتمل عليه في تحديد الزمان ويلورة مفهومه لدى الجماعة العربية الأولى، ويشمل ذلك الظواهر الطبيعية في السماء مثل النجوم والكواكب والشمس والقمر والأمطار والرياح والظل والقي، لقد كانت السماء وما فيها أول ساعة عرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد كانت الجماعة العربية الأولى كغيرها من المجتمعات الإنسانية تعتمد على دورات الشمس والقمر، وحركات النجوم والكواكب في تحديد أوقات الزمان من الفصول والشهور والأسابيع والأيام وساعات النهار والليل المختلفة، ومواقيت سقوط الأمطار وهبوب الرياح، وقد عرفت هذا اللون من المعرفة عندهم باسم الأنواء التي صنف فيها اللغويون مؤلفات مختلفة كما سبق أن أشرنا.

كما تناول هذا الفصل أيضا جانباً آخر ارتبط بالبيئة الصحراوية التي عاشت فيها الجماعة العربية الأولى ونعنى بذلك استعمال ألفاظ وتعبيرات تتصل بالحيوانات والطيور لتحديد أوقات الزمان مثل قولهم «قواق ناقة» بمعنى قصر الوقت أو سرعته، «وذب السرحان» بمعنى الفجر الأول، و«سنة الحمار» بمعنى القيام المائة، وقولهم نوم «كحسو الطير» أو «إيهام القطا» بدلالة قصر الوقت، وقولهم «خرج وصياح الديك»، أو «والطير في وكناتها» أي في وقت ميكر، واستعمالهم ألفاظاً تتصل بشرب الإبل مثل : القُبُّ والورد بكسر الفين والواو، فالفب فعل الشيء يوما بعد يوم، وقد جاء في الحديث : اغبوا في عيادة المريض، والورد ما يعتاد الإنسان عمله يوميا، ومن ذلك ما يعتاد المسلم أن يقرأ يوميا من القرآن.

أما الفصل الثالث فقد تناول الزمان والمجتمع لأنه إذا كان الزمان البيئي زمانا طبيعيا يرتبط بحركات الكواكب والنجوم، فإن الزمان الاجتماعي يرتبط بثقافة

المجتمع وتجاريه ومعتقداته، وفي ضوء هذه الحقيقة أوضحنا مفهوم الجماعة العربية الأولى عن الزمان الذي ارتبط بالمرض في أصله الاشتقاقي، فالزمن المريض أو صاحب العاهة، والدهر الزمان الطويل وهو أيضا النازلة التي تحل بالقوم، والحين يعني قدرا مبهما من الوقت، ومنه قالوا الحائثة بمعنى النازلة، واليوم القدر المعروف من الزمان استعملته الجماعة العربية الأولى للتعبير عن وقائعها وحروبها التي عرفت بالأيام، والأجل بمعنى غاية الوقت المضروب لشيء ما استعملته الجماعة العربية بدلالة موت الإنسان، والسنة بمعنى العام ارتبطت في تصورهم بالجذب والشدّة.

كما أوضح هذا الفصل أن بعض أوقات الزمان قد ارتبط بالخوف والطيرة في أذهان الجماعة العربية التي عرفت ما يسمى بـ المحظور Taboo أو المحرّم من الزمان، فقد تشاءمت من بعض الأيام والشهور مثل يومى الأربعاء والأحد وشهر شوال، وحرمت فعل بعض الأشياء فيها مثل السفر أو الزواج، ومن هذا القبيل أيضا تحريم القتال في الأشهر التي عرفت باسم الأشهر الحرم.

وإلى جانب هذا التصور السلبي للزمان لدى الجماعة العربية الأولى قبل الإسلام أوضح الفصل أيضا التصور الإيجابي للزمان بعد الإسلام فيما عرفتّه الجماعة العربية باسم فضائل الأزمنة من الأيام والشهور وما يتصل بذلك بحسن استغلال الوقت وهو ما عرفه الفقهاء بعمارة أو إحياء الأوقات كما سبق أن ذكرنا.

كما أشار هذا الفصل أيضا إلى تجارب الجماعة العربية وتفاعلها مع الزمان وقد ظهر ذلك في أمثالها وأقوالها الماثورة وتسمية الأفراد بأسماء الزمان مثل الشهر، والربيع، والصباح، والصيف، ووصفهم للأفراد والأشياء بأسماء الزمان كقولهم رجل مشرق الوجه أو مظلم الوجه، ورجل صيفى وأولاده صيفيون بمعنى تزوج وأنجب وهو كبير، ورجل ربيعى وأولاده ربيعىون بمعنى تزوج وأنجب وهو صغير، ومن هذا القبيل أيضا الحديث: «اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبى».

وجاء الباب الثانى بعنوان: الزمان واللغة واشتمل على ثلاثة فصول أيضا عالج الفصل الأول ألفاظ الزمان المبهم التي صنفناها في أربع مجموعات دلالية: تشمل

المجموعة الأولى: ألفاظ الزمان، والزمن، والدهر، والأبد، والسرمد، والمستند، وشملت المجموعة الثانية: ألفاظ الوقت، والحين، والأوان والعهد والحقية والعصر، وشملت المجموعة الثالثة: ألفاظ المدة والملاوة والدهر، والفترة، والطور، والتارة، وشملت المجموعة الرابعة: ألفاظ العمر والأمد والأجل والقرن والأمة والطبقة.

وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالي لألفاظ الزمان المبهم إلى أن بعض هذه الألفاظ تميز بالضيق أو الاتساع الدلالي للتعبير عن أوقات الزمان الطويلة أو القصيرة، كما أن بعضها الآخر قد خضع لعلاقة الترادف فيما بينها، هذا إلى جانب اشتجار هذه الألفاظ بمفاهيم متباينة في أذهان الجماعة العربية.

عالج الفصل الثانى ألفاظ الزمان المحدد وقد صنفناها في خمس مجموعات دلالية شملت المجموعة الأولى: ألفاظ السنة، والعام، والحول، والحجة، والحقية. شملت المجموعة الثانية: ألفاظ الفصل، والفصية، والشتاء، والصيف، والربيع والخريف، شملت المجموعة الثالثة: ألفاظ الشهر، والهلال، وأسماء الشهور التي وضعتها العرب المستعربة التي ارتبطت في أصلها الاشتقاقي بمجالات طقسية وحوادث إنسانية، فشهر جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيهما شدة البرد، ورمضان مشتق من الرمضاء بمعنى شدة الحر، والمحرّم لتحرّيمهم القتال فيه، وصفر لأن ديارهم تصفر أى تغلو من أهلها لخروجهم للقتال بعد المحرم، شملت المجموعة الرابعة: ألفاظ اليوم، والنهار، والليل، والساعة وأوقات النهار مثل: الفجر، والصباح، والبكرة، والغدوة، والضحى والظهرية والعصر، والأصيل، والمغرب، والمُشفق، وأوقات الليل مثل: المساء، والبيات والرواح، والعشاء، والعتمة، والفسق، والسحر.

وقد أشرنا خلال تحليلنا الدلالي لهذه الألفاظ إلى ارتباط بعضها بمفاهيم عامة وتصورات خاصة في أذهان الجماعة العربية الأولى مثل تذكيرهم الشتاء والنهار، الأول لشدته وقسوته. والثانى لأنه هو الذى يقضى الليل التابع له ويتكرر عليه بنوره وبلج فيه، وتأنيت الصيف والليل، الأول لأن فيه تلد الحيوانات صفارها، وتخرج الأشجار ثمارها، والثانى لأنه تابع للنهار والمنفرد منه ليلة والجمع

ليالٍ. كما أوضح الفصل أن الجماعة العربية الأولى قد اتحدت الرقيم العددي لتمييز ربع الشهر بلفظ الأسبوع وهو مشتق من الرقم سبعة. كما قسمت أيامه عددياً أيضاً فقالت : الأحد، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، وأكملت العدد بالجمعة والسبت، وقد أشرنا إلى دور المعتقد الديني المرتبط بحلق الكون في تسمية الجماعة العربية وغيرها من الجماعات الإنسانية لأيام الأسبوع .

أما الفصل الثالث والأخير من الدراسة فقد عالج مفهوم وعائية الزمان لدى الجماعة العربية الأولى التي هبطت إلى أن كل ما في الكون من جمادات وكائنات يحرك داخل إطار الزمان، بل إن حياة الإنسان نفسه ونموه الجسدي والنفسي يترمن في أطوار محتملة تعبر عنها ألفاظ مثل - ولید، ورصع، وطمل، وصی، ومرهق، وهتی، وشاب، ورجل، وكهل، وشيخ، وهرم، ونجد مثل هذه الألفاظ أيضاً للتعبير عن الأطوار الزمانية للحيوان والنبات.

كما أوضح الفصل أن كل ما يقوم به الإنسان من أفعال وأنشطة يتم أيضاً داخل إطار الزمان، وقد وضعت له الجماعة العربية ألفاظاً زمانية، فالسير هي لهجرة تهجر، والسير في الليل عامة إسراء، وفي أوله إدلاج، والشرب في السحر جاشربة، وفي الصباح صبح، وفي العشي غبوق وفي نصف النهار قيل، والأكل آخر الليل سحور، وفي الصباح فطور وفي الظهر عداء وفي الليل عشاء.

وكما اهتم هذا الفصل ببيان وعائية الزمان بهذا المفهوم، فقد اهتم أيضاً ببيان حدثية الزمان بمعنى وصله أو تحديده بأحداث وملابس عامة عرفتها الجماعة العربية وارتبطت بتجارها ومعقداتها، ومن هذا القبيل ما تحده من تعبيرات اصطلاحية زمانية مثل - «بنات الدهر» بمعنى مصائبه، و«سنو يوسف» بمعنى شظف العيش، «زمان الترامكة» بمعنى رغد العيش أو فساد الحكم، و«هلال شو ل» بمعنى ما يسر به المرء، و«حاطب ليل» بمعنى من يحط في كلامه أو أفعاله، و«يوم عبید» بمعنى سوء الطالع، و«يوم حلیمه» بمعنى ما يذاع وينشر، و«ليلة النابعة» بمعنى المعادة والأرق، و«ليلة القدر» بمعنى الشيء المهم.

كما ذكرنا المَبْنَى من التعبيرات الاصطلاحية الرمائية مثل : «ابن الأيام» بمعنى الرجل المجرب، و«بنو الأيام» بمعنى أهل العصر، و«بنات الليل» بمعنى الأحلام أو النساء، وذكرنا أيضاً المَبْنَى من التعبيرات مثل : الردهان والجديان والعصران بمعنى الليل والظهر، والمجران بمعنى المحر المستطيل والمستطير، والعصران بمعنى العصر والظهر، والعشاءان بمعنى المغرب والعشاء

وبهذا الفصل تكتمل جوانب الدراسة التي اهتمت بتأصيل ألفاظ الزمان، بهذا الشكل المتكامل في العربية لأول مرة فيما نعلم، وأرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة أولى على الطريق تتبعها خطوات أخرى لدراسة واستقراء قطاعات أخرى من المعجم العربي، وحملي بهذا العمل المتواضع أتى بذلت جهداً متواضعاً لخدمة لغة القرآن فأما الزيد فيذهب جفاء، وأما ما ينمى الناس فيمكث في الأرض.

وأحر دعواي أن الحمد لله رب العالمين

د. كريم حسام الدين

مكة المكرمة ٢٩ صفر ١٤١٠

٢٩ سبتمبر ١٩٨٩

تقديم

إن الزمان من حيث هو صورة وحركة أمر لا يوجد إلا في الطبيعة، وقد عاش الإنسان حياته ملايين السنين على الأرض يراقب ظواهر تتعاقب في دورات مثل الليل والنهار، والشهور والفصول بحركة الشمس في شروقها وغروبها، كما استطاع أن يواصل حياته بمصل ما تقدم به الشمس من حرارة وضوء جعل الحياة ممكنة على ظهر الأرض، فلا عجب أن تكون الشمس - واهبة الزمان والحياة للإنسان من أقدم آلهة لتي قدسها.

لقد ظن الإنسان يعتقد أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب تدور جميعا حول الأرض حتى حرر عالم الملك كوبرنيكوس Copernicus ١٤٥٣ عقول معاصريه من هذا المعتقد، وأثبت أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية أما الأرض والكواكب الأخرى فتدور في أملاك محدودة لها، لقد أراح كوبرنيكوس الأرض عن مركز الكون فأصبحت مجرد كوكب صغير يبعد عن الشمس ١٥٠ مليون كم يدور حول نفسه دورة كاملة كل ٢٤ ساعة ويتم دورة كاملة حول الشمس كل ٣٦٥ يوما.

كما ظل الإنسان، ملايين السنين لا يرى الزمان خطا مستقيما بل دائرة مغلقة يكرر نفسه في تعاقب دورات الليل والنهار، والفصول الأربعة وغير ذلك من ظواهر لطبيعة مثل دورتي الخسوف والكسوف والمد والجزر إلى أن نقّل أن ظواهر الزمان في الكون تشير إلى أن سهم الزمان يسير في حلل مستقيم أو هي انحاء واحد نحو مستقبل ممثلا في مظاهر مختلفة أهمها التطور البيولوجي الذي يبدو بلا رجعة لأن الزمان لا يرجع للوراء، فالرجل الشيخ لا يعود شابا والمرأة العجوز لا تعود بكرا، والحصان لا يعود مهورا ولشجرة لا تعود نبتة.

إن وجودنا الحياني يعطينا هذا الانطباع بأن سهم الزمان يساهب في اتجاه واحد نحو الأمام، وأن المستقبل يتحول إلى حاصر والحاضر يصير ماضياً، وإذا كنا نستطيع أن نتذكر الماضى فإننا لا نستطيع أن نبدأ بالمستقبل. إن مفهوم انسياب الزمان كالحط له بعد واحد هو الطول، وكما لا نستطيع أن نفكر في الحط بوصفه كياناً متصلاً أو بوصفه تتابعاً من النشاط نستطيع أن نعتبر الزمان تتابعاً من اللحظات Instant أو انسياب متصل للحظة واحدة سواء تحركت الأشياء أو بقيت ساكنة سواء نمتنا أو استبقطنا، إنه يؤمن بوجود اللحظة الحاضرة الآن وحركتها للأمام حتى تصبح اللحظة مستقبلاً ثم تتحول إلى ماضٍ.

إن الزمان قد يخدعنا فنظن أننا نعرفه أو كما يقول القديس أوغسطين : لو سألتى أحد إن كنت أعرف الزمان ؟ فسأجيبه : بلى أعرف، ولو سألتى ما هو ؟ سأجيب : بأننى لا أعرفه. إن ما قاله هذا القديس يشير إلى أن ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوماً نفسيًا أو قل هو مفهوم يسمى اختراع النصف الأيسر من مخ الإنسان، أو كما يقول الفيلسوف الفرنسى برجسون: الزمان - المعاش أو الخبرة التى يمر بها الإنسان.

لقد اكتشف الإنسان قياس عمره (الزمن الداخلى) بوحدات من الزمان الشمسى أو القمرى (الزمن الخارجى) ولكنه اكتشف أن الزمن الداخلى قد يتمرد ويتفصل عن الزمن الخارجى انظر قوله تعالى : ﴿وَنَقُرْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ هُمَلاً ثُمَّ نَعْمُو أَشْهُكُمْ وَمَسْكُكُمْ مِنْ يُونُقَى وَمَسْكُكُمْ مِنْ يَرْدَ إِلَى رَدِّكُمْ لَكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ (الحج : ٥)، كما أن عمر الإنسان الداخلى يختلف عما حوله فقد يكون طويلاً إذا قورن بعمر حيوان مثل الحصان أو الحمل، وقد يكون قصيراً إذا قورن بعمر شجرة البلوط أو الكافور .

وإذا كان ما نسميه الزمان ليس إلا مفهوماً نفسيًا أو تجريبية أو خبرة يمر بها لإنسان فإن وعيه بالزمان تتحلى في ثلاثة مظاهر :

المظهر الأول: الإحساس بزمان اليوم من خلال ما يقوم به من جدول يومى يتمثل في الاستيقاظ والنوم، وتناول وجبات الطعام في أوقات محددة، وممارسة لعمل معين خلال ساعات محددة واستخدامه وسائل مواصلات^(١).

المظهر الثانى : الإحساس بديمومة الزمان، ويتوقف ذلك على حالة الإنسان النفسية، فالأسبوع الذى يقضيه في عمل روتينى يبدو أكثر طولاً من الأسبوع الذى يقضيه في إحالة ترفيهية، وقد يبدو الامتحان الصعب سيباً في تلكؤ الزمان في عقل الطالب. من الزمان

المظهر الثالث : الإحساس بامتداد الزمان، فالحاضر يصير إلى المستقبل الذى يتحول بدوره إلى الماضى الذى يتذكر أحداثه، كما يتطلع إلى أشياء يريد تحقيقها في المستقبل، ويحد هذا الإحساس بامتداد الزمن يتوقف على عمر الإنسان وما يمر به من ظروف وملاسات^(٢)، هالكبير يكون مشغولاً بالماضى الذى يراه جميلاً ويتمنى الشباب يعود يوماً، أما الصغير فهو يشغل بالمستقبل الذى يستحق فيه ما يريد .

إن هذا الوعى أو الإحساس بالزمان قد يتعرض إلى التشويه بتأثير الخمر أو العقاقير المخدرة أو بسبب ارتفاعات الكيمائية في جسم الإنسان، فارتفاع درجة حرارة جسم الإنسان الذى يعانى من الحمى يجعل وعيه بمرور الزمان طويلاً، لقد أثبتت الدراسات الطبية أن نشاط العمليات الكيميائية سعة الحمى من شأنه أن يجعل الزمان الذى يقدره المخ أطول من الزمان الحقيقى الذى تبينه لنا عقارب الساعة، ولعل هذا أيضاً هو السبب فيما يقال عن أن الساعات والأيام عندما يكبر الإنسان ويتقدم به العمر تمر أكثر بطئاً من أيام الصغر، لأن العمليات الكيميائية تكون أسرع أيام الصغر في جسم الإنسان من أيام الكبر، وبعد هذا التمهيد أدعوك عزيزى القارئ لقراءة هذه الدراسة التى تبدأ بشائية الزمان.

★ ★ ★

(١) يرتبط موقف الإنسان من الزمان بعمره فهو يرفض نفسه تقسم العمر ويسرع عندما يرى بصماته على وجهه فيصبح أقل جانبية وإشراقاً وتغيره بجاذبية الوجه وانبساط شعر الرأس يملأه العمر الصائفة

الباب الأول
الزَّمان والإنسان

الفصل الأول

ثانية الزمان

لمد أدرك الإنسان أنه لا وجود إلا بالزمان، أو قل إن الوجود والزمان
منه واحد، لأن الوجود هو الحياة، والحياة هي التغير، والتغير هو الحركة، والحركة
هي زمن فلا وجود إذن إلا بالزمان، لهذا فإن كل وجود يتصور خارج الزمان
وجود وهمي، أو هو لا وجود.

لقد أحس الإنسان هذه الحقيقة من خلال ملاحظاته للمتغيرات حوله في
سماء بشمسها وقمرها ونجومها^(١)، وفي الأرض بزرعها^(٢) وحيواناتها^(٣)
وطيورها^(٤).. بل في حياته نفسها من ميلاد ومعاش وموت، وقد فطن إلى أن هذه

(١) انظر الفصل الثاني من الدراسة بعنوان الزمان والبيئة

(٢) من المعروف أن كل ما تنبت الأرض يخضع لدورات زمنية محددة، وتذكر لنا بعض المصادر الأثرية أن علماء
الأثر قد عرفوا الوقت لدى بعض هذه نوت عنق من خلال بقائه في موصوعه على نابوته رغم مرور
ثلاثة الألف سنة على بقاءه

(٣) من المعروف أيضاً أن تكاثر الحيوان يخضع لسوقيت الزمان فقد ثبت علمياً أن فصل الربيع هو فصل
التزاوج والتكاثر بين الحيوانات ويصير علماء الحيوان ذلك بالصورة التي سيجيء استبانة النهار لدى يؤثر
في عين الطيور ومن ثم ينتقل هذا التأثير إلى جزء خاص من المخ ثم إلى الغدة النخامية التي تفرز هرمونا
حسبياً يسيطر على الدم حتى يصل لحصين الذكر أو مبيض الأنثى فيتكون الحيوانات المنوية لدى الذكر
ويستعد المبيض لدى الأنثى لتكوين البويضات ويبدأ كل منهما البحث عن أليفه كد بعد فصل الربيع من أكثر
عصور ملائمة لتربية صغار لحيوان لصول شهر ربيع ودفء الجو ووفرة الغذاء

خطر موثرو فوكس شخصية الحيوان من ٩٧ وما بعدها ترجمة د. فتحي المراوي

(٤) يخضع حركة الطيور وهجرتها للتوقيت الزماني اليومي والسنوي. فالطيور تتخذ الشمس هادياً لحركتها
وصيراتها، لاحظ صياح الديك وزهرة المصافير في عواقيت محددة. ومغادرتها لأعشاشها وعودتها إليها
بعد أن تكون قد تزودت بطعامها، كما يجد الطيور المحتملة هي هجراتها من فصل الربيع والحريف تهتدي
في رحلاتها الطويلة بالتوقيت النجمي بلا وسوقيت شمسي بهاراً ويلاحظ شيئاً من هذا، بحبل لدى
سحرة والأممك مثل ثعابين السمك التي تعيش في بحر النيل وتهاجر إلى البحر المتوسط صيفاً، انظر
مرجع السابق من ١١ وما بعدها

للتغيرات ناتجة عن حركتين، حركة كوكبية تعود إلى نواحي طبيعية استطاع أن يعلم حقيقة أنها وحركة رياضية تعود إلى تصورات وبحار إبسليه توصف إليها ووضعها بنفسه، ومن هاتين الحركتين تولدت لدينا صورتان للزمان، صورة يشترك فيها جميع البشر وهي زمان الحركة الكونية، وصورة يختلف فيها كل البشر وهي زمان الحركة الإنسانية^(١).

وإذا كنا قد قدمنا الدراسة بهذا المفهوم للزمان، فربما ستعده ينظم في ثلاث ثنائيات، تظهر الأولى هي شئيه الزمان والحركة، لأن الحركة هي التي تحدد للزمان كميته، وتظهر الثانية في ثنائية الزمان والمكان، لأن المكان هو الذي يساهم في تحديد هويته، وتظهر الثالثة في ثنائية الزمان والإنسان، لأن الإنسان هو الذي يعطيه دلالاته الموضوعية والداتية.

١-١ الزمان والحركة : تعتبر الحركة سمة من سمات الحياة، بل هي الحياة نفسها، فالحركة هي الأساس الذي تنظم به الكائنات والجمادات معا، وقد أثبتت التجارب العلمية أن المدة ملازمة للحركة مهما كانت حالتها لأنه لم تتحرك المدة في حيزها أو مكانها فإنها لن تنتقل، وبالتالي لن يحدث لها التغير، وإذا ذكرنا لحركة هنا فإننا نمنى الحركة المحسوسة لدينا، وإن كنا لا نحسها بشكل مباشر في بعض الأحيان.

إن كل ما في الكون يعيش الزمان بالحركة، وكما يقول القدماء والمحدثون من الفلكيين إن الزمان هو مقدار حركة الفلك، فالزمان على ذلك هو مقدار الحركة المسجلة والمعلومة لدينا وليس الحركة نفسها، وهذه الحركة التي يقاس بها الزمان هي حركة الكواكب مثل الأرض والشمس والقمر وحركات الكائنات والإنسان والحيوان والآلات المختلفة التي اخترعها الإنسان وتفاوتت في سرعتها وحركتها.

ويقرر لنا الفخر الرازي هذه الحقيقة بقوله: «... إن الحركة تقدر الزمان على

International Encyclopedia of social Sciences, p. 31 vol. 16, N. Y. 1968.

معنى أنها تدل على قدره بما يوجد فيه، فالزمان بدون الحركة مجهول^(١)، كما يذكر أن هناك من جعل الزمان بمس الحركة واحتج لذلك بأمرين^(٢) :

أولهما : أن الزمان يشتمل على الماضي والمستقبل، والحركة أيضا كذلك.

ثانها : أن من لا يحس بالحركة لا يحس الزمان كما نرى في حو أصحاب الكهف^(٣)، إننا إذا تأملنا هذه الحركة لا نجد لها حركة مطلقة أو عشوائية، بل نجد لها حركة تتميز بالنظام والتناسب^(٤)، حركة تحضج لايقاع محدد انظر قوله تعالى ﴿ لا شمس على شيء ولا يتركهم بالليل ولا يبصر النهار ولا في ظلمة يسبحون ﴾ (يس: ١٠) إن حركة كل كوكب من هذه الكواكب تخضع لايقاع منظم لا يحتل لأنه لو اختل اضطرب نظام الكون، ونلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية حركة الأرض حول نفسها، وحركة الأرض حول الشمس، وحركة القمر حول الأرض تولد لنا دورات رمانية منتظمة مثل دورة الشروق والغروب، ودورة الليل والنهار، ودورة الحر والبرد، ودورات الأيام، والشهور، ولصصول، والمصير.

١ - ٢ إن هذه الكواكب لا تخضع وحدها لهذه الحركة الإيقاعية، بل أن الإنسان نفسه يخضع لها أيضا، وإن كان يتميز بنوع من الحركة^(٥).

(١) لعمر الرازي المباحث شرقية في علم الإنبيات والنبوءات ١٧٧ / ٢ ط طهرس ١٩٦٦

(٢) المصدر نفسه ١٥٢ / ١

(٣) من المعروف أن سائر لا يشعر بالحركة وبالتالي لا يشعر بالزمان، انظر قوله تعالى ﴿ فصرنا على أعقابهم لي الكهف من عذرهم ما عذرهم من أن يأتوا بأمر الله ﴾ (الكهف: ١٦) - أجريت بعض التجارب في الولايات المتحدة الأمريكية تشبه تجربة أهل الكهف فقد قصت فتاة عمرها ٢٧ سنة ١٣١ يوما في كهف صناعي لا تدخله الشمس. وقد لاحظ العلماء بعد إحساسها بالزمان فأصبح يومها ٤٨ ساعة بدلا من ٢٤، وأصبحت تمام ٢٢ - ٢٤ ساعة بدلا من ٦ - ٨ ساعات، وصمعت شبيبتها للصمام وتغير نظام وجباتها كما تغير نشاط جسمها نتيجة للارتداد الذي حل بساعاتها البيولوجية وقد صوّر القراء الكريم في بعض آياته أن الزمان قد يمر على الإنسان ولا يشعر به جيدا في قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم الله لم ينسوا إلا ساعة من النهار ﴾ (يونس: ٤٥)، وقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يصدقوا إلا ساعة من نهار ﴾ (الأحقاف: ٢٥)، وقوله تعالى ﴿ كأنهم يوم يرونها لم ينجسوا إلا ساعة من نهار ﴾ (السرقات: ٢٦)

(٤) انظر للرومي الأربعة والأمثلة ١ / ١٤٩، ط حيدر آباد ١٣٣٢ أبو حيان المقاصد ١٤٢

ط القاهرة ١٩٢٩، د. عبد الرحمن بنوي الزمان والوجود ص ٤٨ ط مكتبة النهضة ١٩٦٢

International Encyclopedia of social sciences p. 28, vol. 16.

حركة خارجية : تتمثل في مواقيت النوم والاستيقاظ، وتناول وجبات الغذاء، ووجع العمل والنشاط الذي يقوم به الإنسان بصورة منتظمة.

حركة داخلية : تتمثل في أن كل عضو من أعضاء الجسم يعمل وفق إيقاع معين يسير عليه دون خلل، كما نرى في دقات القلب، وببضات المخ التي تكرر نفسها في إيقاع زمني يمكن قياسه بأجهزة القياس الطبية، وحركات الرئتين التي تتمثل في حركتي الشهيق والزفير، وحركات الأمعاء التي تتمثل في حركتي الانقباض والانبساط، وغير ذلك من الوظائف البيولوجية المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم^(١).

نلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية الداخلية تعمل وفق نظام دقيق يحول أجسامنا إلى ساعات بيولوجية توجهنا في حركتنا الخارجية اليومية، كما أن هذه الحركة الإيقاعية الداخلية إذا تعرضت لأي نوع من أنواع الخلل تأثرت حركتنا الخارجية به، بل وتعرضت حياتنا للخطر.

وإذا كان نظام الحركة الخارجية يرتبط بنظام الحركة الداخلية الذي يعمل لا إرادياً، فإنه يرتبط أيضاً بالنظام الذي حدده الإنسان لنفسه، وإذا تعرض هذا النظام للتعبير أصيب بالاضطراب، فإذا غير حركتي النوم واليقظة شعر بالارهاق والتعب،

(١) أثبتت التجارب العلمية أن الجسم البشري مزود بساعات حية لها عقارب تقوم سميك الوظائف المتنوعة بكل عضو من أعضاء الجسم التي تصل إلى أكثر من خمسين وظيفة يؤديها جسم الإنسان وفق نظام زمني إيقاعي، ومن هذا الميل أيضاً إفرارات جسم المختلفة التي تختلف من النهار إلى الليل، فاهوار العدد يرتفع عند قياسها في الصباح نحو جهة منطلقات النشاط، ويومي، وتردد عند كرات الدم في الصباح حتى يصل أقصاها في نهاية النهار كما تكون نسبة السكر في الدم في أعلى درجة صباحاً، وتكون في أدنى درجة نهاراً، وتنخفض درجة حرارة الجسم في المساء وتعود إلى معدلها الطبيعي في الصباح، وترداد نسبة إفرارات الكورتيزون في الجسم في الصباح، وتنخفض إلى أدناها في منتصف الليل، وهذا يعبر حدوث حالات استنساخ الشرطية. والحيوانات في هذا الوقت، لأن عملية تغذّر الدم تكون في ذروتها، وتردد أيضاً أزمات الربو ليلاً لانكماش العضلات الهوائية، وبهذا فإن أفضل أوقات مقاومة جسمية يصبر تكون صباحاً، وهذا ويهتم علم الكرونوبيولوجي Chronobiology أي النظم الذي يعني بدراسة الساعات البيولوجية بدراسة لحركات والتغير الإيقاعية لأعضاء ووظائف الجسم.

وإذا غير نظام الوجبات الغذائية عانى من أرنياك المعدة وسوء الهضم، وقد يلاحظ ضعف إنتاجه وقلة إيجازه إذا غير مواقيت العمل أو النشاط الذي يزاوله^(٢).

تذهب الدراسات العلمية الحديثة إلى بيان أهمية دورة النوم واليقظة التي تتزامن مع الدورة الطبيعية ليل والنهار^(٣)، لأن الكائن الحي يخضع في إيقاعه الحركي لحركة الأرض والشمس والقمر^(٤)، وأن هذه الحركات تؤثر في دورة الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة^(٥)، كما أشارت هذه الدراسات إلى أن فترة الظهيرة تكون وقتاً حرجاً لجسم الإنسان الذي يعمل وفق دورة تتكون من ٢٤ ساعة، فعندما تمر ١٢ ساعة يشعر الجسم بالراحة إلى النوم والراحة، وقد صور لنا القرآن الكريم هذه الإيقاعية عند الإنسان في آية الاستئذان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَتَدْرِكُكُمْ الْمَكَاتُ

(١) يجب أن نشير هنا إلى نظرية الإيقاع الحيوي التي قال بها الطبيب الأندلسي فيلهلم هيلبرس وتنحصر هذه النظرية في أن الإنسان عندما يولد تبدأ معه إيقاعاته الحياتية على المستوى الجسمي والعصبي والعضلي حيث تحد لكل يوم دورته لرمية فالنوبة الجنسية مدتها ٢٢ يوماً، والعاطفية ٢٨ يوماً، والعقلية ٢٢ يوماً ووقتاً لهذه النظرية يكون الإنسان في قمة قدرته لجسدية يوماً كل ٢٢ يوماً، وفي أحسن حالاته لعاطفية يوماً كل ٢٨ يوماً، وفي أعلى إيقاعه العقلي يوماً كل ٢٢ يوماً، أي أن هذه الإيقاعات ترتفع في يوم ما وتنخفض في يوم آخر.

وقد اهتم اليابانيون بهذه النظرية وطبقوها بعض الشركات والمؤسسات الخاصة مثل شركة التلفزيون يوكاهاما التي اهتمت ببيان إيقاع لحياتي لسانتي لتاكسي ومناقص لمرجالت البحرية يديم يومين بتوزيع التلفزيون بوضع شريط أحمر على ذراع السائق يضيء أنه في قاع المنعس الجوهري، أو شريط أصفر يضيء أنه في مرحلة انهبوط العضوي، وقد استغلت موسيقياً من حيوة اليابان في هذا المجال واستطاعت أن تحسن لحاوت يومية ٤٠ %

(٢) لاحظ على سبيل المثال ما يحدث لأي فرد إذا اضطر إلى تسير بالطائرة لمسافة طويلة أو عبر أوقات لعمس لمساعدة مما يؤثر على مواعيد خلوه بنوم والراحة.

(٣) لاحظ على سبيل أمثال تزامن النور الضوئية لدى الأنس مع دورة القمر الشهرية وتزامن ترواج وتوالد الحيوانات مع فصل الربيع، وتذهب بعض الدراسات إلى أن ثمة علاقة بين حالي الانقباض والانبساط لدى الإنسان ودورتي الشمس والقمر كما أن مشاعر الحزن والفرح تتعاقد عليه كما تتماقد دورته شب والصيف.

(٤) تدور الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، وينتج عن ذلك تدور حول الشمس مرة كل ٣٦٥ يوماً وينتج عن ذلك الفصول الأربعة، ويحي دور الأرض أن الشمس هي التي تدور حول الأرض وفي الوقت نرى تتحرك فيه الأرض حول الشمس تحمل معها معها القمر الذي يصير بها ويسير حول الأرض ويكمل دورته في حوالي ٢٧ يوماً، ويدور الأرض في نفس الوقت في دورتها السنوية حول الشمس كما يدور حول نفسه مثل الأرض أيضاً.

يماكم و يدين لم ينعوا انهم مكه ثلاث مر ب من قبل صلاة التجر وحين يصعدون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم (النور: ٥٨)، لقد سبقت هذه الآية الكريمة بمضمونها ما ذهبت إليه الدراسات العلمية الحديثة في الحركة الإيقاعية الثلاثة للإنسان الاستيقاظ صباحا، والراحة ظهرا، والنوم ليلا، وقد عبرت الآية عن هذه الحركة الثلاثية بتعبير ثلاث عورات.

كما أثبتت الدراسات النفسية والطبية أن ساعات النوم ليلا هي التي يستفيد منها الجسم وأن ساعة نوم واحدة في الليل تعادل أكثر من ساعة خلال النهار، وأن من يضطر للنوم متأخرا أو إلى تغيير موعد نومه يتعرض لحالات من الإرهاق الجسمي والذهني^(١)، ونرى القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من آية كقوله ﴿وَرَجَعْدَ بَرْمَكُمْ سِيَاتٍ * وَجَعَلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠٩)، كما يجب أن نشير هنا إلى دورة الصلاة في حياة المسلم فهي إلى جانب كونها ركنا من أركان الشريعة الإسلامية الحتمية تعد عاملا مؤثرا في ضبط الحركة الإيقاعية ليوم المسلم الذي يمكن أن يقسم إلى خمسة أقسام

القسم الأول: الوقت من الصباح إلى الظهر وقدره ٧ ساعات تخصص للعمل والإنتاج في مقابل فترة الراحة والنوم الطويلة التي قطعها صلاة الصبح

القسم الثاني: الوقت من الظهر إلى العصر وقدره ٣ ساعات تخصص للعداء والراحة بعد فترة عمل استغرقت ٧ ساعات

(١) تذكر بعض الدراسات أننا نجد بعض من نائم هنا + نائم أو شخص ينام في الخيام لأنه يشهد في الليل وجده مناسباً للعمل، نائم أو شخص ينام في البيت لأنه يجد الساعات الأولى من النهار أنشط لأوقات وأفضلها للعمل ويعمل هذه الدراسات تلك بلحظة الميلاد لكل منهما فمن جاء إلى الحياة في منتصف الليل يظل هذا الوقت له أنشط الأوقات ولكن لم تذكر هذه الدراسات شيئ عن ولد في منتصف نهار ؟

يذكر أغلب أنهم يقولون للروح الذي ينصرف في النهار دون الليل وحين نهر ومناج، وإذا كان يتصرف بالليل دون النهار يقال له ليلى ولايل، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠ - ١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ (الرحمن: ٧) انظر المزمور في الأربعة والأربعة ٢٦١ / ١

لقسم الثالث: الوقت من العصر إلى المغرب وقدره ٤ ساعات تخصص للرياضة البدنية أو الذهنية

القسم الرابع: الوقت من المغرب إلى العشاء وقدره ساعتان تخصصان للعشاء والمسامرة.

لقسم الخامس: الوقت من العشاء إلى الصبح وقدره ٨ ساعات للنوم والراحة.

وهذه الأقسام الخمسة تشمل ساعات اليوم الأربع والعشرين، وإذا حافظ المسلم على أداء الصلوات الخمس في مواقيتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (نساء: ١٠٣)، فإنه يمكن أن يصيبت حركته اليومية في إيقاع حماسي يشمل النوم، والعمل، والأكل، والراحة، والمتعة^(١)

١ - ٢ وإذا كان الزمان هو نتاج الحركة التي تخضع للإيقاع المنظم على المستوى الكوكبي والإنساني، فإن هذه الحركة المولدة للزمان هي التي تحدد الزمان كما عرفنا وتعطيه أبعاده من ناحية، كما أن هذه الحركة تخضع لعامل الأداء والكيفية التي تتم بها من ناحية أخرى، إننا لا نعيش فقط مقدار الزمن بقدر ما نعيش كيفية هذه الحركة، إن الزمان إذا كان له صفة الكمية فإن له أيضا صفة لكيفية بحركة الكواكب وحركة الإنسان، وحركة الحيوان وحركة وسائل المواصلات، إن هذه الحركة هي العامل الأساسي الذي يطول أو يقصر به الزمان، إن طول وقت النهار أو وقت الليل أو قصرهما إنما يعود إلى كيفية حركة الأرض حول الشمس^(٢)، كما نجد أن السنة القمرية الناتجة عن حركة القمر حول الأرض أقصر من السنة

(١) نجد آيات أخرى تشير إلى مواقيت الصلاة كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (نقرة: ٢٣٨) تشير الآية إلى صلاة العصر لوسطها صلواتي النهار - الصبح والظهر وصلاتى الليل - المغرب والعشاء كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرَافِعَ اللَّيْلِ﴾ (هود: ١١٤)، وتشير الآية أيضا إلى صلواتي النهار و الليل كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرَافِعَ اللَّيْلِ﴾ (هود: ١١٤)

(٢) نلاحظ على سبيل المثال طول النهار في وقت الصيف لأن الأرض في حركتها حول الشمس يكون طرفها الشمالي منحرفا بزاوية نحو الشمس، ولهذا نجد النهار في هذا الجزء من الأرض الذي يكون متائلا نحو الشمس أطول من الليل ويكون الليل في الجزء الآخر من الأرض أطول من النهار، كما نلاحظ قصر النهار في وقت لشتاء - انظر هامش ٣ من ٧٣ من النواصير

الشمسية الناتجة عن حركة الأرض حول الشمس بأحد عشر يوما (١). كما نرى أن هذه الحركة المولدة للزمن تختلف أيضاً لدى الإنسان نفسه، لأن لكل منا حركة يؤديها، ولا يشاركه فيها غيره، ولكل منا زمنه الخاص الناتج عن حركته الذاتية التي تتحصع لعاملين :

عامل بدني: يتمثل في حركة الطفل التي تختلف عن حركة الشاب القوي، كما نجد حركة كل منهما تختلف عن حركة الشيخ العجوز، ويدخل في ذلك أيضاً عامل الصحة والمرض.

عامل نفسي: يتمثل في الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان وتؤثر في أدائه الحركي، فالشخص الحزين المثقل بالهموم أو ضعيف الإرادة يختلف في حركته عن الشخص المسرور منشرج الصدر أو قوي الإرادة.

ويمكن أن نرى مثالا لهديين العاملين في مجال الرياضة البدنية لدى العدائين والسياحين الذين يحتفلون في قطع مسافات معينة عدواً أو سباحة في قدر محدد من الزمان، ونجد أن الإنجاز الزمني الذي يحققه العداء أو السباح يعود في المقام الأول إلى العاملين البدني و النفسي.

تختلف أيضاً الحيوانات التي يستعملها الإنسان ووسائل المواصلات التي اخترعها في كيفية الأداء الحركي، فحركة الحيل تختلف عن حركة الإبل، وتختلف حركة كل منهما عن حركة النمل أو الحمير، كما تختلف كذلك حركة الدراجة

(١) من المعروف أن عدد أيام السنة الشمسية هي ٣٦٥ يوماً وعدد أيام السنة القمرية ٣٥٤ يوماً، والفرق بينهما ١١ يوماً. ونلاحظ أن هذا العدد يتضاعف إلى ٢٢ يوم في عامين و ٣٢ يوماً بعد ٣ سنوات وهكذا، وقد قررنا أن أول يوم في العام الهجري سيكون أول يناير من السنة الشمسية من اليوم الأول من العام الهجري في السنة ثمانية سيكون في ٢٠ ديسمبر، وبعد ثلاثة أعوام سيقع في نهاية نوفمبر، وبعد ٢٢ عاماً سيتمود بداية العام الهجري إلى أول يناير مرة أخرى وهذا يعني أن كل ٢٢ عاماً قمرية يساوي ٢٢ عاماً شمسية. تروي بعض المصادر أنهم كانوا في صدر الإسلام يسمطون سنة كل ٣٢ سنة قمرية لساوي السنة الشمسية ويسمونها سنة الأردلاف أي التصريب تجنباً لاستعمال اسم التسمية لقوله تعالى : ﴿إِنَّهَا بِمَعْنَى رِيشَةٍ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة ٢١١)، وقد فسّر البعض قوله تعالى : ﴿وَلْيَتْلُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنٍ وَازْدَحَضُوا كُنْهًا﴾ (الكهف ٢٨) أنه إذا حمل على السنين الشمسية فالتعبير الرائدة هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية انظر لقشبي ٢/ ٢٩٨، المروفي ١/ ٩٦

البخارية عن حركة السيارة، وتختلف هاتان عن حركة الطائرة، إن المسافر في العصور الوسطى كان يقطع المسافة بين مصر والشام على ظهور الخيل و لإبل والحمير في أسابيع قد يصل عندها إلى شهر أو يزيد، أما الآن فتستطيع أن تقطع نفس المسافة بالسيارة في أيام بل في ساعات بالطائرة.

إن الإنسان قد استخدم هذه الوسائل للأسف حال عندما أدرك دور الحركة في اختزال الزمان، وإذا كان الإنسان كما ذكرنا لا يعيش فدراً من الزمان بقدر ما يعيش كيميية من الحركة، فإن هذه الحركة التي تقتضي زماناً قد يطول أو يقصر طبقاً لكيفية الحركة التي تقتضي أيضاً مكاناً تتدرج عليه، لأن هذه الحركة كما تعرفها العلوم العملية تعبر المكان في الزمان، ولعل هذه الحقيقة تنقلنا إلى الثانية الثانية وهي ثنائية الزمان والمكان.

٢ ١ الزمان والمكان : تعودنا في حياتنا أن نمكر في عالم ذي أبعاد ثلاثة، بالأشياء الصلبة أو الحوامد طول عرض وارتفاع، ويمكن أن تحدد المكان أو أبعاد جسم صلب بالرجوع إلى قياس المساحات في ثلاثة اتجاهات، أما الزمان بوصفه بعداً رابعاً شبيهاً على نحو بالمكان فبما متميزاً عنه لا يرتبط به، إلا أننا يمكن تصويره بعداً رابعاً للمكان إذا تأملنا الصور الفوتوجرافية لإنسان ما في أعمارهِ المختلفة في الخامسة ولحامسة عشرة والحامسة والعشرين وهلم جرا، فهذه صور ذات أبعاد ثلاثة لكائن ذي أبعاد أربعة إذن فمن المعقول أن نقول إننا نذكر في لرمز بوصفه بعداً رابعاً.

لقد عرفنا أن الزمان تابع للحركة لأنها تعطينا الشعور أو الإحساس به كما أنها تقوم أيضاً بتحديدته، ولكننا في نفس الوقت لا نستطيع تقدير هذه الحركة إلا إذا نسبناها إلى الزمان من ناحية، كما أن هذه الحركة أيضاً تتطلب مكاناً تتدرج فيه من ناحية أخرى كما ذكرنا، ومن هنا كان الزمان مشتجراً بالحركة تارة، ومشتجراً بلمكان تارة أخرى، ونحن في حاجة إلى هذا الاشتجار أو الربط لأننا نلمس الزمان ولا ندرك شيئاً مادياً متحيراً، فلا ندرك مثلاً كما نرى الأبعاد الأخرى مثل الطول أو

العرض أو الارتفاع، ولهذا كانت ضرورة ربط الزمان بالحركة والمكان معاً لأنهما يدفعانه للظهور في آنات متغيرة ويكون متصلاً بهما.

إننا إذا أردنا تتبع الزمان فنجب أن نترجمه بالمكان لأن أوقات اليوم والشهر والسنة ما هي إلا متغيرات زمنية عن أوضاع مكانية تصور حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، كما أننا إذا أردنا أن نتصور الأحداث التي تميز بها الإنسان يمكن أن نتصورها وكأنها تقع على خط مستقيم له سياق زمني، وإذا أردنا أن نتصور أن المكان مجموعة من النقاط الموحدة على هذا الخط المستقيم، فإننا سنجد هذا المكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتزامن، والزمان هو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن.

لمد كان هذا التصور للمكان وعلاقته بالزمان ما فطن إليه عالم الرياضيات الروسي منكوفسكى Minkowski الذي كن أول من صرح بوضوح العلاقة الحميمة بينهما في عام ١٩٠٨، وأن المسافات المكانية تتأثر بتقلص الطول كما تتأثر السرعات الزمانية بتمدد الزمان. نقف أشبهين هذا التصور وصاغ من خلال نظرية النسبية Relativity التي تحسد فكرة أننا لا يمكن النظر إلى المكان والزمان على أنهما كيانات منفصلان، وعينا أن نعامل أبعاد المكان الثلاثة وبعد الزمان بوصفها بنية رباعية الأبعاد.

لقد جعلت نظرية النسبية^(١) الزمان بعداً رابعاً غير منفصل عن أبعاد المكان الثلاثة الطول والعرض والارتفاع، ويؤلف معها متصلاً رباعياً الأبعاد يعرف بالمتصل الزمكاني Space time^(٢). وطبقاً لهذه النظرية صار الزمان نسبياً، أي يتغير تبعاً للمكان الذي يقاس فيه بعدما كان مطلقاً^(٣).

(١) ظهرت نظريتان علميتان في القرن العشرين غير متاهمتين عن الثابت الكونية وساهمتا في إعادة الصياغة لكثير من أساسيات العلم وهما نظرية الكم Quantum لميلانك ١٩٢٦ ونظرية النسبية لأينشتاين ١٩٥٥ انظر د. محمود فهمي زيدان من نظريات العلم المعاصر ط١ النهضة بيروت ١٩٨٢
(٢) انظر برتراند راسل العلم بآه النسبية ٢٥ ت فؤاد كامل لألب كتاب ١٩٦٥ انظر أيضاً مارشال ماكولوهان كيف نفهم وسائل المواصلات ص ١٢٨ ت حنين صانبات وآخرون ط١ دار النهضة المصرية ١٩٧٥
(٣) لقد غيرت نظرية النسبية من تصور الإنسان للكون، فالحقيقة التي يوصف إليها البحث العلمي حقيقة نسبية لا مطلقة وحركية لا كاسية حتى وإن ثبت مؤكدة محسوس الإنسان لا يكون حكمها وحدها هو التصواب دائماً، فالشيء نراه صغيراً إذا بعد عنه، وفكبر كلما اقتربنا منه مع أنه هو لم يغير، والأرض التي نعيش عليها تعتمد أنها ساكنة لا تتحرك مع أننا نعلم علم اليقين الآن أنها تدور حول الشمس، وأنها متحركة معها

وترى هذه النظرية أن الكون يتكون من حوادث Events موجودة في هذا المتصل الرباعي وتسمى كلمة حادثة هنا أي شيء يسبق شيئاً آخر ويتمعه أو يتدخل معه، كما أن إدراك حقيقة أي جسم عبارة عن سلسلة مترابطة من الحوادث مثل شريط السينمائي الذي نشاهده، أي أن أي منظر نراه في هذا الفيلم إنما نراه كشيء واحد له ديمومة معينة وهو في الحقيقة حوادث متتابعة تبدو كشيء واحد ثابت، فوحدة أي جسم في هذا الكون تشبه وحدة هذا المنظر الذي يستعرق منا لمشاهدته، أي أن أي جسم مادي مألوف لدينا لا نراه شيئاً ثابتاً ساكناً، وإنما هو في الحقيقة مركب من مجموعة حوادث مترابطة حسب علاقات معينة.

إننا لا يمكن أن نتصور الزمان إذا لم تتحول المادة من حيز إلى حيز أي لم تنتقل أو تتحرك. ولما كان التغير بالزمان ناتجاً عن الحركة فقد حوى في طياته أيضاً المكان كقولك سار مسافة يومين أي قطع حيزاً مكانياً في هذا المدة من الزمان، وإذا لم تتحرك المدة في حيزها أو مكانها فإنها لن تنتقل ولن يحدث التغير، وبالتالي لا يحدث الزمان الذي يكون محمولاً دون الحركة.

٢ ٢ وإن كانت نظريات العلم الحديث قد أدركت ثنائية الزمان والمكان^(١) فإن الجماعة العربية الأولى كانت على وعي وفهم بمطرتها اليمسطة للملابسة الزمان بالمكان وارتباط كل منهما بالآخر، ويظهر هذا فيما تنقده لنا بعض المصادر في جواب اعرابية سألها أحدهم خاطباً: أين منزلك؟، فقالت^(٢)

أما على كسلان وإن مساعة وأما على ذي حاجة فيسير

يلاحظ أن لفظ الساعة قد جاء في جواب الأعرابية تعبيراً عن البعدين

(١) عرف القدماء الملاسة هذه الثنائية بمرل أرسطو في طبيعته بين الزمان هو عدد الحركة. ويصيف إلى ذلك قوله: «أن يكون شيء في الزمان يعني أن يكون ميساً» وذلك لأن الأشياء توجد مطوقه بالعدد كما هي مطوقة بمكانها

انظر كوستنتين بويكا، الزمن بين الواقع والمكر، مجلة ديوجين من ٥٩ عدد ١٥ سنة ١٩٧١

(٢) نجد البيت في رواية أخرى كما يلي

نعيد على من ليس يطيب حجة وأما على ذي حجة فيسير

انظر المصون، لأبي أحمد الحسن لعمري من ١٧٥ تحقيق عبد السلام هارون ط١ - الكويت

لمكانى والزمانى فبيتها بعيد قريب، بعيد على الكسلاى الوانى، قريب لصاحب الحاجة النشطل، الأول يصل إليها بمشقة ساعة قد تطول، والثانى يصل إليها بيسر وربعا فى أقل من ساعة

برى هذا الوعى على لسان الجماعة العربية الأولى أيضا عندما قالت على سبيل المحاز اتسع النهار أى امتد وطال، وفى قول أحدهم ليس عدى متسع من الوقت، فالسعة هنا عكس الضيق حيز مكانى، كما نجد هذه الدلالة المكسبة فى قولهم : دخلت الصلاة أى حان وقتها، وخرجت الصلاة أى ذهب وقتها.

وقد أدرك العلماء المسلمون هذه الثنائية أيضا، فهذا أبو على المروقى ت ٥٤٣. يقول، إن الدوات لا تحصل إلا فى مكان وزمان^(١)، كما ينص أبو حيان التوحيدى ت ٤١٤ « على أن المكان رديف للزمان »^(٢)، ويقول أبو حيان الأندلسى فى تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ لِمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ (الأنعام ١٢)، وقوله تعالى ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْبَيْتِ وَالنَّهَارُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام ١٢) لما ذكر تعالى أنه له ملك ما حوى المكان من السموات والأرض، ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار، وإن كان كل واحد من الزمان والمكان يستلزم الآخر، لكن النص عليهما أبلغ فى الملكية وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان^(٣) ونجد هذا التصور للزمان والمكان فى هذه الآية الكريمة، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التحيد ٣)، فالأول والآخر صفة للزمان، والظاهر والباطن صفة للمكان، فإليه مسجابه وسع المكان ظاهرا وباطنا، ووسع الزمان أولا وآخرا.

وكما فضل هؤلاء العلماء المسلمون إلى ثنائية الزمان والمكان فضل قبلهم الحاجة والفقير المسلمون إلى هذه الحقيقة أيضا عندما درسوا ظهري الزمان والمكان على صعيد واحد فى قسم المقعولات لأن لهما وطبقة واحدة هى وعائية الحدث، ويعكس هذا الإدراك التصور الناصح للعلاقة بينهما، فالمكان هو الحيز الذى يحل فيه

الحدث أو يتصور أن يحل فيه وبذلك ربطوا بين المكان والمكن فيه فقالوا من لعب ملعب وسبح مسبح، وطعم مطعم أى الأماكن التى يحدث فيها اللعب والسياحة والطعام، والزمان هو الوعاء الذى يحل فيه الحدث أو يتصور أن يحل فيه، فربطوا بين الزمان والمترمن فيه من الأفعال والأحداث^(١)

يقول سيبويه «... اعلم أن الظروف من الأماكن مثل الظروف من الليالى والاسد هى الاختصار وسعة لكلام، فمن ذلك أن يقول كم سیر عیبه من لأرض فتقول فرسخان أو ميلان أو بريدان، كما قلت « يومان وإن شئت نصبت وجعلت كم طرفا كما نصب ذلك فى اليومين فلا يكون طرف وغير طرف، لا على كم لانه عدد، كما كان ذلك فى اليومين ونظير متى من الأماكن أين، ولا يكون أين إلا للأماكن كما لا تكون متى إلا للأيام والليالى... فأجر كم فى الأماكن مجراها فى الأيام والليالى »^(٢). كما يقول سيبويه فى موضع آخر «... يتعدى (الفعل) إلى ما كان وقتا فى الأمكنة كما يتعدى إلى ما كان وقتا فى الأرسنة، لأن وقت يقع فى المكان ولا يخص به مكان واحد، كما أن ذاك وقت فى الأزمان لا يختص به زمن بعينه، فلما صار بمسرة الوقت فى الزمن كان مثله، لأنك قد تعمل بالأماكن ما تفعل بالأرمنة، وإن كانت الأرمنة أقوى من ذلك، وكذلك ينبغي أن يكون إذا صار فيما هو أبعد نحو ذهبت الشام، وهو قولك ذهبت فرسخين، وسرت الميلىن، كما تقول ذهبت شهرين، وسرت اليومين، وإنما جعل فى الزمان أقوى لأن الفعل بنى لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع، كما أن فيه بيان أنه وقع الحدث، والأماكن لم يبن لها فعل، والأماكن إلى الأساسى وبحوهم أقرب، ألا ترى أنهم يخصصونها بأسماء نحو مكة وعمان^(٣)».

(١) نجد المصرى يدرك بالمطرفة دمج الزمان بالمكان فى التعبير المشهور « يحرب بيت مسيك، فالتعبير يجمع المكان يضوى نرمان بيت + سبر، وإذا ترجم هذا التعبير بلمة نعلم وقابول الطاعة الذى يساوى كثة فى مربع + مربعة الصوء. وهو القابول الذى صنع القبة الدرية التى هدمت هيروشيم وندجراكى نجد هذا تعبير الذى يندعه المصرى بمطرفته يترجم قلوب بصفة

(٢) الكتاب ١ / ٢١٩ تحقيق عبد السلام هارون

(٣) انظر الكتاب ١ / ٢٦

(٤) يقول السيرافى شارحا كلام سيبويه «... يريد أن الفعل يتعدى إلى ما كان مضرا مساهمة من الأمكنة نحو الفرسخ والميل، وذلك أن الفرسخ والميل وما أشبهه يصلح وقوعه على كل مكان بترك المسافة المعلومة المقدرة، وسواء وقد لى العرب قد تستعمل التوقيت فى معنى التمدير وإن لم يكن زما، ألا ترى أن النسي ووقت الحج لكل بلد جعلها أماكن ١ / ٢٧ هامش الكتاب.

(١) المروقى الأرمنة والأمكنة ٧/١ ط حيدر ١٣٣٢

(٢) أبو حيان، تنقيحات ١١٧ تحقيق حسن السندويى. هو من والشوامس من ٣٠ تحقيق أحمد أمين

(٣) أبو حيان البحر المحيط ٤ / ٨٢

٢ ٣ لقد كانت حصة الارتباط بين الرمان والمكان ماثلة في أذهان النحاة واللغويين - كما سبق أن أشرنا - وهم يتعاملون مع مثل هذه الألفاظ :

الوقت: رأينا في النص السابق أن سيبويه قد استعمل اللفظ بدلالة مقدار من الرمان يتم فيه حدث ما، وبدلالة المكان أيضا لأنه مقدار مثله

المبشرات: استعملت الجماعة العربية هذا اللفظ بدلالة المكان والرمان لمصروب يقول ابن الأثير : قد تكرر ذكر التوقيت والميقات وهو أن تجعل لشيء وقتا يختص به، وهو بيان مقدار المدة يقال وقت الشيء يوقته إذا بين حده ثم اتسع فأطلق على المكان^(١)، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْأَرَائِلَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة ٤٩، ٥٠)، أى في زمان ومكان معين وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ (الأعراف ١١٣)، وثمة فرق بين الوقت والميقات يكمن في أن الميقات ما قسروا ليعمل فيه عمل من الأعمال، و لوقت وقت الشيء قدره مقدر، ولهذا قيل : مواقيت الحج للمواضع التي قدرت للإحرام^(٢).

المرصد: يستعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان والرمان، وقد جاء في قوله تعالى ﴿ فَاقْبَلُوا إِشْرَاقَهُ حَيْثُ رَحِمْنَاهُمْ وَحَدَرْنَاهُمْ وَحَصَرْنَاهُمْ وَفَعَدْرَاهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (التوبة ٥)، يشرح أبو حيان اللفظ بقوله : المرصد فعل من رصد يرصد رقب يكون مصدر أو زمانا ومكانا، تقول أرصدته إذا قعدت له على طريقه ثرقه، و لترصد والإرصاد الترقب والترقيب، ولا يكون الترقب والانتظار إلا في زمان ومكان محددين^(٣).

لشاهد: جاء اللفظ في قوله ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (مريم ٢٧)، يشرح أبو حيان اللفظ من خلال تفسيره لهذه الآية قائلا : ... مشهد مفعل من الشهود وهو الحضور، أو من الشهادة ويكون مصدرا ومكانا وزمانا، فمن

الشهود يحوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والحراء في يوم القيامة، وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود، ومن الشهادة يحوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة وأن يكون من وقت الشهادة، واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة^(٤).

المطلح: تستعمل العربية اللفظ بكسر اللام لمكان الطلوع ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَدِيعَ رَافِعُ اسْمِ اللَّهِ وَحَدَاهُ صُلُوعٌ عَلَىٰ قَوْمٍ * أَلَيْسَ لِكُلِّ أَفْجَىٰ نَجْمٍ * الْفَجْرِ ﴾ (القدر ٥)، أى وقت طلوع الشمس^(٥)، ونجد الفقهاء يتحدثون عن اختلاف المطالع، كأن يكون الوقت صباحا في بلاد يواقع المساء في بلاد أخرى، والمطالع تعنى هنا ارتباط الأوقات بالأماكن.

السوراء: تستعمل اللفظ بدلالة ظرف المكان عكس قدام وبدلالة ظرف الزمان أيضا، يقول أبو حبان في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مِّنْكَ يَأْخُذُ كُلٌّ سَفِيَةً غَصْبًا ﴾ (الكهف ٧٩)، هذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعهم يأتي بعده في الزمن عصب هذا الملك... قال السوراء لا يحوز أن يقال للرحل من يدريك وهو وراءك، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والندهر، تقول وراءك برد شديد، وبين يدريك برد شديد، حار الوجهان... قال إنما حار هذا في ثلعة لأن ما بين يدريك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك^(٦)، كما يذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ وَبَنِي هَافِ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَافِيَا ﴾ (مريم ٥) من ورائي أى من بعدى أو بعد موتي.

السوام: يدل اللفظ على الاستمرار في الزمان والبقاء في المكان، ومن ذلك

(١) ابن الأثير النهاية ٢١٢ / ١ تحقيق محمود الطحاحي

(٢) انظر كتاب لمروق لأبي هلال العسكري ص ٢٢٤ ومفهوم الوقت ص ١٣٢، ١٢٤ من الدراسة

(٣) أبو حيان البحر المحيط ٥ / ٣ اللسان رصد.

(٤) لاحظ الاسم الذي تحمله مصالحة الأرصاد الجوية التي تهتم بمراقبة الظواهر الجوية من حرارة وبرودة

ومخاطب ومطر التي تحدث في مكان وزمان معينين

(١) البحر المحيط ٦ / ١٩

(٢) اللسان مطلع. (٣) البحر المحيط ٦ / ١٥١

قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُحِبُّهَا أَبَدًا مَا دَعَا فِيهَا﴾ (الشعراء: ٢٤)، وجاء في لسان العرب دَوَّمَ الرجل يتدوّمه الو و بمعنى أبعد وأعمق في السير، وأصله دام يدوم، والديمومة القلّة، سميت بذلك لدوام السير فيها تبعدها، كأن امتداد زمان الحركة يتطلب عددا مكانيا، كما قالوا أيضا الديمة للمطر الذي يسقط في مكان ما يوم وليلة، وقيل المطر الذي يستمر خمسة أو ستة أيام^(١).

الخلود : الدوام والبقاء في الزمان والمكان لمدة طويلة، وقيل البقاء السرمدي، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ولكنه أحلّه إلى الأرض وشع هو﴾ (الأنعام: ٧٦) وقد سميت الحجارة والصخور والحبال بالخوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال^(٢).

الآبد : يعرف المعجم اللغوي بأنه الزمان السرمدي والدوام في المكان أيضا، تقول آبد بالمكان يآبد أبودًا أقام به ولم يرحه، وأبدًا طرّف زمان لاستعراق النفي أو الأثبات في المستقبل واستمراره تقول ساطل في هذا البلد أبدًا أي لا أبرحه ما دمت حيا^(٣).

الحضور : يعنى اللفظ الحضور في الزمان الحاضر عكس الماضي والحضور أيضا الوجود في المكان والحاضر عكس الغائب، ومن هذا قولهم حضرت الصلاة أي جاء وقتها^(٤).

المصى : يستعمل اللفظ بدلالاتي الزمان والمكان، تقول مصى الشيء يمصى مصيا ومصاء^(٥)، انتقل من الوقت الحاضر إلى الوقت السالف ومن ذلك قوله تعالى ﴿فأهلك أشدّ منهم بطشا ومصى مثل لأولى﴾ (الزخرف: ٨)، كما تقول مصى الرجل يمضى بمعنى غادر المكان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَتْلُجَ مَجْمَعَ بَحْرَيْنِ أَوْ أَمْصِي حَقْبًا﴾ (نجم: ٦).

وهكذا كانت الجماعة العربية تمارس وجودها بالفاظها التي تو صعب

(١) اللسان دوم

(٢) اللسان حلد.

(٣) اللسان مصو

(٤) اللسان حصر

(٥) للسان آبد انظر من ٩٣، ١٢١، ٢٠٤ من الدراسة.

و اصطلحت عليها بالكيفية والضرورة معا، الكيفية في المكان والضرورة في الزمان، لأن المكان يعمل على إيجاد التعاقب في الزمان، والزمان يعمل على إبعاد التعاقب في المكان، ولهذا التعاقب كيف وكه، أي أن الجماعة العربية الأولى جعلت الزمان كما في ذاته وكيف للمكان، والمكان كما في ذاته وكيف للزمان، أي أن كلا منهما أصبح كما وكيف في آن^(١) فمن هنا كان هذا المفهوم كامنا في مثل هذه الألفاظ التي عرضنا لها، وقد اهتمت إليها الجماعة العربية الأولى بفطرتها الدكية الواعة، ولم تحمل ألفاظها فقط مفهوم ملايسة الزمان للمكان، وإنما حملته أيضا تصوراتهم الذهنية التي سجلها القرآن الكريم الذي نزل بلغاتهم وحطابهم بما تعارفوا عليه، انظر إلى قوله تعالى في تصوير الحركة لرمكية للممر ﴿هو الذي جعل لشمس صباء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس: ٥)، لقد كانت الجماعة العربية الأولى تعرف أن الشمس والممر منازل ينتقلان خلالها في مسيرتهما، وأن هذا الانتقال يتم في المكان أي في هذه المنازل، وفي الزمان أي في دورات زمانية تمثلها الأيام والشهور والفصول، كما نجد هذه الحركة الزمكية للرياح في قوله تعالى ﴿ولسلباد الريح غدوها شهر وروحها شهر﴾ (سب: ٢) يقول أبو حيان في مسير هذه الآية «سخر الله الريح لسليمان تجري بأمره فكانت تقطع البعد إلى قرب الروال مسيرة شهر، وفي الرواح من بعد الزوال إلى العروب مسيرة شهر، فكان يمسير كل يوم مسيرة شهرين»^(٢)، يقترب مفهوم هاتين الآيتين من الحديث المشهور «نصرت بالزعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وظهورا»^(٣)، المسيرة مصدر بمعنى السير كالعيشة بمعنى العيش، ومسيرة شهر أي المسافة التي يسار فيها مدتها هذا القدر، يقول ابن الأثير في معنى الحديث: «أي إذا كان بينه وبين أعدائه مسيرة شهر خافوه وفرعوا منه»^(٤)، يقول ابن حجر «جعل القاية

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ٣٦٤

(٢) ورد الحديث في البخاري في أبواب التيمم والصلاة والجهاد بروايات مختلفة.

انظر البخاري ١ / ٩١ ط الشعب وصحيح مسلم يشرح النووي ٢ / ١٥٤ ط الشعب

من هذا القبول ما ورد في صحيح مسلم «إن هجر جهنم لسبعون خريفا» باب الإيمان ٢٢٩

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢٣، ٢ / ٢٢٤

شهرًا لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه»^(١)، كما يقول العيسى «البكتة في جعل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بين المدينة وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر»^(٢).

٣ - ١ الزمان والإنسان : عرفنا في الثنائية الأولى للزمان أن الحركة هي التي تحدد للزمان كميته، وعرفنا في الثنائية الثانية أن المكان هو الذي يساهم في تحديد هويته، ومنعطف في هذه الثنائية الثالثة أن الزمان هو المقياس الذي ابتدعه الإنسان في تصور كمي هندسي ينظم به حياته، ونلاحظ أن من خصائص هذا الزمان الكمي أو الموضوعي أنه من نتائج ظواهر الطبيعة أي أنه ليس تابعاً من خبرات ذاتية للإنسان، ومن ثم فإن قياس الوقت وتحديدته يتم وفقاً لدورتين: كونية Cosmic cycle ونسابة Human cycle^(٣).

إن الإنسان يدرك الزمان من خلال هذا التصور الكمي الموضوعي وكما تحدده لساعات والتقويم التي اخترعها ولكنه يحد نفسه - وهو ينظم حياته وفق هذا الزمان الموضوعي - ضحية مفارقة ظاهرة يشعر بها وحسها، إنه يجد نفسه بين شقي رحي، زمان موضوعي من معطيات القياس والحساب والآلات، وزمان ذاتي من معطيات المشاعر والأحاسيس والحالات النفسية وقد يبدو من خلال هذه الممارقة أن كلا من الزمانين متفصل عن الآخر، مع أن الزمانين من صعب الإنسان، ولكن مع التسليم بحقيقة المفارقة فإننا يجب أن ننظر إليها من خلال ثنائية تحكم الإنسان ونعني بذلك ثنائية العقل والقلب، الجسد والنفس، القوة والضعف، الأمل واليأس، الصواب والخطأ.

وإذا كان العقل الإنساني هو المسئول عن اختراع الزمان الموضوعي الذي يشترك فيه جميع البشر، فإن النفس الإنسانية هي المسئولة عن الزمان الذاتي الذي يختلف لدى جميع البشر، إن هذه الممارقة التي يعيشها الإنسان مع الزمان تقوده في

كثير من الأحيان إلى عدم الاعتراف بالوقت الناتج من حركة الأرض وهي تدور حول محورها أو حول الشمس، إنه لا يشعر بهذا الزمان الكمي لأسباب بدنية صحية، أو بفسية شعورية، ولكن يشعر بهذا الزمان الكمي، ولعل هذا التصور للزمان جعل بعض الدين اهتموا بظاهرة الزمان مثل الفيلسوف الألماني هايدغر Heidegger يقول «إذا كان الزمان أحد المقولات الأساسية للوجود فإننا نعني بهذا الزمان الذي يختبره الفرد ذاته لا كما يسجله العالم الطبيعي، وبما أن حياة الإنسان تعاش في ظل زمان، فإن الزمان جزء من خبرتنا الدتية، وليس فقط جزء من طبيعته»^(٤) ويؤكد ذلك بحث "حر فثلا" «... الزمان بعد فعال في شخصية الإنسان ووجوده ولا يمكن حصره بمفهوم ثابت لأنه دائب الحركة والتغير»^(٥)، ويقول باحث ثالث «إننا نعرف زمانين، زماناً ظاهراً نعرفه من خلال الليل والنهار، ونقيسه بحطوط الطول والعرض، ونعبر عنه بفترات زمنية محددة مثل الساعات والدقائق، و زماناً باطنياً لا نعرف له وجوداً حقيقياً ولكن كل ما نعرفه هو آثاره التي تدل عليه، فكل منا يحمل بين ثيابه صنووعه وحلاياه وأوسعته مؤشرات مثيرة تبدو لنا كأنها ساعات مصبوبة»^(٦).

وإذا كان هناك ساعات خارج الإنسان تدله على الزمان، فإن في داخله أيضاً ساعات من نوع آخر تحدثه عن إحساسه بالزمان، إن دقائق قلب الإنسان التي تعني استمرار حياته قد تشبه دقائق الساعة التي تعلن ديمومة الوقت وتحديدته، وقد ترجم شوقي هذه الحقيقة في بيت جرى محرى الأمثال فثلاً :

دقائق قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان مرور ثان

كما أن حركتي الشهيق والزفير للزمتين يترجمها القول المأثور : إن الإنسان أنفاس معدودة في أماكن معدودة ٢.

(١) هابر مايرهوف الزمن في الأدب ٢٤ - ٢٥ ترجمة د. أسعد مرزوق القاهرة ١٩٧٢

(٢) د. فخرى الديباغ أصول الطب النفسي ٢٩، تلوسل ١٩٧٧

(٣) د. عبد المحسن صالح الزمن بيولوجي ص ٩ محله عالم الفكر عدد ٢ المجلد ٨ ١٩٧٧

(١) فتح الباري ١/ ١٥٤

(٢) عصمة، القارى ١/ ٤

International Encyclopedia of social sciences p. 30, vol. 16

إن الإنسان يخبر الزمان من خلال عاملين^(١)

١ . التقاع أو التسلسل Sequence الذي يلاحظه من خلال التغيرات المحسوسة فيما حوله

٢ . الديمومة أو الاستمرار Duration التي تختبئها هذه التغيرات.

إن التغير هو الذي يجعل الإنسان يشعر بالزمان، والزمان على ذلك حالة من الحالات التي تمر بالموجودات والكائنات، أو هو التغير الذي يطرأ عليها، كما أن الإنسان لا يعي الزمان الموضوعي بالتغيير الخارجي فقط، من خلال تنابع أوقات يومه من سحر وفجر وصبح وظهر وعصر ومغرب وأصيل وعشاء، لكنه يعي بمصر القدر الزمان الذاتي أيضا من خلال تنابع أطوار عمره جسما وعقلا^(٢)، انظر قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّن مَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرْبٍ ثُمَّ مِنْ نُّفُثَةٍ نَّهْمٍ مِّنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَّصْغَةٍ مُّخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِّبَاسٍ نَّكَمٍ وَنَعْرِ فِي الْأَرْحَامِ مَا شَاءَ بِيْ أَحَدٍ مِّمَّنْ ثُمَّ نَحْرُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ نَبْلُغُهُ أَشُدَّكُمْ وَمِمَّنْ مِّنْ يُّنْفِقُ وَمِمَّنْ مِّنْ يُّرْدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (الحج ٥)، إن مصموم هذه الآية يصور لنا مدى الارتباط الوثيق بين حياة الإنسان والزمان، إنه ينخلق ويتكون عبر الزمان، كما تنص على ذلك آية أخرى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنًا قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي إِنِّي أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ ﴾ (الاحقاف ١٥٠).

إن الإنسان لا يشعر بالزمان فقط من خلال ما يلاحظه من تغيرات تلحق ما حوله من جمادات وكائنات، ولكنه يشعر بالزمان أيضا من خلال ما يشعر به من تغيرات على المستويين الجسمي في طموته وشبابه وشيخوخته، والذهني في ماضيه

(١) انظر International Encyclopedia , p . 25 , vol . 16
(٢) نجد على سبيل المثال بعض الأحاد المتميزين يسجل أو يمسدعي ما مر به خلال زمان حياته ويصطلحها فيما يعرف باسم المذكرة الذاتية autobiography أو يسجل ما يمر به من أحداث في مذكرة يومية private diary التي تتحول إلى مذكرات memoris فيما بعد انظر من ٥٣ فقرة ٣

وحاضره ومستقبله^(٣)، وهو في كلتا الحالتين يعبر عن هذه التغيرات بالقاطع ورموز تختلف من ثقافة إلى أخرى^(٤)، انظر على سبيل المثال قول حاتم الطائي^(٥)

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد
يرد علينا ليلة بعد يومها
كذلك الزمان بيننا يتورد
فلا نحن نبقى ولا الدهر سدد
ويقول آخر .

أشباب الصغير وأفتى الكبير
مر الفداة وكر العشى
وإذا كان الإنسان كما يقول ميرهوف Meyer hoff قد تحلق وتكون في رحم الزمان لأنه حسب الاصطلاح الأرسطي الشرط الدائم لتحويل الصيرورة إلى كينونة والموت إلى الفعل والنقص إلى الكمال^(٦)، فإننا سنجد هذا الزمان الباني هادما لما ساء مرة أخرى، لأن ما يولد في رحم الزمان يبتلع ثانية ولا شيء يستطيع الصمود أمام منجل الزمن^(٧)، إن الزمان مع الإنسان يتصف بالذاتية والموضوعية كما يتصف بأنه بان من ناحية وهادم من ناحية أخرى، من خلاله تنمو حياته وترتقى، ومن خلاله أيضا تتحدر حياته وتدهور، ولهذا فإن الإنسان كثيرا ما يفزع من الزمان بوصفه مرادفا للموت والى، وقد ترجم هذا الشعور حاتم الطائي قائلا^(٨) :
وما هي إلا ليلة ثم يومها
مطايا يقرين الصحيح إلى البلى
وحول إلى حول وشهر إلى شهر
وبدين أشلاء ألهمام إلى القبر
كما صبر عنه شاعر آخر بقوله^(٩) :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بى
ويسلب ما أعطى ويمسح ما أسدى

(١) لنهاية من غريب الحديث ٣ / ١٧٩
(٢) انظر International Encyclopedia , p . 26 , vol . 16
(٣) ديوان حاتم من ٣٦٢ تحقيق د. عادل سليمان ط. المدنى القاهرة ١٩٧٥
(٤) ميرهوف الرس في الأدب من ٧٦
(٥) المصدر نفسه ٨١
(٦) ديوان حاتم من ٣٧
(٧) ابن أبي حديد شرح نهج البلاغة ٢١٢١٢ تحقيق أبو المصلح إبراهيم ١٩٧٢

وقد ردَّ الله سبحانه ظن هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَقُلُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَحَيَاتُنَا مَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا نَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الحاقة: ٢٤) (١).

٣ - ٢ وإذا كان الزمان الداتي للإنسان كما رأينا زمانا بابيا هادما، فهو أيضا زمان كيومي نسبي لأنه لا يتغير بحركات الكواكب الأرض والشمس والقمر فقط ولكنه يعبر بحالات الإنسان النفسية (٢)، فرب ساعة من زمان تمر بشخص كأنها دقائق، وتمر بشخص آخر كأنها ساعات وفي الحقيقة إن الزمان لم يقصر عند هذا، ولم يطل عند ذلك إلا باختلاف الحالة النفسية التي أسرعت بحركة الزمان بدواع شعورية مثل السعادة والاطمئنان والأمل، والحالة النفسية التي أبطأت بحركة الزمان بدواع شعورية مثل الحزن والقلق واليأس، انظر على سبيل المثال إلى ذوبان قطعة السكر في كوب الشاي الذي يستغرق مثلا قدر دقيقة من الزمان تعبر عن ديمومة المادة في مقابل ديمومة النفس لدى شارب كوب الشاي المطمئن المتأن، ولدى شارب كوب الشاي القلق المنسرع الذي يتملح ذوبان قطعة السكر وتكاد تقصمه تتعبد على منطلق العد والكم الرمادي، وعلى ما يبدو أن هذه فطرة الإنسان أنه يطلب دائما الشيء ويتحرره قبل وقته، انظر قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١).

إن الزمان الداتي لا يخضع للقياس بمساعات أو ببالات الرصد وإنما يخضع كما سبق أن أشرنا لحالات الإنسان النفسية والشعورية، ونجد العربية تصور حابيا من ذلك في بعض الأقوال المأثورة «يوم السرور قصير، وأطول من يوم المراق»، وكما نقول بعض الباحثين أن حالة الفسق تجعل الإنسان يشعر بالحركة البطيئة للزمان، وكما أراد هذا الفسق وبلغ قمته يشعر بأن الزمان قد توقف نهائيا (٣).

(١) نصت الأديان السماوية على معنى ما يظنه البعض من أن حياة الإنسان تنتهي بدموت وأقررت بأنه سيمعيش زمانا آخر انظر قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (نجم: ٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّىٰ لِيَجُوزِيَ مِنْ خَلْقٍ خَالِدِينَ فِيهِ﴾ (النساء: ٧٢).

(٢) انظر من (٤٦، ٤٧) من الدراسة.

(٣) د. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي ١٤٠.

ويؤكد باحث آخر هذا بقوله: «إن الاكتئاب هو شعور متوقعه الزمن الداتي، وهذا يدل على أن الزمن عامل فعال في شخصية الإنسان» (١)، انظر إلى قول أبي فراس وقد وقع أسيرا في يد الأعداء (٢):

تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر لا يمـسـرك طول
وقول النابغة شاكيا همومه لاينته (٣).

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاـسيـه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمقص وليس الذي يرعى النجوم يائب
ويمكن أن نرى هذه الحقيقة واضحة جلية إذا تصفحنا دواوين بعض الشعراء الذين حاصوا تجربة الحب وعاشوا زمان العشق الذي كان يطول ويقصر مع المحبوبة، فهذا عمر بن أبي ربيعة يقول (٤):

الشهر مثل اليوم إن رصيتُ واليوم إن غضب به شهر
كما يقول: يطول اليوم فيه لا أراكم ويومى عند رؤيتكم قصير
وهذا عباس بن الأحنف يقول (٥):

اليوم مثل العام حتى أرى وهذا ثالث يقول (٦):

أحو الهوى يستطيل الليل من أرق وليل الهوى سنة في الهجر مدته
لكنه سبه في الوصر من قصر

(١) د. محري الديباغ أصول الطب النفسي ٢١.

(٢) بيوتة الدهر ٢ / ١٦٢ تحقيق مجيب الدين عبد الحميد.

(٣) الأغاني ١١ / ٢٨٠٢ تحقيق إبراهيم الأبياري ط. الشعب.

(٤) ديوان عمر بن ١٥٧ / ١٥٨ تحقيق مجيب الدين عبد الحميد.

(٥) ديوان ابن الأحنف ١٢١ تحقيق عاتكة الحوررجي.

(٦) نصوص زهر الأكم ٢ / ١٧٧٩ تحقيق د. محمد حجي.

لاحظ لفظ السنة في الشطر الأول يفتح السين وفي الشطر الثاني يكسرها

نقد تحدث هؤلاء المحبون الذين عاشوا زمان العشق ليلا فهو قصير في
الوصل والقرب، طويل في الهجر والبعد، يقول الوليد بن زيد (١) :

والليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها
ويقول عمر بن أبي ربيعة (٢) :

فيالك من ليل تقاصر طولها وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
يقول حبيب بن عيسى الكاتب (٣) :

إذا حلونا ليلة مشهورة طاب الحديث وعفت الأسرار
فكأنها كانت علينا ساعة وكذا ليالى العاشقين قصار

يقول صاحب رهر الأكمل (٤) : ... اعلم أن للشعراء في الليل مقصدين لعاشر
متدبسين فتارة يستطيلونه ويستطئون الإصباح، وذلك لأجل الاختناق وشيأريح
الاشواق والفراق، وتارة يستقصرونه ويودون أن لو دام، وذلك عند احتناء ثمرات
الوصال والاشتغال بلذات الإقبال فمن الأول قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبيلى
ألا أبهى الليل الطويل إلا أجلى يصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومن الثاني قول الوليد بن زيد .
والليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

٢ ٢ لقد وصفنا الزمان الذاتي بأنه زمان بان هادم، وزمان كيمي وسسى،
ويمكن أن نضمه أيضا بأنه زمان مسترحج ومستشرف معا (٥)، إن الانسان عالما ما

(١) انصهر نغمه ٢ / ١٨٢

(٢) ديوان عمر ١٦٦

(٣) ابن أبي عيون التشبيهات ٢٩٦ تحقيق د. عبد المعين حان كمبردج ١٩٥٤.

(٤) الحسن اليوسفي رهر الأكمل ٢ / ١٧٤

(٥) انظر كويستنتش نويكا الزمن بين الواقع و نكر ص ٦٢ .

مجلة ديوبحيين مطبوعات اليونسكو عدد ١٥ سنة ١٩٧١ انظر هامش ٢ ص ٢٨

يشعر بمقدار الزمان الموضوعى وصياغه ولا يستطيع استرجاعه مرة أخرى، أما
الزمان الذاتى فيه محتزن في الذاكرة يستطيع الإنسان أن يسرجعه ويستعيد به بكل
تفاصيله في معظم الأحيان، إنه يمكن أن يعود بالذاكرة إلى زمان الطفولة، وربما
الصبا والشباب، وكما يستطيع أن يعيش الماضي بكل تفاصيله التى مرت به، ويمكن
أن يعيش المستقبل أيضا ويستشرفه بالعمل والنهجد من أجل تحقيق أهدافه ومآله
التى يسعى إليها، ويضع الخطط والبروتيات الموقوتة باليوم والشهر والسنة.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن الفرق بين الزمان الموضوعى والزمان الذاتى أن
الأول هو نتاج حركات الكواكب ويشارك فيه جميع الأفراد، أما الثانى فهو نتاج
حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه محتلمون، حتى إننا يمكن أن نقول إن لكل منا
زمانا خاصا يتوقف على حركته وحبرته الذاتية، فهناك من يعيش الماضي وذكرياته،
وهناك من يعيش المستقبل ومتطلباته، ويمكن أن نشبه الأول بالشخص الذى يختار
مقعده في القطار بحيث يرى المشاهد الماضية التى مر بها القطار، ويمكن أن يشبه
الثانى بالشخص الذى يختار مقعده في القطار بحيث يرى المشاهد الآتية التى سيمر
بها القطار، فالشخص الأول متفرج ساكن، والشخص الثانى مترقب متحرك، وهكذا
حياة الأفراد بل الجمادات أيضا، فمنهم من يركن إلى الماضي كل يوم مقتنرا أو
متأسفا، أو كما يقول ابن الرومي (١) :

شعار القسنى ذم الزمان الذى أتى ومن شأنه حمد الزمان الذى مضى
ولم لا وفى الآتى أحو العيش يحتوى وفى الزمن الماضى أحو العيش يرتضى

ومنهم من يتطلع إلى المستقبل يدبر له ويخطط من أجل عيش أفضل، يسير
مع الزمان وقد يسابقه، كما يقول الشاعر (٢) :

أخط مع الدهر إذا ما خطا وسجر مع الدهر كما يحرى

(١) الديوان ٤ / ١٣٨٣ وانظر الأكمل ٢ / ١٠٤

(٢) اعادت بعض المجتمعات الحديثه و تصميمه حفظه بحصنها و لإيلاء عليه بإنشاء المنحصر وإقامة النصب

استذكارية لمخيل ما مر بها من أحداث ومخيل موتاما يعمل السمائل

إننا إذا تصفحنا كتب اللغة والأدب والتاريخ عرفنا أن الزمان الماضي كان زماناً مهماً في حياة الجماعة العربية الأولى لأنه مستودع المآثر والأسباب والثرات^(١). وليس من قبيل المصادفة أن يسمى التاريخ عندهم بالأيام، كما نجد هذا الاهتمام بالماضي في ظاهرة نكاء الأملال والوقوف عليها في الشعر العربي وعلى ما يبدو أن هذا الاهتمام بالماضي والاكفاء عليه، والتردد في التعامل مع المستقبل والتصور بالتالي من التغيير أصبح سمة ملحوظة من سمات مجتمعات العربية مما جعلها في حالة من اليأس الرماني أو الحصري.

★ ★ ★

الفصل الثاني الزمان والبيئة

١ ١ يعتبر مفهوم الزمان كما سبق أن أشرنا من أهم المفاهيم التي ترتبط بحياة الإنسان ارتباطاً وثيقاً، ويجد هذا المفهوم يتحدد بمعنيين : عامل مادي يمثل في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، وعامل معنوي يمثل في ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.

إن الإنسان والبيئة والمجتمع ثلاث دوائر متشابكة تكون ثقافة أي جماعة إنسانية ونعني بالبيئة الظواهر المادية التي يعايشها الإنسان، وتتمثل في الأرض التي يعيش عليها صحراوية مترامية، أم زراعية سهلة، أم جبلية وعرة، والمناخ الحار أم البارد أم المعتدل، وما تعرفه الأرض من نباتات وحيوانات تتكيف مع المناخ.

إن البيئة شاء على ذلك بقعة من الأرض يتحدها الإنسان وكيف حياته عليها، ويعيش فيها بالطريقة التي تلائمها، أما المجتمع فهو مجموع الأفراد الذين يشأ بينهم ويلتقي معهم الإنسان بعادات وأعراف وعقائد وأفكار يعق معهم عليها.

إن ثقافة أي جماعة هي نتج التفاعل بين الإنسان والبيئة حيث تتولد عن هذا لتفاعل عناصر الثقافة المختلفة مثل أنظمة اللغة والدين و نمراة الزمان والمآكل والمشرب والسكن والملبس وغير ذلك، لقد تعلم الإنسان نتجة لهذا التفاعل كيف يبنى لنفسه المسكن الذي يحقق له الحماية، وكيف يصنع لنفسه الملابس ليحفظ جسمه، وكيف يشبع جوعه باستخدام ألوان الطعام المتاحة له في البيئة من النباتات والحيوانات، ويتعلم كيف ينظم نشاطه وعمله بتقسيم الزمان إلى أوقات من حلال لظواهر الطبيعية الموحدة في البيئة، بمراعاة بحوم السماء التي تعتبر أول ساعة

(١) نلاحظ أن لإنسان العربي عكس الإنسان الغربي يتكلم عن المستقبل أكثر مما يتكلم عن الماضي، وبعل من نتائج هذا الاهتمام ظهور ما يسمى باسم علم المستقبل Futurism لدى الأوروبيين، انظر على سبيل المثال Avim Tottler - future shock 10 th printing Bantambook N Y 1917 Joseph Coast & Jencfar Jarrat : What futurists Believe, Lommand & world future society N. Y 1989

عرفها الإنسان، ومتابعة الشمس والصمر وما ينتج عنهما من ظواهر طبيعية مثل الشروق و لغروب والضحى والليل و لجزر والمد.

إن مفهوم الزمان لدى المجتمعات الإنسانية يرجع في المقام الأول إلى إدراك هذه المجتمعات لظواهر الطبيعة التي تكرر نفسها في دورات رمانية، ولعل هذا الارتباط الوثيق بين الزمان وظواهر الطبيعة جعل اللغة المرسية تستعمل لمصطلح temps الزمان في قول أحدهم : ليس لدى وقت Je n' ai pas le temps أو بدلالة الطقس في قول أحدهم : الطقس بارد Le temps est froid. ومن هذا القليل ما يذكره المبشر مونتوييني mongo Beti الذي عاش بين قبائل البهوان في أفريقيا من أن أفرادها يحسبون أعمارهم بتعاقب المصول كأن يقول أحدهم إنه شهد مائة فصل، ويحدد المبشر دلالة الفصل بأنه الزمن ما بين بذر الحبوب و لحصاد، ولما كان في لسنة فصلا لأن في كل مرة توحد دورة حصاد ودورة بدر - فعلى ذلك يكون عمر هذا الشخص الذي شهد مائة فصل خمسين عاما (١).

ولى جانب هذه الظواهر الطبيعية التي تلعب دورا مهما في تحديد أوقات الرمان تعرف المجتمعات الإنسانية من خلال تفاعلها مع البيئة التي تعيش فيها مقاييس أخرى لتحديد أوقات الزمان، وتذكر لنا بعض الدراسات الأنثروبولوجية أن بعض القبائل الأفريقية مثل قبائل البوير تعلق أهمية كبيرة في تحديد الأوقات على حركات الأحرام السماوية واتجاه الريح وحرارة الطيور، هذا إلى جانب ما يقومون به من أعمال ومناشط عادية رتيبة في حياتهم اليومية فتجد عندهم تعبيرات زمنية مثل «سأعود عند حلب اللبن، أو سأرحل عندما تعود العجول من المراعى» (٢)، كما نجد أن الرمان لدى قبائل الهوبي من الهنود الحمر ليس مجرد تعاقب أو ديمومة متماثلة ولكنه تعدد أشياء مختلفة متعايشة، فهذا يحدث حينما «تتصج الذرة» أو حينما «تكثر الماشية» (٣) (٤).

(١) جوريق ماري أوما « أسطورة السن » ص ١٣ مجلة ديوجين عدد ٢١ - ١٩٧٢

(٢) د. أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي ١ / ٥٠ الكتاب العربي ١٩٦٧

(٣) ما كلوهان كيف مهم وسائل الاتصال ص ١٦١ ط. دار النهضة ١٩٧٥

(٤) عرف الصينيون وأنيابانيون قبل استعمالهم للساعات الآلية في القرن ١٧ قياس الوقت بواسطة بيخور، فقد كانت مجموعة من الروثج المتدرجة بدقة تعين في آن واحد ليس فقط الميعاد و الأيام بل المصول وموسم البروج، انظر ماكلوهان ، كيف مهم وسائل الاتصال ص ١٦٠

تعرف كثير من اللغات الأفريقية مثل اللغة اللوسندية التي يتكلم بها الأوغنديون تعبيرات رمائية دابة من البيئة لتقسيم أوقات اليوم، فوقت السحر يحدد بقولهم matan sejjere بمعنى التعبير حرفيا وقت إمساك السم، ويحدد وقت الشروق بقولهم Kiny - Wambogo بمعنى التعبير حرفيا وقت شرب الجاموس، ويحدد وقت الصبح بقولهم Kalasa mayanz بمعنى لتعبير حرفيا وقت انتشار الجراد، ويحدد وقت الظهر أو القيلولة بقولهم Gandalo ويعنى التعبير حرفيا وقت تمديد الأعضاء أى الاسترخاء (١) وهو ما تعبر عنه العربية بالقيلولة

وقد عرفت العربية مثل هذه التعبيرات في قولهم « هواق ناقة » بمعنى القليل من الوقت، وهو قدر من الرمان اعتادت الجماعة العربية الأولى أن تريح فيه الناقة بعد الحلب، وقد جاء في الحديث: « عيادة المريض قدر هواق ناقة » (٢)، كما نجد استعمال لفظ الغب بمعنى شرب الإبل يوما بعد يوم، وقد جاء في الحديث « أغوا في عيادة المريض » (٣).

يشير المرزوقي في كتاب الأرمية والأكمنة إلى ما اهتم به الأنثروبولوجيون المحدثون في دراستهم لثقافات المجتمعات الإنسانية قائلا « .. اعلم أن العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تحاربهم من أحوال الرمان وتعاقب الشهور والأيام واختلاف المصول والأيام والأعوام، وبما يتجدد فيها من الأحداث، فهم على اختلاف ديارهم وتباين أوطانهم وتفاوت مهمهم تراعون من هبوب الرياح وطلوع الكواكب وتبدل الأوقات ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر و لور وقطان البدو، وليس ذلك مستحدثا فيهم وإنما هو عادة منهم يتوارثونه الحلب عن السلم، والعابر عن الماصي ومقاييسهم طول الدربة ودوام التققد » (٤).

كما نجد وسائل أخرى عرفها المجتمعات الإنسانية لقياس الوقت مثل الشموع Candles والساعة الشمسية Sundial والساعة الرملية Sandial انظر International Encyclopedia, p. 23, Vol 16

(١) حديث بذلك أحد الطلاب الأوغنديين بمعهد اللغة العربية لعبر الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٧٨ وص ٧٩، ٨ من لدراسة

(٣) مصدر نفسه ٣ - ٣٢٦

مرزوقي ٢ - ١٠٠

كما يشير أبو حيدن النوحيدى مثل البرزخى إلى علاقه لزمان يدلبيته عند العرب مثلا «... إن العرب نظروا إلى الزمان واختلافه فجعلوه ربيعيا وصيفيا وقيظيا وشتويا ثم علموا أن شربهم من السماء فوضعوا لذلك ألقابا وعرفوا نهر الزمان فجعلوا منارله في السنة وحتاحوا إلى الانشراح في الارض فجعلوا نجوم السماء أنه على أصرف الأرض وأقطارها فسلكوا بها ليلاد»^(١)

ثم ارتبط الزمان عند الجماعة لعربيه بشربهم لصعوبة رشاظا وثبت وقد يظن البعض أن العربيه شأب في صحراء حاوية لا فئمه لوقت عبد أمهيا ولهذا هربها تحلو من التوقيت الدقيق في تميز الأفعال والأحداث، ولكن معجمها لغوي يرد على ما يظن طئه، ويقدم الدليل على أنه كان لكل لحظة من لحظاته شأبها في حياهم في حياهم وترجلهم وسكونهم وحركتهم في وقت سيرهم ووقت راحتهم وفي اختلاف أوقات النهار والليل وفي فصول الشتاء والصيف وفي أوقات سقوط الأمطار وهبوب الرياح، وغير ذلك من عوارض الطبيعة التي تعرض في أوقات معينة، لأن كل هذه العوارض كانت مرتبطة بنشاطهم وحركتهم.

١ - ٢ لقد سبق أن أشرنا في بداية هذه الدراسة إلى أن الإنسان قد أدرك لزمان من خلال ملاحظاته ومشاهداته للمتغيرات والحوادث التي تدور في بيئته عند ما صعد نظره إلى السماء بكواكبها ونجومها وسحبها ومطرها، وعند ما صوب بصره إلى الأرض يحيو نباتها وحياتها بن عديم نظر إلى حياتها هو نفسه من ميلاد وموت^(٢)

كما سبق أن أشرنا أيضا إلى أن الزمان هو ستاح حركة الكواكب، الأرض والشمس والقمر، و هذه الحركة سمير بالاقايع وتناسبت وقد تأمن لإسكان من هذه الكواكب والنجوم التي في السماء وربط بينها وبين ما يحدث أمامه من تعيرات مثل تعاقب الليل والنهار وشرق والغروب وتعاقب الفصول من شتاء وربيع

(١) أبو حيان لامتاع والمؤسسة ١/ ٧٢

(٢) انظر من (١٨) من الدراسة

وصيف وحريم وتعاقب مو سم سدر والحصاد للنبات، وأوقات نوح وتوالد لحيوانات بل إنه قد و حد علاقة بينه وبين هذه النجوم والكواكب^(٣)، انظر على سبيل المثال قول رؤبة مادحا بنى العباس بعد انقراض دولة بنى أمية^(٤):

مروا لنا أن نهاوب أحمره وحانه في حكمه معجمله
مار ل يبنى حنقا وهدمه وبسبحش عسكر ويهرمه
وقول بهدلى^(٥)

لوبي نجم لسعد أكرم من مشى لئال يكفيه نجوم الأساعد
ولا يزال الإنسان إلى اليوم يؤمن بعلاقة هذه نكواك و نجوم بمولده وبأثره في حياته ومصيره، كما نجد كثير من لغات تعرف تعبيرات مثل علا نحه واهل نحه في العربية، وتعتبر Star crossed في الإنجليزية بمعنى سيئ لطالع، وكذا في الفرنسية une malva sc étoile كما نجد بعض النجم Star يطلق على المشاهير من الرجال والنساء^(٦).

ولنعم كما نص للمعم^(٧) لوقت لمصروب ومن ذلك قولهم نحت لئال بد اسمه نجوم أي في مو عيد محددة، ولنجم المصدر من شيء يرتبط بوقت وهو يرادف المصطف تقول جعل وفاء دينه نجوما، ومن ذلك حديث سعد: «والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة» أي مدهوعة في أوقات معلومة متتابعة^(٨).

(١) لاحظ حرص كثير من المجلات والمصنف على باب حظك هذا اليوم أو حظك هذا الأسبوع وما يصره في كتب النجاة والأدب والتاريخ عن دور لتنجيم و لتنجيم في حياة النبوك والحلماء، ومن هذا ما تذكره بعض المصادر من أن عمر بن عبد العزيز قال لى حذره من الصعر بسببه يرول الصعر في النيران إننا نسير بالوحد لها انظر أيضا مناسبة قصيدة بن تمام

سعيدا صديق بيساء من كتب في حنانه حيدر بن محمد وسبع

(٢) الأغاني ٢٢ / ٨٠٥٢ ط الشبيب

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٩٦٧

Internationa. Encyclopedia 35

(٤) سعد مشبه من هولهم نجم نسيه نجوم طهر وضع ويصل سكوك و نبات ونسر و نجم في الأرض سم نكل و حد من كواكب السماء وجمعه نجوم وهو بالثريد أخص جعلوه علم له، فإذا أملى هو يمينه انظر اللسان نجم

(٥) النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٤

وتعود هذه الثلاثة إلى أن لحماة العربية الأولى كانت نوقت أراء ديونها ودياتها بطلوع بعض النجوم فأطلق النجم على الوقت المصروب لدفع بعض الدية أو الدين. فقالت جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة تؤدي عند انقضاء كل شهر منها نجما، كما قالت: قد نجمها عليه تنجيما. والنجوم أيضا نزول القرآن بها بعد نجم ية بعد ية. فأتوا بل لقرآن نجوما أو نجما أى على فترات زمانية استغرقت عشرين عاما.

لقد مبرت لحماة لعربية الأولى بين لأحرم لسموية وقسمتها إلى نجوم وكواكب وفرقوا بينها، كما أطلقت أسماء مختلفة على عدد كبير من النجوم التي كانت تظهر كنقاط لامعة في السماء، حددت بها أوقاتها، وشبهت وصرفت بها لأمثال، ومن هذه النجوم

بنات نعش الكبرى وهي سبعة نجوم على القرب من القطب لشمالي منها أربعة في صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة وهي لعرب عنها بالبنات، ويسمى لأول منها بالقائد.

بنات نعش الصغرى وهي سبعة نجوم تشبه بنات نعش الكبرى، أربعة منها نعش وثلاث بنات ومن الأربعة المرقدن.

المرقدن هما نجمان مقاربين من بنات نعش كما ذكرنا، قال الهذلي^(١)

ومحمدا يباصني ثمرهدين ومن نكر
كمن زحرف لأموال ولح لاعب

الشعرين وهما نجمان إحداهما شعري العبور التي كتب بها لحماة العربية فعبدها وذكروا في مصران الكريم في قوله تعالى ﴿وأنه هو رب الشعري﴾ (النجم ١٩)، والأخرى الشعري المعيصاء.

لثريا ستة نجوم ظاهرة بصير في شتاء في كبد السماء، الاسم مشتق^(٢) من الثروة وهي كثرة العدد وتردد ذكرها كثيرا في شعرهم ومن ذلك قول الهذلي^(٣)

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢/ ١٦٧

(٢) شرح شعر الهذليين ٣ ٩١٨

بنات نعش حوص الموت لا شيء دونه
مكان انشربا كنت أول وار
الميقو نجم من نجوم الثريا وموصفه وزها، جاء في الشعر في قول الهذلي^(١)

بأطيب من مفضلها إذا ما
دنا العيوق وكنتم البوح
الذبران * نجم أحمر مبرر سمي بذلك لاستدباره الثريا.

الحدي نجم صغير يقال له حدي بنات نعش لصغري تعرف به لقصة الشها، نجم من بنات نعش الكبرى امتحنت به الحماة العربية أنصارها لحماة فقال أريها القمر ويرى الشها^(٢)

سهيل نجم أحمر مبرر من النجوم اليمامة يرى في جميع أرض العرب، يقول عمر بن أبي ربيعة صاحب سهل بن عبد الرحمن بن عوف الذي تروح لثريا^(٣)

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يتفقا

هي شامية إذا ما استقلب
وسهيل إذا استقلب يمان

وكما عرفت لحماة العربية الأولى هذه النجوم المختلفة عرفت أيضا لكواكب مسبارة المريج والمشرى والرهرة وزحل وعطارد، التي سميت بالدراري خمسة^(٤) أو الحواري الخمس التي أقسم بها الله تعالى في قوله ﴿فلا أقسم بالبحر والبر والعرش﴾ (الحجرات ١٢٥)، وقيل أنها سميت بذلك لأنها تسير في الملك من العرب إلى المشرق ثم تنقهر راجعة في طريقها فتسير من المشرق إلى المغرب،

(١) المصيرضة ١/ ١٧٧

(٢) الجيد مر ٢ ٣

(٣) السوان ١٥٦ تحقيق محسن الدين عبد الحميد

(٤) نظر المزيد عن هذه النجوم ابن قتيبة الأنواء ٣٤ - ١٥، ١٤٠، ١٥٥ القفصندي ٢/ ١٧٢ - ١٧٣

من بيابان القدم، أسماء هذه الكواكب على أيدي الأسبق التي كانت خمسة أيام ثم أضاف إليها الاثنين القدماء يوم الشمس Sunday ويوم القمر Monday ليكون الأسبوع سبعة أيام نظر الفصل الثاني من الباب الثاني أيام الأسبوع

وكل من استمر في طريق ثم رجع فقد حس. وبذلك سمي الشيطان حساساً في قوله تعالى: ﴿ مِنْ خَرَّ الرَّسَّاسُ الْحَاسِي ﴾ (النس ٤). لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى حس أي أدبر وتقهقر راجعاً^(١). وقيل أنها سميت بذلك لأنها تحس أحياء في مجراها حتى تحتض تحت ضوء الشمس بينما نراها في أحر البرج تكرر راجعة، وسعت بالكس لأنها تكس أي تستر كما تكس الظاء في كناسها، كما سميت هذه الكواكب أيضاً بالمتحيرة لأنها تشبه في رجوعها بمن تحير في سيره فلا يرى أي حجة يقصد إليها، فهو يقبل في طريقه ويدير.

يذكر الطبري أن هذه الكواكب الخمسة طالعات جديرات مثل الشمس والقمر عديت معهن، أم سائر الكواكب فمعلقت من لسماء كعقيق لقدس في لسانه^(٢) كما يقول ابن قتيبة « إن هذه الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر، غير أن بعضها أبداً سيرا من بعض، فمما كان منها فوق الشمس يكون أبداً منها، ومما كان دون الشمس هو أسرع، ويقال إن زحل أعلاها ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس، ودون الشمس الزهرة ثم عطارد ثم القمر فالشمس متوسطة لها ثلاثة فوقها وثلاثة تحيها^(٣) ».

جعل القلقشندي الشمس والقمر مع هذه الخمسة سبعة كواكب سيارة، ويذكرها بترتيبها مشيراً إلى اشتقاق أسمائها قائلًا: «... فأما القمر فمأخوذ من القمرية وهي البياض وفلكه أقرب إلى الأرض وهو المعبر عنه بالسماء الدنيا، وأما عطارد فسماء النافذ في الأمور، ولذلك سمي الكاتب وهو هي الملك الثاني بعد فلك القمر، والزهرة مأخوذة من الزاهر وهو الأبيض وهي الملك الثالث من القمر، أما الشمس فهي الملك الرابع سميت بذلك لشبهها بالشمسية وهي الواسطة التي في المختقة لأن الشمس واسطة بين ثلاثة كواكب سملية هي القمر وعطارد والزهرة وبين ثلاثة علوية هي المريخ والمشتري وزحل، وأما المريخ فمأخوذ من المرخ وهو شجر

(١) نهاية في غريب الحديث ٨٢ / ٢

(٢) تاريخ الطبري ٢٥ / ١ ط دار الفلم بيروت

(٣) ابن قتيبة لأنواء ص ١٢٦

تحتك أغصانه فتورى النار فسمى بذلك لشبهه بالنار في احمراره، وهو الملك الخامس بعد القمر، وأما المشتري فسمى بذلك لحسه كأنه اشترى الحسن لحسه، وقيل لأنه نجم الشراء والبيع عندهم وهو الملك السادس من القمر، وأما زحل فمأخوذ من زحل إذا أنطا سمي بذلك لبطئه في سيره...»^(٤).

ويشير المرزوقي في باب قسمة الأزمنة إلى حركتي الشمس والقمر وارتباطهما بالشهور والفصول والستين الشمسية والقمرية قائلًا: «... اعلم أن الشمس تدور في الملك^(٥) دوراً طبعياً وهي لازمة له، وربما كانت على هذا الملك وربما هالت إلى الشمال أو الجنوب ويسمى هذا الميل عرص الكواكب ويسمى هذا الملك فلك البروج وهي اثنا عشر برجاً^(٦)، الجدي، الدلو، الجوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، وإنما انقسم هذا لأقسام لأن الشمس متى استقلت في دورها نقطة معينة عادت إلى تلك النقطة بعد ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، وفي دورها تستوفي فصول السنة التي هي الشتاء والربيع والصيف والخريف، ولهذه العلة سميت هذه الأيام سنة الشمس، والقمر يجتمع مع الشمس في مدة هذه الأيام اثني عشرة مرة فجعلت السنة اثني عشر شهراً سميت بالشهور القمرية كما جعل الملك اثني عشر برجاً ليكون لكل شهر برج، كما اعتمد العرب على الأهلة فكل اثني عشر هلالاً عندهم سنة فيكون عدد أيامها ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً^(٧)».

(١) القلقشندي ١٥٦ / ٢ ١٥٨

(٢) للعقل مأخوذ من لملك بمعنى الاستدارة ومن ذلك الملكة يسكن اللام «نقطة مستديرة من الأرض التي ترتفع عما حولها، وفلكة الحمل التي سميت بذلك لاستدارتها وكل مستدير فلكه، ومن ذلك أيضاً قلوبهم فلك لدى تجارية تفنيكا أي استدار وأصبح كالملك»

وفلك السماء العظيم سى تدور عليه الأفلاك شبه عقرب الرحي، وقيل لملك استدارة السماء. كما قالت تعريب لملك هو اموج إدا ما، ولير إدا ما اضطرب وجاء وذهب، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى «كل من فلك يصبحون» خلق الله يخرأ دور السماء وهو موج قائم في الهواء بأمر الله لا يفطر منه قطرة، وذلك البحر جار في سرعة المنهم، ويجري الشمس والقمر و لحسن في عمر ذلك البحر، والملك دوران المجلة في لحة عمر ذلك لبحر « تاريخ الطبري ١ / ٢٤، القلقشندي ١٥٤ / ٢

(٣) قارن ذلك بما تقرأ في الجرائد اليومية و لحالات الأسبوعية باب حفظك اليوم أو هذا الأسبوع

انظر تسعة هذه الأبراج ومناتها القلقشندي ١٦٠ / ٢

(٤) انظر المرزوقي الأزمنة والأمكنة ١ / ١٢٠ - ١٢١.

١ ٣ لقد كانت الجماعة العربية الأولى على معرفة دقيقة بحركات النجوم والكواكب والأنواء وعلاقتها بالطواهر الطبيعية كالرياح والأمطار وتعيين الأوقات وضبط الأرملة على مدار اليوم والشهر والسنة، وقد سجلت لنا كتب الأدب والبعة الكثير من المعلومات الفلكية والمعتقدات الجاهلية والتعبيرات اللغوية التي تصور لنا عمق هذه المعرفة من جهة، ومدى تأثيرها في حياتهم من جهة أخرى^(١)، يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه الذي يعد أول كتاب كامل يصلنا في هذا المجال: «... هذا كتاب أحبرت فيه بمداهب العرب في علم النجوم مطالعها ومساقطها وصماتها وصورها، وأسماء منازل القمر وأنوائها، والأزمنة وقصولها، والأمطار وأوقاتها، واحتلاف أسمائها في المصول، وأوقات التبدى لتتبع مساقط الغيث وارتداد الكلا وأوقات حصور المياه، وما أودعته العرب أسجاعها في طنوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه...»^(٢).

١ ٤ لقد عرفت الجماعة العربية ما يسمى بالأنواء وهي نجوم معروفة تطلوع والسقوط وعددها ثمانية وعشرون بعدد منازل القمر، ونعرف كل منزلة منها طلوعا وسقوطا للنجم، كما لاحظت أن هذه النجوم تتقارن اثنين اثنين، يطلع أحده في المشرق عادة يسقط أخوه في المغرب، وقد سميت الطالع رقيقا^(٣) وكأنه يرقب سقوط الآخر، وسموا الساقط نوا^(٤) من قولهم ناء الشيء سقط، ومال، واهتمت الجماعة العربية بمراقبة هذه النجوم ورصد مواضعها وسميت بها الأوقات، وراقبت

(١) انظر على سبيل المثال ابن سيده المحقق المحدث الثاني السمر التاسع كتاب الأنواء

النبوي نهاية الأرب الجرد الأول لمن الأول في السماء والآثار العلوية

(٢) ابن قتيبة الأنواء في مواسم العرب ص ١.

(٣) المعظم مأخوذ من قولهم رقب الشيء يرقبه وراقبه مراقبة حرسه أو حفظه أو بمعنى انظره ورصده، وما المراقبة المشطرة في رأس الجبل أو الحصن والجمع مراتب، ومن ذلك الترقيب النجم الذي في المشرق يراقب النجم الذي في المغرب انظر اللسان ورتب.

(٤) النوا هي اللغة البهيمى ولكن العرب قلبت ذلك جعلت النوا تلسقوط وهو من الأصداد، فإذا قيل ناء به كذا يعنى سقط بالعداة، وقد اضطربت العرب على ذلك فالساقط من النجوم هو الذى مال وسهل، و النجم إذا سقط أو مال للمعيب والجمع أنواء وقد سمي بذلك من باب التفاضل كما قالوا للبيوع من ولعمارة مهلكة

ما يحدث خلالها طلوعها وسقوطها مما يعنى حياتهم من برد وحر ومطر ورياح^(١) ونتاج الحيوانات والسمات^(٢)، يقول ابن الأجدابى « والنوا هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الصبح وطلوع رقيقه من المشرق يقابل من ساعته، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والبحر والبرد إلى ما سقط منها، فتقول : سقينا أو مطرن بئو كذا أى من ماء المسحابة التي نشأت وقت نوا ذلك النجم، وإذا مضت مدة سقوط النجم ولم يكن فيها مطر، قيل : حوى نجم كذا إذا لم يكن في نوا مطر^(٣).

لقد كانت الجماعة العربية تعتقد أن المطر الساقط إنما كان من فعل النوا أو النجم الذي ينسب إليه، جاء في حديث الأنواء « إن الله ينزل الغيث فيصبح قوم به كافرين، يقولون مطرنا بئو كذا وكذا، أى كافرين بذلك دون غيره، حيث يسمبون المطر إلى النوا دون الله^(٤) » وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه استسقى بالمصلين ثم نادى العباس قائلاً : يا عم رسول الله كم بقى من نوا الثريا ؟ فقال إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض بالأفق سبعا بعد وقوعها، فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس » لقد أراد عمر رضى الله عنه أن يستفسر : كم بقى من الوقت الذى جرت به العادة إذا تم جاء المطر ؟ وكان هذا هو المعنى الإسلامى للنوا تميزا له عن المعنى الجاهلى الذى يسبب الفعل للنجوم^(٥)، كما كانت الجماعة العربية تعتقد بأن بعض هذه النجوم أحمد وأغرر مطرا ويجعلونها إناء ودوات نتاج، ويحملون ما لا نوا^(٦) له ذكرا متحوسا، ومن ذلك قول الشاعر^(٧) :

١١ بطر ابن قتيبة لأنواء ١٥٨ - ٥٩

(٢) المعظم نسخة ٩٤ - ٩٥

(٣) ابن الأجدابى الأزمنة والأنواء ١٢٣ ابن قتيبة الأنواء ٦ - ٧

(٤) ابن قتيبة الأنواء ص ١٣

(٥) النهاية في غريب الحديث ١ / ٨٦

(٦) ربما من المفيد أن نشير هنا لمحاولة طريقة لأحد الباحثين الذى تتبع لعظم النوا ودلالته في العربية وبعض

اللغات الأخرى قائلاً « إنه نظرا لارتباط النوا بالمطر وبعض التعبيرات الجوية كالرياح فقد صار البحارة

العرب يطلقون كلمة « النوا » بالسيد على أحوالهم الجوية ومما يدل على أصالة هذا المصطلح لديهم أن كلمة

النوا تعنى في العارسية التسمية نوا وهي في اللاتينية Navi والفرنسية المدينة Navie والمريسية =

(٧) ابن قتيبة لأنواء ص ١٦ .

فإنه قد بعث على حسا شقية كواكب دكور
لقد كانت السماء بما فيها من نجوم وكواكب كما سبق أن أشرنا أول ساعة
يعرفها الإنسان لتحديد أوقات الزمان، وقد اعتمدت عليها الجماعة العربية كغيرها
من الجماعات الإنسانية لمعرفة الزمان والمكان أيضا، انظر قوله تعالى : ﴿وَعَلَامَاتِ
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل : ١٦)، ومن ذلك قول الشاعر الذي يتحدث عن قوم ضلوا
في الصحراء :

يهل بالمرفد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر
يمول الشاعر إن المسافرين في الصحراء قد ضلوا الطريق وحاصوا لهلاك ثم
لاح لهم الفرقد فعرفوا سمت وجهتهم ورفعوا أصواتهم بالتكبير كما يفعل
المعتمر ^(١)، كما نجد الهذلي يذكر قافرة سارت ليلا إلى آخر الليل مهتدية بالنجوم
قائلا : ^(٢)

علما تقضي الليل إلا صياحة من الليل تهديها النجوم الأواهل
ويذكر ابن قتيبة أن أعلم العرب بالنجوم أبو كلب وبو شيبان، وأن الرجل من
هؤلاء كان يقول لمن يسأله الطريق ول وجهك نجم كذا أي أحمل سيوك بين نجم كذا
فكانت النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم ^(٣)

٢ - ١ تشير مصادر اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربية قد عرفت كما سبق
أن أشرنا مجموعة النجوم التي يقطعها القمر في كل دورة تامة له في فلكه حول

= والإنجليزية NAVT بمعنى امطول ومن معنى السعيرة ناو اشق لفظ النوت في العربية بمعنى الملاح الذي
يدير السفينة في البحر كما يرى الباحث أيضا أنه لا ارتباط البوء بدلاله لجذر أو التصير عرفت العربية
وبعض النعات الأخرى لفظ النوع بمعنى الصنف الذي يحمل دلالة بسوح ومبايرد ولجديد. ويجد لفظ
NOW هو في العارسية في تعبير نوروز Now Rose أي اليوم الجديد أو بداية السنة، ويجد لفظ New
في الإنجليزية NCL في الألمانية و Nougat في الفرنسية :

انظر عبد الحق فاضل تاريخهم من لغتهم ٢٨ - ٢٩

(١) ابن قتيبة لأنواء ص ٢

(٢) لشاعر الهذلي ٢ / ١٠٥٨

(٣) ابن قتيبة لأنواء ٢

الأرض كل ثمانية وعشرين يوما وتسمى منازل القمر ^(١) حيث ينزل كل ليلة في
منزلة منها ثم يعود عند تمام هذه الدورة إلى النجم نفسه الذي اتخذ أصلا للحركة،
وتسمى هذه المنازل نجوم الأحدث لأخذ القمر كل ليلة منها في منزل، يقال أخذ القمر
نجم كذا أو نزل به، والنزول الحلول والمزل والمزلة موضع النزول، انظر قوله تعالى
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضياءً وَالْقَمَرَ نوراً وَجَعَلَ دُجْرَ الْفَجْرِ بُرْجاً وَجَعَلَ النُّجُومَ أَنواراً﴾ وقوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ
قَدْرَاءً مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس : ٣٩). يقول ابن قتيبة تشير الآية إلى أن
القمر ينزل كل ليلة منزلا حتى يصير في آخر ليلة من الثماني والعشرين كالعذق
القديم، وإذا قدم دق واستقوس واصبر، فشبه القمر به عند استسارده، وإذا كان
الشهر تسعا وعشرين استمر ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان ثلاثين ليلة استمر
لتاسع والعشرين.

لقد عرفت الجماعة العربية حركتين للقمر ^(٢) سريعة وهي حركة الملك به
من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق في اليوم والليلة، وبطيئة وهي حركته
من جهة الشمال إلى جهة الجنوب، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال، وتنقله في
المنازل الثمانية والعشرين في ثمانية وعشرين يوما بباليها كالشمس في البروج، كما
كانت كغيرها من الجماعات السامية المحاورة على عدم بمنارل القمر التي أفادت
منها لمعرفة أحوال المطر والرياح والطقس، ولا كنت السنة أربعة أجزاء أو فصول
فقد صار لكل ربع منها سبعة منازل، ورتبها كما يلي : ^(٣)

(١) يذهب البعض إلى أن العرب قد عرفوا منازل القمر من اتصافهم بالمرس واليهود قبل الإسلام

انظر حواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٢٤٨

(٢) القمر كما هو معروف جرم مظلم يستمد نوره من الشمس، وهو قريب الأحرام إلى الأرض وأقل حجما منها،
يدور حول الأرض مرة كل شهر وإذا تصادف وقعره أشاء دورته على خط مستقيم مع الشمس وكانت الأرض
في الوسط قديم، بحيث أنه يرى الشمس ويسو محيطا إذ يعمت انصواء الذي يعكسه من الشمس شيئا
عشيثا حتى يعم وجهه تمام ومن المعروف أن بلد والبحر يحدان نتيجة بجذب القمر للأرض وسببها،
فمعنى المياه في ربع الأرض المواجه للقمر وبدرجة أقل من الربع البعيد عنه بينما تهبط المياه في الرصين
لآخرين ويحدث ذلك نتيجة دوران الأرض حول نفسها ومن ثم دخول نقطة ما في منطقة المد ثم انتمائها
بعد ست ساعات إلى منطقة الجدر ثم بعد ست ساعات أخرى إلى منطقة المد الثانية

(٣) انظر هذه المنازل ابن هبة ١٣٤ ابن سيده، شعر ٩ / ١١، ابن الأجداني ٦، المروفي ١ / ١٨٥ لقتشدي

أولاً : منازل الربيع : ١ - الشرطان ٢ - البطيخ ٣ - الثريا ٤ - النيران ٥ -
الهمة ٦ - الهمة ٧ - الدراع.

ثانياً : منازل الصيف : ٨ - النثرة ٩ - الطرف ١٠ - الحبة ١١ - الزبرة ١٢ -
الصرقة ١٣ - المواء ١٤ - السماك الأعزل.

ثالثاً : منازل الخريف : ١٥ - القمر ١٦ - الرباعي ١٧ - الإكليل ١٨ - القلب ١٩ -
الشولة ٢٠ - النعائم ٢١ - البلدة.

رابعاً : منازل الشتاء : ٢٢ - سعد الذابح ٢٣ - سعد بلع ٢٤ - سعد السعود ٢٥ -
سعد الأحبية ٢٦ - القرغ الأول ٢٧ - القرغ الثاني ٢٨ - بطن الحوت

وقد قسمت الجماعة العربية هذه المنازل أو الأنواء إلى قسمين شمالي
وجنوبي وشمل كل قسم منها أربع عشرة منزلة، فالشمالي منها ما كان طلوعه من
ناحية الشام وتشمل منازل الربيع والصيف، والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية
اليمن وتشمل منازل الخريف والشتاء.

٢ ٢ كما راقبت الجماعة العربية القمر وحالاته خلال الشهر ووصفت له
الفاطما واصمة تصور ضوءه وشكله، فأول ما يرى منه الهلال ليلة يهل أي عندما
يخرج من تحت شعاع الشمس ويظهر في الغرب، ويسمى هلالاً ثلاث ليال والجمع
أهله^(١)، ثم يسمى قمراً إذا ظهر وقارب الكمال وبه يسمى الشهر المعروف والجمع
أشهر وشهور، والقمر كما سبق أن أشرنا مشتق من القمرة بمعنى البياض الذي فيه
كُدْرُهُ، ثم يسمى بدرًا في الليلة الرابعة عشرة، سمي بذلك لامتلأته، بقل غلام بدر
إذا امتلأ شباباً قيل أن يحتلم، ويقال سمي بذلك لتعامه، ومن ذلك قولهم : عين
بدره إذا كانت عظيمة ومنه يقال للعشرة آلاف درهم بدره لأنها تمام العدد، وقيل

(١) كانت العرب تعتمد على هذه الأهلة في المواقف والأجال التي تجري بين الناس، وقد أثبت الإسلام ذلك
بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة ١٨٩)، فقد كانوا يبدأون الشهر إذا
رأوا الهلال، ويجعلون ابتداءه من أول الليلة التي يظهر فيها الهلال وكانوا يسمون تلك الليلة غرة الشهر تكون
لهلال في أولها كالغرة في وجه القمر.

سمي بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع، ثم يسمى محاقاً وقت يتمحي موره في آخر
الشهر لأن الشمس تحقق نوره ولا تبيته، ويكون مثل الهلال في أول الشهر لاستتاره
بشعاع الشمس^(٢). وقد سميت العرب القمر بالزيرقان وبه سُمي الرجل، ويقال له
أيضاً المدهور، والهالة الدائرة التي تحيط بالقمر، والصخت ضوءه الواقع على
الأرض، تقول جلسنا في العفت إذا جلست في ضوء القمر^(٣).

٢ - ٢ وقد اصططلحت الجماعة العربية على تسمية ليالي الشهر القمري
وقسمت كل ثلاث ليال باسم حسب حالة القمر فيها كما يلي^(٤)

العمر : سميت بذلك لأن ضوء الهلال يكون كالغرة في أوائلها.

الشهب : سميت بذلك لأن ضوء القمر يكون غير باهر للظلمة.

الرهر : سميت بذلك لبياضها بصوء القمر.

البهر : سميت بذلك لأن القمر يبهز فيها ظلمة الليل.

البيض : سميت بذلك لبياضهم من أولهن إلى آخرهن.

الدرع : سميت بذلك لطلوع القمر فيها لوجه الصبح وسائرهما مظلم.

الظلم : سميت بذلك لموادها.

الحادس : سميت بذلك لشدة ظلمتهن، والحنس الأسود الحال.

الدادى : سميت بذلك لأن القمر يدأى فيها أي يسرع

المحاق . سميت بذلك لأن الشمس تحقق فيها نور القمر.

كما سمّت الجماعة العربية بعض ليالي الشهر القمري الأخرى، فسمت الليلة
الثانية عشرة ليلة السواء لاستواء القمر فيها، وقيل لاستواء ليلها ونهارها في

(١) انظر ابن قتيبة ١٣٥ ابن سيده ٢٠ / ٩ القلقشدي ٢ / ٢٩

(٢) انظر هذه الألفاظ في مواضعها من النص

(٣) انظر ابن قتيبة ١٣٥، ولقمر ٥٨، ابن سيده ٢٠ / ٩ القلقشدي ٢ / ٢٧٠

انظر أيضاً هذه التسميات ودلالاتها في مواضعها، بلسان العرب.

الضياء وقيل هي ليلة النعام، وسميت الليلة الرابعة عشرة ليلة البدر أو ليلة النصف، وسميت ليلة العشرين بالدعجاء، وسميت الليلة التاسعة والعشرين الدهماء، وسميت الليلة الحادية عشرة لليلاء إذ لا هلال فيها، كما سموها ليلة البراء لأن القمر يتبرأ من الشمس، وقيل إن أول ليلة من الشهر هي البراء، وآخر ليلة سميت بانفلة لأنها تكون كالشيء المنفلت بعد وثاق^(١)، كما سميت الليلة التي يستتر فيها القمر بالسرار من ذلك قول الشاعر :

رأيت مر السنين أخذن مني كما أخذ السّرار من الهلال

كانت الجماعة العربية الأولى تقطر إلى النيران الشمس والقمر نظرتها للكائن الحي وهي نظرة لم تفرد بها بل شاركهم فيها كثير من الجماعات السامية قديما^(٢)، وهي التي أوحى لهم وإلى غيرهم عبادة الشمس والقمر واتحادهما، لهن يتقربان إليهما، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ عَابِدُونَ ﴾ (ممت ٢٧) وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رِيحِي أَكْبَرُ ﴾ (الأنعام - ٧٨).

لقد لعب القمر دورًا هامًا في حياة الجماعة العربية عندما اعتمدت عليه في تحديد المواقيت، مراقبت ظهوره وبموه وغيابه ولياليه ووضعت لكل ذلك الفاظ واصفة كما رأينا، بل وتحيلته كائنًا حيًا يسمع ويرى، وتنقل لنا مصادر اللغة والأدب

(١) قيل إن لسانه هي آخر ليلة من شهر شوال وهي التي يأتي بعدها الأشهر الحرم حيث لا يستطيع أحد إدراك ثأره فيها، وربما رأى القوم الهلال ولا يراه آخرون فيقول هؤلاء على أولئك للأخذ بثأر لهم، والمنة هنا بمعنى الصلاة قال أبو الهيثم : كان للمريه في الجاهلية ساعة يقال لها المنة يصرون فيها، وهي آخر ساعة من آخر يوم في الشهر قبل الأشهر الحرم للسلطان

انظر شرح بهج البلاغة ٢/ ٣٦ تحقيق محمد أبو الفضل

(٢) وذهب بعض الباحثين إلى رأى طريف قنبلًا إن إحدى الجماعات السامية قد عبدت القمر وسمته من Sen ومنه اشتق اسم مدينة التي عبدت القمر، وأن لغة سنة كان يسمى دورة القمر في شهر وعندما عرف الإنسان دورة الشمس Sud تحول معنى السنة من شهر إلى اثني عشر شهرًا ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة Senate بمعنى مجلس المسنين أو الشيوخ وكلمة Senior بمعنى الأكبر سنا أو الأبيق ١

د. سليمان أبو غوش عشرة آلاف كلمة بحظيرة من أصل بحري من ٣٦٤ ط. تكويت ١٩٧٧

حوارًا مأثورًا عنها يحكى بين أحدهم وبين القمر الذي يسأله قائلا : ما أنت ابن ليلة؟ فيقول القمر : رصاع سحيلة حل أهلها برميلة. أي أنه يبقى بقدر ما ينزل قوم فصع شاتهم سحلة ثم ترصمها ويرتحلون، فبقاؤه في الأفق كمقدار رضاع السحلة الصغيرة، ويسأله السائل مرة ثانية : ما أنت الليلتين ؟ فيقول القمر : حديث أمتين بكذب ومين. يريد أن بقاء قليل كمقدار ما تلقى الأمة الأخرى متحدثها تكذب لها حديثًا ثم تفترقان، ويسأله السائل ثالثة : ما أنت لثلاث ؟ فيقول : حديث فتيات غير مؤتملات، يريد أنه يبقى بماء فتيت أنكار اجتمعن على غير ميعاد فيتحدثن ساعة ثم يصرفن غير مؤتملات^(١).

استعملت الجماعة العربية لفظ القمر في تعبيراتها وتشبيهاتها اللغوية فقالت : «أصبح من قمر الشتاء» للوقت القصير الذي يمر سريعًا، وقالت : أقمر لتمر أي أدركه البرد فلم يكن له حلاوة، وقالت : وجه أقمر، أي حكاكه في بياضه، وقالت : استرعى القمر ماله : أي تركه هملاً بلا راع يحفظه، والمال هنا الإبل، كما قالت أيضا : استرعى الشمس ماله : أي تركه هملاً نهارًا بلا راع^(٢).

٢ عرفت الجماعة العربية الأولى الشمس ثانی النيران، آله هامة من آلات الزمان بل هي واهية الزمان^(٣)، وكما كانت تراعى القمر وترصد منارله كانت تراعى أيضا الشمس وترصد بروجها التي كانت تقطعها في دورتها السنوية، وكما سبق أن أشرنا أن السروج للشمس كالمتنازل للقمر وهي اثنا عشر برجًا على قدر شهور السنة موزعة على فصول السنة أيضا كما يلي^(٤)

(١) انظر الحوار بالمعصم ٢ / ٢٠، ابن قتيبة لأبواب ١٢ - ١٣٤. الأمثال لأورخ السدوسي ١٠٧.

(٢) انظر السلسل القمر.

(٣) كما هو معروف أن الشمس كرة هائلة من المرات الملتهية، ولا تزال تشع بعن قدر من الحرارة عند ملايين السنين مما يجعل الحياة على الأرض ممكنة، تغير الشمس ميل أشعتها على مدار السنة بما يوازي ٢٤.٧ وتكون أقرب إلى العمودية في فصل الصيف ثم تأخذ في الميل فحة درجة حتى ينتهي الصيف ويمتد المناخ ويبلغ هنا الميل أقصاه عندما يحل الشتاء وهي تقطع السماء مرة في السنة وتقيم في كل برج من الأبراج الاثني عشر شهرًا، وهي كل منزلة من منازل القمر ثلاثة عشر يومًا، بينما يقطع القمر السماء مرة كل شهر، ويميم في كل برج من الأبراج لاثني عشر ليلتين وثلاث النيلة ويمكن أن يغفل لذلك بهذه المعادة ١٢ + ٢٤ = ٤ + ٢٨ يوما كما يقيم في كل منزل ليلة كما عرفنا ويستمر في إينه ثمان وعشرين، وقد سبق أن عرفنا أن السنة الشمسية تزيد على القمريه بأحد عشر يوما انظر هامش ١ ص ٣٦ من الدراسة

(٤) المعصم ١ / ١٢.

بروج الشتاء : الجدى والدلو والحوت.

بروج الربيع : الحمل والثور والجوزاء.

بروج الصيف : السرطان والأسد والميتلة.

بروج الخريف : الميزان والعقرب والقوس.

وقد قسمت هذه البروج إلى ثلاثة أقسام أخرى^(١)

البروج الثابتة . وهي أواسط بروج الفصول : الدلو و الثور والأسد والعقرب، سميت بذلك لأن في أواسط الفصول تثبت طبائع الزمان على حدها .

البروج المتحركة : وهي أوائل بروج الفصول : الجدى والحمل والسرطان والميزان سميت بذلك لأن في أوائل هذه الفصول يتقلب الزمان من طبيعة إلى طبيعة.

بروج قوات مجسدين : وهي أواخر بروج الفصول : الحوت والجوزاء والميتلة و لقوس سميت بذلك لامتزاج طبيعة كل فصل بطبيعة الفصل الذي يليه.

كما قسمت هذه البروج أيضا مثل المنازل إلى ستة شمال خط الاستواء وهي بروج الربيع والصيف . وستة جنوب خط الاستواء هي بروج الخريف والشتاء

وتذكر بعض المصادر أن الجماعة العربية قد سميت هذه البروج بأسماء أخرى، فسميت الحمل بالكبش، والجوزاء بالتوأمين، والسنة بالعذراء والعقرب بالصورة، والقوس بالرامي، والحوت بالسحكة، كما لاحظت أن بعض هذه البروج يشاكل اسمه صورته، ومنها ما لا يشاكل اسمه صورته.

يذهب المستشرق الإيطالي إلى أن لفظ البرج لدى الجماعة العربية الأولى لم يكن يعنى في دلالته البروج الاثنى عشر المعروفة عند اليونانيين، وإنما اكتسب اللفظ هذه الدلالة في أواخر لقرن الأول للهجرة عندما ارتقى لديهم علم الفلك^(٢)، وربما

١ - مدروس

(٢) - السيو علم الفلك عند العرب ١١٠ - ١١١ ط ١٩١٩ يذهب بلوت آخر إلى أن اليونانيين قسموا السماء إلى بروج، عرف كل برج منها باسم Butgus وقد دخل اللفظ من اليونانية للعربية بهذه الدلالة

جواد على، تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٨ / ٨

يؤكد هذا الرأي ما جاء في تحديد اللفظ بالمعجم من أن البرج كل ظهر مرتفع، ومنه قولهم تبرجت المرأة أظهرت محاسنها، والبروج هي النجوم والكواكب في السماء لظهورها وارتفاعها^(١)، ويذكر المروزي أن أصل لفظ البرج في اللغة الحصن، واستعير على التشبيه وأطلق على بروج الملك^(٢)، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ فِي سَمَاءِ رُوحٍ وَرَبَّاهَا لِطَائِفٍ ﴾ بحر ٦ ، قال الحسن وقتادة البروج هي النجوم وقيل: هي الكواكب السيارة^(٣).

لقد عرفت الجماعة العربية أن الشمس كوكب ثابت ومتحرك في آن واحد، فهي ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور، أي حول نصفها مثل المروحة السقمية الكهربائية التي نراها ثابتة في مقعها ومتحركة حول نفسها، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (الرحمن، ٥)، ... قال مجاهد : « الحسبان الملك المستدير يشبه حسان الرحي وهو العمود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة »^(٤)، ونجد أن هذا القول الذي ذهب إليه مجاهد وتبعه فيه بعض المفسرين والعلماء يتفق مع معوماتنا الحديثة عن كوكب الشمس الذي يشبه في حركته المروحة الكهربائية أو الرحي على حد قول مجاهد التابعي المشهور، الذي ذكره البخاري أيضا في كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والمعر بحسبان. قال مجاهد كحسبان الرحي، وقال غيره : بحساب ومنازل لا يعدوانها، حسان جماعة حساب مثل شهاب وشهبان^(٥) .

٢ - ٥ كما عرفت الجماعة العربية أيضا أن لشمس حركتين، إحداها من المغرب إلى المشرق بحسب ذاتها وذلك يتم في سنة كاملة وبسبب ذلك تحصل السنة، والأخرى حركتها من المشرق إلى المغرب بحسب حركة الفلك الأعظم^(٦) ويتم في

(١) اللسان بروج (٢) الأزمدة والأمكنة ١ / ٤٨

(٣) البحر المحيط ٥ / ٤٤٩

(٤) البحر المحيط ٨ / ١٨٨ (٥) البخاري ٤ / ١٢١ ط الشعب

(٦) يسمى الملك الأعظم العرش جاء في الحديث قال الرسول ﷺ لأبي ذر حين غرقت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فهبها تذهب حين تسجد تحت العرش، فتستأنس، فيؤذن لك انظر الحديث كتاب بدء الخلق، البخاري ٤ / ١٢١ ط الشعب، يقول ابن حبان في تفسير قوله تعالى =

اليوم بيلينه ويسج عنها الليل والنهار، لقد كانت الشمس تبسط سلطانها بأشعتها كمصدر للحياة والنماء على الجماعة العربية الأولى، فسماها إلهة لتعظيمهم وعبادتهم لها، قال الشاعر^(١) :

تروحنا من النعباء قَصْبَرًا فَأَعْلَجْنَا لِإِلَهَةٍ نَزُومَا
ولهذا نهامهم الإسلام عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ (صافات : ٢٧)

وكما عرفت الجماعة العربية تسميات متباينة وصفت بها القمر مثل الهلال البدر والمحاق، عرفت أيضا تسميات وصفت بها الشمس منها^(٢) :

ذِكَاءٌ : سميت بذلك لأنها تذكو كما تذكو النار.

الصبح : سميت بذلك لشدة ظهورها وبرورها، والضحوة والضحى ارتفاع النهار.

العرائة : من أسماء الشمس إذا ارتفع النهار، وقيل إن اللفظ اسم للشمس.

الخونة : سميت بذلك لياصها واللفظ من الأصداق بمعنى الأبيض والأسود.

الجارية : سميت بذلك لأنها تجرى من الشرق إلى الغرب كل يوم.

كما سميت الجماعة العربية ضوء الشمس شعاعا وهو الذي تراه كأنه الحبال مقبلة عليك إذا نظرت إليها، ولعاب الشمس وهو الذي تراه في شدة الحر يبرق مثل نسيج العنكبوت أو السراب، وعلاط الشمس والجمع أعلاط وهو ما تراه من الشمس أشبه بالحيوط، كما قالت لوجه الشمس عين الشمس، وثواحيها قرون الشمس وحواحيها بمعنى أول ما يبدو منها في الطلوع. وقرن الشمس أعلاها وأول ما يبدو منها.

✽ رسم تجري يستقر به ذلك تقدير العرب الميمية (يس ٢٨) مستقر شمس بن يدى عرش مسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء في حديث أبي ذر، قال الرمحيثرى يستقر لها حد لها مؤقت تنتهي إليه كل فنكها شبه بمسجد مسافر د كص مسير فـ ١٠ ١٠ مسير من جهة عرش النبي أو شبه ومن جهة المكان غاية ارتفاعها في الصيف وانخفاضها في الشتاء ١٢٦/٧ المحيط

(١) للسان لميد المعجم ١٩/٨

(٢) ابن قتيبة ١٣٤ وابن مبره ٢٠/٩ انظر هذه التسميات في موضعها باللمعان.

كما عبرت عن شروقها وغروبها بقولهم : طلعت وبزغت وثمرت في شروقها وتصيفت ودلكت وغابت إذا غربت، ويقولون تصبعت إذا ذهب ضوءها ودلكت إذا زالت عن كبد السماء، كما يقولون آتيته والشمس دنت أي عندما اصفرت وقاربت المعيب كأنها شبت بالمريض لصفوته وضعفه، ووصفت أيضا بعض الألفاظ الواصفة لحركة الشمس اليومية لتكون علامات على ساعات أو أوقات اليوم مثل : السحر، والإشراق، والضحى، والظهيرة، والزوال، والأصيل، والدلوك، والشمق^(١).

وقد اختار التشريع الإسلامي حركة الشمس اليومية لتحديد مواقيت الصلاة ثلاث صلوات أثناء غيابها ليلا، واثنان أثناء حضورها نهارا، وكما سنعرف فيما بعد أن اليوم الحديدي كان يبدأ لدى الجماعة العربية من لحظة غروب شمس اليوم السابق وينتهي بشروقها في اليوم التالي، وعلى ذلك تكون أولى صلوات اليوم صلاة المغرب التي تكون مع مغيب قرص الشمس، وتكون العشاء الصلاة الثانية مع مغيب الشمق أو حلول الظلام أو العتمة، وتكون صلاة الفجر الصلاة الثالثة وتبدأ مع الإصباح أي ظهور البياض المبسط على الأفق وقبل شروق الشمس وهذه هي صلوات الليل الثلاث، أما صلوات النهار فهما الظهر والعصر، وتكون صلاة الظهر عندما تميل أو تزول الشمس عن وسط السماء، ويكون ظل كل شيء مثله، وتكون صلاة العصر عندما تصفر الشمس في الأرض والحدران، ليس باصمرار عينها لأنها لا تصفر حتى تعرب^(٢)، وحينئذ يزيد ظل كل شيء عن مثله، وعندما يزيد عن ذلك يخرج وقت العصر^(٣) وقد جاء في الموطأ أن عبد الله بن أبي رافع مولى أم سلمة

(١) انظر هذه الأوقات بالتفصيل المصل الثالث الباب الثاني أوقات النهار والليل

(٢) ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأفق العربي يعتره بعد الغروب أحوال ثلاثة متعاقبة أحمرار قبياض ثم سواد، والشمق عند أبي حنيفة البياض وعينه ظهور السواد بعده، ومتى ظهر وقت السواد خرج وقت المغرب وجاء وقت العشاء، وعند غيره ينهي وقت المغرب بمغيب الشمق الأحمر وبقدر ذلك ساعة وأربع دقائق من مغيب هرض الشمس.

(٣) يمكن معرفته دنت يمرر عود أو نحوه في أرض مستوية قبل أن يظهر تحت الشمس وحينئذ يكون له ظل ثم يأخذ في النقص حتى يقب ويكس ذلك وقت الاستواء، وإذا أخذ الظل في الزيادة يعني هذا زوال الشمس وسط السماء ويكون ظل العمود مثله وهذا وقت الظهر، وعندما يزيد على ذلك يكون في وقت العصر، لقد كان الظل أول جهاز لقياس الوقت اخترعه الإنسان وعرفه القدماء المصريون الذي عرف فيما بعد باسم =

روح النبي ﷺ سأل أبا هريرة عن أوقات الصلاة فقال له : صل الظهر إذا كان ظلك مثلك، والعصر إذا كان ظلك مثلك، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء ما بينك وبين ثلث الليل، فإن نمت إلى نصف الليل فلا نامت عليك، وصل الصبح بملس^(١).

٢ - ٦ ارتبطت حركة الشمس اليومية بظواهر طبيعية ساهمت في تحديد أوقات الرمان وقد وصفت الجماعة العربية الفاطما واصفة مثل : الظل والشمس والسراب والأل.

الظل : هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة لا ظل، وظل كل شيء شخصه ومكان سواده أو ما وارى الشمس منه. والجمع ظلال وأطلال وظلول وعكس الظل الصبح، والظلة كل ما أظلك والجمع ظنن، والمظلة من بيوت الأعراب كالخيمة.

لقد كانت ظاهرة الظل شيئاً هاماً في حياتهم وقد جعلها الله سبحانه آية من آيات قدرته لتي ذكرهم بها في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مَسَاكًۢا ۖ ﴾ (سورة ٥٠) وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا حَقَّ ظِلَالُكُمْ ﴾ (سورة ١٨) أي جعل لكم من الأشجار وغيرها مما تستظلون به من شدة الحر، لقد كان الظل شيئاً محبوباً لدى الجماعة العربية التي كانت تعيش حر الشمس، انظر قول الهذلي متمراً في محبوبته^(٢)

ولم تر ظلاً يشتهى الناس برده
سوى ظلها أو جمالا لنزل

ولهذا نحمد الله سبحانه يعد المتقين من المؤمنين جمات ذات ظلال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الدرجات، ٤١)، وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَوَاجٌ

= المرولة تشعيرية يعود الفضل إلى العرب الذين طوروها هذا الجهد الذي يكون استعماله أثناء مناسبات النهار معطاً مع دفع الإنسان المصري القديم أيضاً إلى الخراج الساعة المائية وهي عبارة عن وعاء يتمسك به الماء نقطة عطة إلا أنه لا يمكن استخدامها عندما يتجمد الماء في فصل الشتاء، وتشبه هذه الساعة أيضاً في فكرتها الساعة الرملية التي تسجل نمود الرمل من صفحات صغيرة

(١) انظر الموطأ باب قوت الصلاة ص ٢٢ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولقد عكس ص ١٧٦ من الدراسة
(٢) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٢٥٧.

مُطَهَّرَةٌ وَيُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء ٥٧)، وجاء في الحديث: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام » أي في ذراها وناحيتها^(١).

استعملت الجماعة العربية لفظ الظل في تعبيراتها وتشبيهاتها اللغوية فقالت: ظل يعمل كذا نكل عمل بالنهار، كما قالت بات يفعل كذا لكل عمل بالليل، وقالت عاش فلان في ظل فلان أي في كتمه وحمايته كأنه ألقى عليه ظله. واستعملت لإطلال أيضا بمعنى الدنو فقالت أظلك الشيء . أي دنا منك حتى ألقى عليك ظله من قربه، جاء في الحديث أنه ﷺ خطب آخر يوم من شعبان فقال « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم » يعنى شهر رمضان أي أقبل عليكم ودنا منكم كأنه ألقى عليكم ظله^(٢) وقد تكرر ذكر الظل كثيرا في الحديث مثل قوله ﷺ: « الجنة تحت ظلال السيوف » و « سبعة يظلمهم الله بظله يوم القيامة ».

لا يرال المعجم العربي يمدنا بتعابيرات تتصل بالظل وتصور مدى ارتباطه بالجماعة العربية في بيئتها الصحراوية مثل : الظل طابق الخف بمعنى انتصاف النهار، ومن هذا القبيل أيضا قولهم : انتعلت المطايا ظلالتها، وانتعل الظل فصار حوريا، وقالت أيضا : أتيت حين ينشد الظبي ظله أي حين يشتد الحر ويطلب الظبي كناسا يكتس فيه من شدة الحر ويكون ذلك وقت الظهيرة أو الهاجرة، كما عبرت عن قصر الوقت ومروره بسرعة بقولهم: يوم كظل الدئب : أي مر سريعا، وقالوا لليوم الطويل : يوم كظل النعامة، وقالوا : يوم كظل الرمح، ويوم أصيق من ظل الرمح إذا كان قصيرا^(٣).

الشمس : كما استعملت الجماعة العربية لفظ الظل للتعبير عن حركة الشمس بالقعدة وقبل الزوال، استعملت لفظ الغيم للتعبير عن حركة الشمس

(١) النهاية في غريب الحديث ٣ / ١٦٠

(٢) مصدر بضمه ٣ / ١٦٠. انظر اللسان ظل

(٣) لسان العرب ظنن

انظر وماتل البيروني الرسالة الثانية إفراد المال في أمر الظلال ص ١٢ وما بعدها

بالعشى^(١) من هذا القبيل قول الهدلي^(٢) ،

لعمري لأنت البيت أكرم أهله واقعد في أضيائه بالأصائل
وقد جاء اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ بِفِعْلٍ فَلَإِنَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ (النحل : ٤٨) ، واللفظ مشتق من قولهم جاء يجمع فينا بمعنى رجع وهو اسم لما يقىء من جانب إلى جانب ، وأصل القىء الرجوع ، ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال قىء لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق ، والقىء على ذلك كل ما كانت عليه الشمس فزالت والجمع أقياء وقىء ، وقيل كل ما كذبت عليه الشمس فزالت عنه فهو قىء وظل ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل لهذا قالوا ظل لحبه ولم يقولوا ضوءه انظر قوله بعدلى ﴿مثل لجة أتي وعد لمعقوب بخري من تحتها لأبهار أكبها دئم وضئها﴾ (رمذ : ٢٠) ، قال سبحانه دائم طها لأنه لا شمس فيها^(٣) .

السراب : هو ما يراه الناظر خلال ضوء الشمس كأنه ماء جار على وجه الأرض في منتصف النهار إلى سائر اليوم ويكون بعد الزوال إلى صلاة العصر ، سمي بذلك لأنه يسرب سروباً أي يحرق جرياً من قولهم سرب الماء يسرب سروباً^(٤) .

الآل : السراب الذي يكون بالضحى أو من الضحى إلى زوال الشمس وقد فرقوا بينه وبين السراب ، لأن الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلاً ، أي شخصاً ، والسراب يحفض كل شيء حتى يصير لازقاً بالأرض لا شخص له^(٥) .

(١) جاء اللفظ في القرآن بدلالات أخرى فالقىء المصيبة والخروج وهو ما أعاد الله على المسلمين من أمور الكفار كأنهم كانت في الأصل لهم لم رجعت ﴿لَمَّا آتَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ﴾ (الأحزاب : ٥٠) وأتى رجوع الرجل إلى جماع المرأة بعد الإيلاء أي بعد جلعه آلاً يجمعها ﴿وَإِنْ قَالُوا لَا إِلَهَ غَيْرُ وَحِيدٌ﴾ (البقرة : ١٣٦)

(٢) شرح أشعر الهذلي ١ / ١٤٢

(٣) انظر اللسان في البحر المحيط ٥ / ٧٥

(٤) اللسان سروب ، ابن قتيبة ١٣٦

(٥) اللسان أول ، ابن قتيبة ١٣٦

٢ - ١ إلى جانب النجوم والكواكب وما ارتبط بها من طواهر طبيعية اعتمدت عليها الجماعة العربية لتحديد أوقات الزمان ، نجد جانباً آخر من جوانب البيئة كان له صله كبيرة في تحديد أوقات الزمان أيضاً ونعني بذلك الحيوانات التي عرفتها بيئة الجماعة العربية ولعبت دوراً هاماً في تعيين وقياس أوقاتها .

كانت الإبل كما هو معروف من أهم الحيوانات في البيئة العربية الصحراوية وقد اتخذتها الجماعة العربية آلة للتعبير عن أوقات الزمان ، وقد سبق أن أشرنا إلى تعبيرات تشير إلى وقت الظهيرة أو انتصاف النهار مثل انتعت المطايا طلالها ، والظل كطابق الخف ، من ذلك قول الأعشى عن ناقته :

إذا لاوذ الطل القصير بنحرها هكان طبعاق الظل أو قل زائد
ومن هذه التعبيرات الزمانية التي تردت كثيراً في كلام الجماعة العربية نثراً ونظماً قولهم فواق ناقة ، كان يقول (الرحل للآخر : أمهلني فوق ناقة أي قدر ذلك الوقت ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة^(١)) ، جاء في الحديث : عيادة المريض قبل فواق ناقة^(٢) ، وما جاء في حديث علي رضي الله عنه عندما قال له الأشتر يوم حنين : أنظرني فواق ناقة^(٣) ، وقد جاء هذا التعبير في الشعر أيضاً في قول أبي تمام^(٤)
قبيل وأهل لم لآق مشوقهم لوشك النوى إلا فواقاً كلا ولا

يصف أبو تمام خمة مكث عشيرته وسرعة ارتحالهم وأنه لم يجمعهم وإياه إلا وقت قصير ولم يرض بلفظ المواع للتعبير عن قصر الوقت وسرعته ، فجعله مقدار ما يلفظ القائل كلمة لا^(٥) ، ومن ذلك قول أبي نواس متغزلاً^(٦) :

(١) كان من عادتهم أنهم يحسبون الناقة ثم يركبونها ساعده لتقيق ويقولون فاقنا الناقة هاجبها . وقد حدثني بعض الطلاب الصوماليين بمعهد اللغة العربية جامعة أم القرى أن اللغة الصومالية تعرف تعبير Heskanta geel بمعنى وقت الصبح ويعني التعبير حرفياً حبب الإبل .

(٢) النهاية ٣ / ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ١٨٠ .

(٤) نثر وقي شرح شعر أبي تمام ص ٧٦ .

(٥) يقول المروقي ، شاع تعبير لا للدلالة على قصر المدة الزمانية ومن ذلك قول جرير

يكون سول الركب قيه كلا ولا عشاننا ولا يدبون رجلاً إلى رجل

(٦) السير ٢٧٢

فراجعى الوصل فإن زرتكم قدر فوق هاقه فأحلمى رأسى

وكما استعملت الجماعة العربية لفظ الصواق الذى يعنى قدر الوقت ما بين الحيتين لساعة، معادلا دلاليا للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته استعملت أيضا لفظ العتمة اسما لثلث الأول من الليل واللفظ مأخوذ من العتم بمعنى الحس وهو المكث أو الإبطاء والتأخير لأنه كان من عادتهم حبس الإبل والعنم بعد المغرب وتأخيرها فى مراحها ثم يستميقونها بعد ساعة من الليل للحلب، وقد سميت تلك الساعة بالعتمة ومن ذلك المواتم أى الإبل التى تحلب فى ذلك الوقت^(١)، ويحد الفاظ أخرى تتصل بشرب الإبل^(٢) للتعبير عن أوقات الزمان.

الورد : يعنى اللفظ الماء الذى ترد الإبل والطير، كما يعنى ذهاب الإبل والإنسان أيضا إلى الماء كل يوم، وهو خلاف الصدر بفتح الصاد والدال الذى يعنى رجوع الوارد من الورد انظر قوله تعالى : ﴿ لَا تَقَى حَتَّى يُصْبِرَ الرَّعَاءُ ﴾ (الفصم : ٣٣) أى عندما يرجع الرعاة من سقيهم، ومن أمثالهم تركته على ليلة الصدر، أى لا شيء عنده لأن هذه الليلة لا يبقى فيها حيوان وإنسان على الماء، ومن هذا القبيل أيضا قولهم لئدى يبتدئ أمرا ولا يتمه : فلان يورد ولا يصدر. وإن أتمه قالوا له : أورد وأصدر^(٣)

وقد استعملت الجماعة العربية لفظ الورد بمعنى الحرء من الليل يصلبه الرجل، والورد الجزء من القرآن يقرأه الرجل كل ليلة، وكان الحسن وابن سيرين يقرآن القرآن من أوله إلى آخره ويكرهان الأوراد، جمع ورد أى الجزء، وكانوا قد جعلوا القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سور مختلفة على غير تأليف حتى يعدلوا بين الأجزاء ويسووها وكانوا يسمونها الأوراد^(٤).

(١) اللسان عم

(٢) وصفت الجماعة العربية الفاظا واصفه لأوقات شرب الإبل أو سيرها للماء، مثل : الطبق بمعنى سيرها للماء بهازا، و لصرب سيرها للماء ليلا، و لعب سيرها للماء يوما بعد يوم، والريح كل ثلاثة أيام، و لحمص كل أربعة أيام، كما سمت الشرب الأول بهلا والثاني عللا، انظر هذه الألفاظ فى موضعها باللسان.

(٣) اللسان ورد وصدر انظر من ١٩٥ من الدراسة.

(٤) «نهاية ١٧٣ / ٥»

العيب : من أوراد الإبل، وهو أن ترد الماء يوما وبدعه يوما، ومن ذلك قولهم أغبت الإبل لم تأت كل يوم بذبن، وعيب فلان إذا جاء زائرا يوما بعد يوم أو جاء يوم فى الأسبوع، جاء فى الحديث «أعبوا فى عيادة المريض» أى لا تعودوه فى كل يوم لما يجده من ثقل العواد، وجاء فى الحديث أيضا : «أعبوا فى عيادة المريض وأربعوا» أى زوروا المريض يوما بعد يوم، وأربعوا أى دعوه ثلاثة وأتوا، إليه فى اليوم الرابع^(١)، ومن أمثالهم : «زُ غيا تزدد حيا» قال الشاعر^(٢) .

إذا شئت أن تقلى فزُر متواترا وإن شئت أن تزدد حبا فزُر غيا
ومن كلامهم : أقصر من غب الحمار ويقولون أيضا أقصر من ظمأ الحمار
لأن الحمار لا يصبر على الماء أكثر من غب ولا يربح، وثرع بكسر الراء بعد
الف^(٣).

انطاهرة : أن ترد الإبل أو الخيل الماء كل يوم ظهرا وتصدر عند العصر ومن ذلك قولهم أقصر من طاهرة لفرس لأن الفرس لابد له أن يسقى كل يوم^(٤)
كانت الإبل كما نعرف من أهم حيوانات الجماعة العربية التى اتخذتها وسيلة للحركة والسفر، وقد كان سمرها دائما ليلا لتجنب شدة الحرارة ولهذا قالوا : «اتخذ الليل جملا»^(٥)، لم يعمل ليلا، وكأن الليل أشبه الجمال لأن كليهما يسهل أمر العمل أو السير.

٢-٢ ولا ترال الجماعة العربية الأولى تمدا بتعبيرات زمانية تربط بالحيوانات التى عرفتها البيئة الصحراوية ومن هذه التعبيرات قولهم دب السرحان^(٦) بدلالة وقت الفجر الكادى، قد شبهوا ذلك الوقت بذنب الدب الأسود لأن باطن ذيله أبيض وبجاسيه سواد، كما عبروا عن انتصاف النهار أو وقت الظهيرة بقولهم : أتيته حين يشد الظبي ظله^(٧) وذلك لأن الظبي يطلب كاسا يكتن فيه حين

(١) «النهاية ٢ / ٣٣٦ و للسان»
(٢) «الميدانى ٢ / ٨٧»
(٣) «اللسان عيب الميدانى ٢ / ٨٧»
(٤) «اللسان ظهر الميدانى ٢ / ٥٢»
(٥) «الميدانى ١ / ٢٣٧»
(٦) «اللسان دب»
(٧) «اللسان ظبو»

قد علمنا أن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة فإنه يقسمت أصواته المعروفة بالعدد عليها، كما يقسمها والليل تسع ساعات، ثم يضع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء الحصص على حساب ذلك، فليعلم الحكماء بأنه فوق الأسطرلاب، وفوق مقدار الجذر والمد على منازل القمر، حتى كأن طبعه فلك على حده.... ويستطرد الجاحظ قائلا: «.. كما أنه يدل على أن موضعه مأمول مأنوس، ولذلك قالوا: لا يكون البنيان قرية حتى يصقع فيها ديك، قال عبدة بن الطبيب:

دا صفق الديك يدعو بعض أسرته إلى الصباح وهم قوم معاريل
كما ينقل لنا الجاحظ ما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه قال: صرخ ديك عند النبي ﷺ فسبه بعض الصحابة، فقال ﷺ: لا تسبه فإنه يدعو للصلاة. وفي رواية أخرى: إنه يؤذن للصلاة^(١) (٢).

يذكر أبو حيان التوحيدى ما نعرفه عن الديك من أنه يوقظ العائم بصياحه ويشر بإقبال لصباح وظلوع الشمس ويوقظ لصلاحين لعمامهم والصاع، كما ينقل لنا قول أحد الأعراب: أتيت هلالنا قبل أن ينطق الديك^(٣).

لقد كان تعبير صياح الديك متداولاً مشهوراً لتعيين وقت الصباح الباكر يقول أبو حيان الأندلسى نقلاً عن ابن الأنباري: يجوز أن نقول خروجنا وصياح الديك أى وقت صياح الديك^(٤)، كما نجد أيضاً تعبير حسو الديك بدلالة قصر الوقت أو سرعته، ومن ذلك قول الشاعر^(٥):

وتوم كحسو الديك قد بات صحبتى ينالونه فوق القلاص العباهل

كما قالوا أيضاً حسو الطير لأنها مثل الديك إذا شربت حطت رأسها في الماء ثم رفعت بسرعة، ومن ذلك قول ذى الرمة^(٦):

(١) جاء في الحديث قوله ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فملاؤا الله من قصه فإنها رأيت ملكاً، وإن لم يسمع بهيئ الحمار فتعودوا بالله من الشيطان، فإنها رأيت شيطاناً» صحيح مسلم يشرح النووي ٥٧٤ ط / شعب،

(٢) الحيوان ٢/ ٢٤١، ٢/ ٢٥٨

(٣) الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٨٧

(٤) الميداني ٣/ ٣٠١

(٥) البحر المحيط ٥/ ٢٢٥

(٦) الديوان ٥١٠

ويوم كحسو الطير نازعت صحبتى على شعب الأكوار فوق الحواريك
ومن هذا القبيل قولهم أيضاً « أقصر من إيهام القطاء أمدارة لفصر الوقت أو سرعة انقصائه ومن ذلك قول جرير^(١):

ويوم كإيهام المطا محبب إلى هواه غائب إلى باطله

وكما سبق أن رأينا تعبير « والطير فى وكثاتها» عند امرئ القيس بدلالة البكور نجد تعبيراً آخر يدل على هذا الوقت وهو قبل العطاس يقول امرؤ القيس^(٢):

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الحب فعم المنطق
ومن ذلك قول المسيب بن علس^(٣):

أرحلت من سلمى بغير مناع قبل العطاس وودعتها يوداع

يحدد المعجم العربى للجماعة العربية بمدنا بعض التعبيرات الزمانية الأخرى مثل لمح البصر وارتداد الطرف للتعبير عن قصر الوقت أو سرعته، ونجد التعبيرين فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَمِمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ سحر ٧٧ وفى قوله تعالى ﴿إِنَّا تَبَيَّنَّا لَكِ الْفُتُورَ﴾ (النمل، ٤٠)، والطرف الحفن ويعبر به عن العين والبصر، ومثل هذين التعبيرين قولهم أيضاً « قبل غير وما جرى »^(٤) والغير هنا مثال العين وهو الطرف، وجرية حركته، فيكون معنى التعبير قبل أن يطرف الإنسان، قال الشماخ^(٥)

وتعدو القبصى قبل غير وما جرى ولم تدر ما بالى ولم أدر ما لها

وبعد أن رأينا كيف ساهمت البيئة وطورها الطبعية المحتملة فى تحديد أوقات الزمان، فنقل إلى بيان صورة الرمان ومفهومه لدى الجماعة العربية

(١) المستقصى ١/ ٢٧٢

(٢) الحيوان ١٧٢

(٣) النمل عظمى -

(٤) الميداني ٣/ ٤٨٢

(٥) النمل عجم

الفصل الثالث

الزمان والمجتمع

سبق أن أشرنا إلى أن مفهوم الزمان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان الذي يحدده بناء على معاشته للبيئة التي يعيش فيها من ناحية والمجتمع الذي ينتمي إليه من ناحية أخرى، وإذا كان الزمان البيئي زماناً طبيعياً يرتبط بحركات الكواكب والأرض والشمس والقمر، فإن الزمان الاجتماعي يواكب حركات هذه الكواكب التي تتولد عنه تقسيمات زمنية مثل السنة، والفصل، والشهر، واليوم، والصباح، والمساء، والليل، والنهار، والمشرق، والمغرب، وغير ذلك كما يربط بين هذه التقسيمات وبين أحداث ووقائع اجتماعية يمارسها المجتمع في كل وقت من هذه الأوقات مثل الاحتفاء بالمناسبات والمواسم والأعياد المختلفة، فالزمان بوصفه تجربة يتمير في جوهره بالتواتر و التكرار فهو ينطوي على دورات متعاقبة لأحداث الميلاد والموت، والأدهار والذبول، ودورات الأيام والشهور والفصول^(١)، وإلى جانب هذا الارتباط بين الزمان الطبيعي وبين الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تعيشها الجماعة وتمارسها وفقاً لمعتقداتها وتصوراتها، فإننا نجد مفاهيم جمعية للزمان لدى كل مجتمع يعبر عنها لغوياً بالفاظ وتصبرات تعكس وتصور لنا هذه المفاهيم^(٢).

(١) International Encyclopedia of social sciences, p. 36, vol. 16

(٢) نعرف بعض اللغات الأفريقية و الآسيوية لفظي اليوم والنهار، كاللغة السواحلية يستعمل لفظ sky ليوم ولفظ machani للنهار، ويستعمل لغة الهويدي في سيجيريا لفظ Ojo ليوم ولفظ osan للنهار، وتستعمل التركية لفظ gun ليوم ولفظ guanduz للنهار، وتستعمل اللغة الدارينية في الخليج لفظ Dawn Daw ليوم ولفظ salangan للنهار. حديثي بذلك بعض الطلاب الذين يتكلمون هذه اللغات بمعهد اللغة العربية بحير الناطقين بها بجامعة أم القرى مكة المكرمة

١ ١ إن المجتمعات الإنسانية تتفق في معرفتها لأوقات الزمان مثل الفصول و شهور و أيام و نيل و ليل و النهار التي تعتمد على حركة اليومية الأرض والدورة الاعيادية لتدوير الشمس إلا أن بعض هذه لوحدها إرشادية لا تنفع جميعها ولا تأخذ مفهومًا و حدث لدى هذه المجتمعات فalcie عرسية مثلاً يستعمل نصف ما temps بدلالة الزمان ودلالة الطقس أيضاً كما يسرق مثل عرسية بين مفهوم يوم والنهار يعطى Le jour أما الإخبارية وعص العبد الأخرى فلا تعرف إلا نصف و حدثاً ليوم Day هذا أراد متكم لإحصائية أن يعبر عن النهار بل Day Light ومن هذا القبيل لمصل عدم الموجود في كثير من لغات الذي لا يحده هي لغة قبش الكشو من Qanehuas في يرو ويما تستعصب عنه بالعبير «توقفت شمس»^(٢) وقد كات كثير من المجتمعات الإنسانية تعرف هذا التعبير «مضى يوم» من الشهر أو الأسبوع، فإن هنود الهوى Hopi يقولون هذه هي المرة الثالثة التي تصيء فيها الشمس كما يعرف هود الهوى أيضاً أنماط الماصي والحاصر و مستقبل ولكنهم يعبرون عن ذلك بحالات مر حبة فقط جهات المرح لبوكيدي Assertive mood مثل عبارة أؤكد وصوله لتي تشير إلى أحدث لتي تعبر عنها بالمصي والحاصر بمعنى وصل ويصل وهناك أيضاً المرح لافتراضى أو الظلى Susceptive mood مثل عبارته أظنه قادم وهذه تماثل قولنا سيحضر أو ربما يحضر^(٣).

(١) لا تتفرق بعض السمات الأخرى بين اليوم والنهار بينما
في ميجيروا التي تستعمل لفظ Rana اليوم في النهار
(٢) انظر كذا في الأصوات والإشارات
(٣) المصدر نفسه ١٢٥
ع بطرس ص ٧ م ع ر ه

نجد الرمان المردي يقترن بالزمان الاجتماعي في شكوى من الرمان لدى الشعراء في مثل هذه الأبيات

لم يرصني ومنى كما
أرصى موى فأرتصيه
زمن يقل به السـرور
كقلة الإخوان فيه

وابن الرومي يعاتب صديقا بقوله . (٧)

إن كلاهما يكون مفهومه عن الزمان وتصوره للماضي والحاضر والمستقبل من خلال لغته التي يكتسبها من مجتمعه، لأن اللغة تعبير صادق عن ثقافة المجتمع بل هي وعاء لهذه الثقافة التي تحمل بصورة ورؤيته لكل ما حوله، إن هذه الثقافة تجعلهم يسأل لسأل للظلم بعد سؤاله عن اسمه كم سبك؟ كما أن هذه الثقافة أيضا قد تجد في مثل هذا السؤال حروحا على أدب الحديث، راحة للمرأة كما نجد الثقافة تساهم كذلك إلى حد كبير في تحديد أوقات الزمان وفيتمته، فوقت الملاح في العرية ليس كوقت العامل في المدينة، فالأول يحدد لمسه الوقت بحركة الشمس في السماء والثاني يحدده له صاحب العمل بدقائق الساعة وحركات عقاربها لهذا يحدد زمان العامل سريعا فقصير الواحد بحدود الساعة ولشدة، وزمان الملاح يبطئ طويلا الواحد مثل الصباح والظهر، والعصر، والمغرب ولهذا نجد يصيق عندما نطالبه بتوقيت يلتزم بالساعة والدقيقة (٣).

(٧) البصائر و البحائر ١٢٩/٤

(۳) د. زکی نجیب محمود افکار ومواقف ۲۷۱ طہ دار اشراق ۱۹۸۳

١ - ٢ إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والأسلوب الذي يحيا به هي مجتمع، إلى جانب نوع العمل الذي يقوم به ومعتقداته الديني ومستوى تعليمه يساهم كل ذلك بدرجة فعّالة في تحديد مفهوم برمان في ذهن أفراد المجتمع وإذا عرفنا هذه الحقيقة يجب أن نسأل كيف تصورت الجماعة العربية الأولى الرمان من خلال تحاربها ومعتقداتها، وكيف عبرت عنه بآرائها، إننا يمكن أن نحيط عن هذا السؤال باستعراض بعض الألفاظ الزمانية التي عرّفها المعجم العربي وأعطتها العربية مفاهيم أخرى تكشف لنا تصورها عن الرمان.

بهشت يده حية فضلت، ثم رميت رحلاه واحدة بعد الأخرى^(١) أى مرضت، ويذكر لنا اليرير بن يكار أن ملك الروم بعث رسولا لأمير المؤمنين أبى جعفر المصور فدخل عليه فسأله عن أشياء وأنه يهدايا كثيرة، فأمر عمارة بن حمزة أن يركب معه إلى المهدي بالرصافة فخرج حتى إذا كان على لجسر نظر الرسول الرومى إلى زمنى على الحسر يتصدقون فقال للترحمان: قل لهدى يعنى عمارة عذكم رضى يتصدقون، وكان ينبغى لصاحبك أن يرحم هؤلاء من رعايتهم ويكفيهم مؤونة أنفسهم وعيالهم، ويحمل عنهم الفقر والحاجة مع الزمينة^(٢)، لقد أشتقت الجماعة العربية لزمانية من الرمن لأنها اعتقدت أنها حادثة عنه، ويصور لنا بعض الشعراء ذلك ايضا، يقول أبو المتح السبتي^(٣)

يقول ابن الأثير في النهاية «كان من شأن العرب أن قدم الدهر وتسميه عند سوزل وحوادث سى سزل بهم من موت أو هرم فيقولون أصابتهم فوارخ الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر فيجعلون الدهر الذى يعمل ذلك هيدمونه» (١) وقرأ كثيرًا من التعبيرات اللغوية التى تؤيد ذلك مثل بوائق الدهر، نائبات الدهر، نكبات الدهر، حدثان الدهر، سهام الدهر، ريب الدهر، يد الدهر (٢)، ونجد من يجعل الدهر عولا يلتهم الرجال، يقول امرؤ القيس (٣).

لم يحزنك إن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا ولعل هذا التصور جعلهم يستعملون لفظ التدهور الذى يشتعر مع لفظ الدهر فى أصله الاشتقاقي بدلالة المسد والتحل، ومن هذا قولهم: دهور الشيء جمعه والقذف به فى مهواه (٤)، ولهذا قال الشاعر أيضا (٥)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى لقد نصبت الجماعة للعربية للدهر كل شيء لأنه يسيطر على كل شيء وقد رد عليهم الشرع الإسلامى فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْنِكُمُ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمُ بِدَلٍّ مِنْ أَلَمْ يَدْعُوا إِلَى مَا يَصُورُونَ﴾ (سجدة ٢٥) وجاء فى الحديث قوله ﷺ: قال الله يسب نفو آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار (٦).

لقد جرد الشرع الإسلامى لفظ الدهر من الإيحاءات الجاهلية، فالمصاعلة الحقيقية التى نصبت للدهر أو الزمان هى لله سبحانه وتعالى، وإن ثمة صريين من الوجود: الوجود المتمزم وحوادث المخلوقات، والوجود غير المتمزم وجود الخالق. الأول وجود هان والثانى وجود سرمدى، كما أن هناك الزمان الماصى الذى يبدأ بخلق لعالم ويتحرك نحو المستقبل لدى يتم فيه الحساب كما يرى فى قوله تعالى ﴿أَوْ لَمْ

يَشْكُرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا بِالْحَقِّ وَأَحَلَّ مُسَمًّى وَبِكَبِيرٍ، مَنْ الدَّيْسُ يَنْفَاءَ رَبِّهِمْ لَكَافُرُونَ﴾ (سورة ٨) كما أن كل ما تم من الأفعال فى الماصى له وجود ثابت محفوظ من كتاب الأعمال ليوم الحساب لقوله تعالى: ﴿وَرَوَّضَ الْكِتَابُ هَرَى الْمَجْرَمِينَ مُشْفَعِينَ مَعَهُ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا مَا لَنَا مِنْ لَهْجَةِ الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَرَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (نجم ١٩) وكما أن كل ما تم فى الماضى يتحرك نحو المستقبل، نجد حاضر الإنسان المسلم يتحرك نحو المستقبل الذى يتم فيه الحساب لقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنُفُوذُكُمْ بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فَتَةً وَإِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء ٣٥٠) (١).

وكما سبق أن ذكرنا فى الفصل السابق أن الجماعة العربية قد اتخذت الحيوان معادلا دلاليا للتعبير عن أوقات الزمان (٢) فقد استعملت تعبير الأزم الجذع وهو صغير السن من الوعول بمعنى الدهر، كما قالت أيضا: مر الدهر جذعا، قالت ذلك لأنها كانت ترى أن الدهر باق على حال واحدة كأنه فتى لايس ولا يتغير مثل الوعول والظباء التى لا يسقط لها سن فهى جذعان أبدا، وجاء التعبير فى قولهم: لا آتية الأزم أى لا آتية أبد الدهر، وأودى به الأزم الجذع أى أهلكه الدهر ومن ذلك قول الأخطل (٣):

يا بشسر لولم أكن منكم بمنزلة النقى على يديه الأزم الجذع الأبد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمن غير المحدد والجمع اباد وأبود، تقول أبديا، تقول أبد بالمكان أقام به ولم يبرحه، والمؤبد الخالد والدائم، والتأبيد التوحش، والأواید الوحوش لأنها تعمر على الأبد، والأبدية الداهية يبقى ذكرها على الأبد، والأبدية الكلمة والمصلة العربية ومضى ذلك قولهم أمد الشاعر أنى

(١) د. عمت الشرفاوى فى فلسفة الحضارة الإسلامية ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ط ١ النهضة العربية بيروت ١٩٨١

(٢) أنظر ص (٨٢) من الدراسة

(٣) اللسان رلم، جذع والميدانى ٤٤٤/٢ أنظر ص ١٢٢ من الدراسة

(٢) الألفاظ الكتابية ١٥٤

(٤) اللسان دهر

(٦) البخارى ٥١/٨ ط شعيب

(١) النهاية ١٤٤/٣

(٣) الديوان ٣٠٩

(٥) بيضة الدهر ٣٤٢/٣

بالعويص الذي لا يعرف مساء (١).

الأزل - استعملت الجماعة العربية اللفظ بفتح الألف والزاي بدلالة الزمان الماضي القديم في مقابل الأبد بدلالة الزمان المستقبل، فقالت: شيء أزلي أي قديم كما استعملت الجماعة العربية اللفظ بكون الزاي بمعنى الضيق والشدة فالأزل صيق العيش والأزل الداهية أيضا، ومن ذلك قولهم أرل الرجل يأرل أرلا صار في ضيق وشدة، وقولهم هم في أرل من السنة أزلت السنة اشتدت وأجدبت (٢)، ومن ذلك قول طهمة للرسول ﷺ أصابتنا سنة حمراء مؤزلة (٣)، أي آتية بالأزل.

الحسن - استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحاء بدلالة الوقت غير المحدد من الزمان قصر أم طال، كما استعملته بفتح الحاء بدلالة الهلاك ومن ذلك قولهم حان الرجل أي هلك وأحماه الله كذلك، والحائفة النازلة ذات الحين، ولجمع حوائث ومن أمثالهم أنتك بعائث رجلاه (٤)، قال النابغة:

بتيل غير مطلب لديها ولكن الحوائث قد تحين

الأجل: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة غاية الوقت أو مدة الشيء ومن ذلك وقت العمل في مثل قوله تعالى: ﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (المصم ٢٩)، ووقت حلول الدين في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَدَأْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقره ٢٨٢)، كما استعملته أيضا بدلالة وقت حلول موت الإنسان وكأنه قد استدان عمره لمدة محدودة وعليه أن يرده مع حلول الوقت في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُزَكَّرُ لَهُ نَفْسٌ إِذَا حَاءَ أَحْبَبَ﴾ (تيسر ١) وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأنعام ٢٥).

لسنة - استعملت الجماعة العربية لفظ بدلالة امدد الرعاية لشي تكون من شيء عشر شهرا، كما استعملته بمعنى الجذب أو الشدة ومن ذلك قولهم: أصابته

لسنة أي أصابهم قحط أو شدة، كما قالوا أيضا: هذه أرض سنة أي مجدية وهذه بلاد سين أي جدية (١)، قال الطرماح

بمنحرق سحن الريح فيه حنين الجلب في البلد السنين

وقد جاء في القرآن والحديث ما ينمو وقولهم أخذتهم السنة بمعنى الجذب أو الشدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِّ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (الأنعام ١٣٠) وجاء في حديث الدعاء على قريش (٢): «أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف»، وهى التى ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعَّةٌ شَدَادُ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ﴾ (يوسف ٤٨)، أي سبع سنين فيها قحط وجذب، كما جاء في الحديث أيضا (٣): «اللهم أعنى على مصر بالسنة» أي بالجذب، وجاء في حديث عمر رضى الله عنه «أنه كان لا يحيز نكاحا عام سنة»، أي عام جذب لأنه ربما حملهم الضيق على أن ينكحوا غير الأكفاء، كما كان لا يقطع في عام سنة (٤)، أي لا يقطع يد السارق

وكما رأينا الجماعة العربية تسمى الدهر بالأزلم الجذع، بجدها تسمى السنة المجدية وتقول: أفسد من الضيع وتقول أكلتنا الصبح، يقول الميذاني ومن عبت الصبح وإسرافها في الإفساد استعارت العرب اسمها للسنة المحددة (٥)

كما نحد اللفظ يشتجر في أصله الاشتقاقى بالسنة بدلالة التغير والفساد ومن ذلك قولهم طعام منه آتت عليه السون ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَنَظَرْنَا إِلَىٰ عَذَابِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقره ٢٥٩) أي لم يتغير ولم يفسد، كما يشتجر أيضا بلفظ السن بكسر السين بمعنى السن والتغير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ حَمَّ مَسْتَوِينَ﴾ (الحجر ٣٦) أي متغير - جاء في حديث بروح بنت واشق، وكان زوجها سن في بئر، أي تغير وأسن (٦).

(١) اللسان ص ٤١٣

(٢) النهاية ٤١٣/٢

(٣) المصدر نفسه ٤١٤/٢

(٤) المصدر نفسه ٤١٤/٢

(٥) الميذاني ٣٦٢/٢ انظر ص (١٣٢) من المصاحفة

(٦) اللسان ص ٤١٣

(١) لسان أيد

(٢) الميذاني ٣٢/١ لسان حبي

(٣) لسان أيد

(٤) النهاية ٤١٦/١

اليوم ثم يكن هذا اللفظ مقتصرًا كغيره من ألفاظ الزمن على مفهوم لوقت المحدد أو غير المحدد من الزمن، ولكنه ارتبط كغيره من الألفاظ التي رابها بالشدّة ولهاك، يشير للمعجم، إلى أنهم قالوا يوم ذو أيم، ويوم ذو أيا يم لطول شمره على أهله، وقالوا يوم ساء ويوم عليد أي يوم يسرا ويوم يحرسا، وليوم يومند، يريرون التشنيع، ولكل قوم يوم، أي عقاب وجزاء، وقالوا في الدعاء: لا أراني الله يومك أي يوم موتنا^(١)، ومن ذلك قولهم يوم عبيد أي يوم قتله، ويوم العير أي يوم دسجها^(٢) ومن أمثالهم من بر يومًا ير به أي من أجل بغيره مكروها حل به مثله^(٣)، وبعد هذه الدلالة في شعر الهذليين في هذه الأبيات^(٤).

وكلُّ امرئ يومًا إلى الموت صائرٌ
وما أحدٌ حيٌّ تأخر يومه
لا تأمن ولو أصبحت في حرم
ولا تهان إن يممت مهلكة
ومن هذا القبيل ما يذكره أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (سورة ٩٨) الدوائر المصائب التي لا محصل منها، تحيط بهم كما تحيط الدائرة، وحقيقة الدائرة ما تدور به الأيام، وقيل ما يدور به الصك في سيره، والدوائر انقلاب النعمة إلى صدها، كما يذكر في تفسير قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الدَّوَابِّ﴾ (سورة ١٠١) قول لمرء إلى معنى الآية حوهم بما برل بعدد وثمود وغيرهم من العذاب وبالعمو عن الآخرين، قال بن عيس آدم الله سلاؤه وعمهؤمه^(٥)، ولعن هذا المنصور سي الجماعة العربية جعل بن سيده يورد في سمر لأواء ناب بعوان «بعوت لا يام هي شدتها»^(٦) يصر فيه بعض هذه «بعوت عن العويس كما يني» عن

أي عبيد: يوم قسى وهو الشدند من حرب أو شر، وص ابن السكيت: يوم عمرس بتشديد الراء وصفها شديداً مطلم، قال أبو زيد، أعم يومند جاء بغم ولية عمه وعم أيضاً، قال أبو عبيد: يوم أروند ولية أروانة إذا بلغ الغاية هي الشدة والكرب، قال ابن دريد: يوم تحس بكسر الحاء وسكونها أي شؤم ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ضَرَضًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر ١٩٠)، قال ابن دريد: الأيام: الحسوم الدائمة الشر والشدّة خاصة، واللفظ مأخوذ من الحسم أي القطع كأنها تقطع الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة ٧).

وإذا كان مفهوم اليوم كما سجله لنا هؤلاء اللغويون ونص عليه المعجم العربي فلا غرابة أن تسمى الجماعة العربية وقائعها وحروبها بالأيام، يقول ابن السكيت تقول العرب الأيام في معنى الوقائع...، ويجعل حاجي خليفة معرفة هذه الأيام علماء يعرفه بأنه، علم يبحث الوقائع العظيمة والأحوال الشديدة بين قبائل العرب، يقول أبو حيان فلان عالم بالأيام العرب أي وقائعها وحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قصة وغيرها، قال الشاعر «أأيامنا مشهورة في عدونا»، أي وقائعنا^(١). لقد كانت هذه الأيام غارات طارئة تقع في يوم واحد وتنتهي بانتهاؤه وقد تطول بعضها ويمد إلى شهور بل إلى سنين، يقول عمرو بن كلثوم في معقبه المشهورة^(٢).

وأيام لنا غـ طوال عصينا الملك فـ فيها أن ندسا
يقول ابن السكيت أيضاً: إنما حصوا الأيام دون ذكر الليالي لأن حروبهم كانت نهاراً، أو كانت توقفت عند حلول الظلام، ولهذا نجد لفظ الصباح أو التصبيح يأتي في كلامهم بمعنى الإغارة، ويشير المعجم إلى أن العرب تقول إذا اندرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحاً: يا صباحاه!، يندرون الحي أجمع بالداء العالي^(٣)، وفي

(٢) التورس شرح المعاني ١٤٦

(٣) سحر المحيط ٥، ٤
(٤) للمصاحف

(١) تيداني ٢٠٤/٤
(٥) لبحر المحيط ٩١/٥، ٩٠/٦

(١) ناسن يوم
(٢) نثار نقوب ٢٤١
(٤) شرح أشعار الهذليين ٢٠٥/٣، ٧١٢/٢
(٦) المحمص ٦٠/٦، ٦١

لحديث لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشمس: ٢١٤) صعد الرسول ﷺ على الصفا وقال: يا صباحاه! (١)، وهذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للعارفة لأهم أكثر ما يغيرون عند الصباح (٢)، فكان القائل يا صباحاه يقول: قد عشيها العدو وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فلما عاد النهار عادوا. وقد ارتبط الموت والهلاك في كلامهم بوقت الصباح أنظر قوله تعالى: ﴿أَنْ دَارَ هَؤُلَاءِ مَقْطَرَعُ مَضْجِحٍ﴾ (نجم: ٦٦) أي هلكوا في ذلك الوقت، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه (٣) كل أمرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك بعله أي مأتى بالموت صباحا لكونه فيهم وقتئذ.

كما تحيرنا كتب الأمثال أن الرجل كان يقول لمن يتوعدده - أرقب لك صباحا (٤). ٢ - ١ لم يكن مفهوم الرمان الجمعي في دهر الجماعة العربية مقتصرًا على معاني المرض والعجز، كما وجدنا في لفظ الرمانة، والشدة، والمصائب وكما وجدنا في الفاظ الدهر، واليوم، ولأبد، والأزل، والموت، والهلاك هي لفظي الحين ولأجل، والحديث، وتفساد في لفظ السنة، بل نجد معنى الخوف أو التشاؤم يرتبط أيضًا بالرمان أيامه وشهوره مما يدخل بعض أوقات الرمان ضمن ما تعرفه المجتمعات الإنسانية من المحظورات Taboos ومنها الزمان المحظور أو الحرام (٥) (٦).

(١) النهاية ٦/٣.

(٢) اللسان صبح.

- ليداني ٢٨/١

(٣) نهاية ٦/٣

(٤) انظر كريم حسام الدين لمحظورات اللغوية من ١٤ - ١٨ ط الأندلس لصرية

(٥) لا يزال اليوم في مصر يعتقدون أن هناك ساعات من النهار بل أيام مخصوصة لا يحسن بمره أن يأتي فيها عمال لأب، منحوسة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الاعتقاد في الأيام معدة ونسبها يعود إلى المراجعة القديمة، فقد كان اليوم الأول من أشتير ويوم ٢٧ هاتور من أيام السمدة والبركة عندهم لأن الأول هو اليوم الذي رفعت فيه السماء والثاني هو اليوم الذي تم فيه انصراع بين الإلهين حورس وسيت، أما يوم ٢٤ طوية فهو من أيام النعم لأن اليوم الذي يكت فيه إيزيس على أوزيريس، كما كان المراجعة يؤجسون أعمالهم مثل السفر والرواح والورع إذ صابحوا مثل هذا اليوم ١٧ نسخة الألف كتاب داهرة نصر محرم كما تار حصده مراجعة ١٧ نسخة الألف كتاب داهرة

تحيرنا مصادر اللغة ولأدب أن يوم الأربعاء ارتبط بالطيرة والتشاؤم وبصور لنا الثعالبى ذلك قائلًا: «... قرأت في أحبار مزيد أن رجلا جاء فقال له: أحب أن تخرج معي وتصل جناحي في حاجة لي؟ فقال هذا يوم الأربعاء أستثقله ولست أبرح منزلي، فقال الرجل: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد يونس بن متى؟ فقال: لا جرم وقد يانت بركته في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى وصل إلى ورق القرع (١)، قال: وفيه ولد يوسف، فقال: وما أحسن ما فعله إخوته حتى طال حبسه وغريته (٢)، وقال: وفيه أوحى إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: هما كان أبرد من الأتون الذي أوقدوه له حتى خلصه الله تعالى (٣)، قال: وفيه نصر الله رسوله يوم الأحزاب، قال: أحل يأبى أنت وأمي، ولكن بعد أن زاعت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ووطنوا بالاله الظنون، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (٤) (٥).

كما ينقل لنا الثعالبى مفتتح قصيدة لابن الحجاج يرثي بها الفتح بن العميد فتا (٦):

أقول ليوم الأربعاء وقد غدا على بوجهه أغبر اللون قاتم
بعثت على الأيام حسا مؤبدا يشـؤمك يا يوم السدى والمكارم
وينقل لنا تشاؤم شاعر آخر في قوله (٧):

الأربعاء يوم وحش الحس فيه منكمش
لاحد فيه ولعطا مبردي المهورات حططا

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ حيث في هذه الآية يوم يعاد * ليدانه بالمرء وهو ميم * ريت عية شجرة من يقطي (المصنفات ٤٥ - ٤٦)

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ فِي بَدَأِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ (يوسف: ٢٥)

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَاصْبُرُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ كُتُمَ لَاعِلِينَ﴾ قل يا نازكوي برذا وسلافا على إبراهيم (الأنبياء: ٦٨ - ٦٩).

١. يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا حَيَاتُكُمْ وَمِنْكُمْ رَوَّاعٌ﴾ (الأنبياء: ٦٨ - ٦٩)

(٤) المصدر المطلوب ٦٤٩
(٥) المصدر نفسه ٦٤٨
(٦) (٧) المصدر نفسه ٦٤٨

ونقرأ في الرسالة البعدادية لأبي حيان التوحيدي هجاء لأحد أقرانه قائلاً: «يا يوم الأربعاء في آخر صفر»^(١)، ويبدو من هذا القول أن الجماعة العربية كانت تتشاع من شهر صفر، فقد صورت لنا عبارة أبي حيان الهجائية نشاطاً مركباً إذا صح التعبير، وعلى ما يبدو أن الجماعة العربية لاتزال إلى اليوم تتشاع من بعض الأيام والشهور وتطير من العمل والزواج فيها، ويذكر لنا بعض الباحثين لمحدثين في دراسته لقبيلة حرب التي تعيش في شبه الجزيرة العربية أن أفراد القبيلة لا يتزوجون في شهرى حمادى لا اعتقادهم بأن الزواج لا يحمى فيهما، ولا يتزوجون أيضاً في شهر شعبان ويسمونه قصير، لأنهم يعتقدون أن الزوج يقصر عمره فيه، كما يتشاعون من يوم الأربعاء فلا يسافرون فيه ولا يعقدون فيه كحاً ولا أمراً ذا بال، ويعتبر أفراد قبيلة حرب أن اليوم الحادى والعشرين من كل شهر كيوم الأربعاء، ويذكر الباحث لفظ الصرباء: الذى يعنى اتفاق يوم الأربعاء مع الحادى والعشرين من الشهر، واللفظ مشتق من الصرم وهو القلع، وهم يعلطون بذلك تحريم السفر أو الزواج أو عمل أى شئ^(٢).

لم يكن يوم الأربعاء وحده هو اليوم الذى تشاعت منه الجمعة العربية، بل كان يوم الأحد أيضاً من الأيام التى تطيروا منها، ويشير الثعالبي إلى هذا النشاط قائلاً: كان قدار بن سالف ومن تابعه من ثمود قد عقروا باقة الله يوم الأربعاء فصباحهم العذاب يوم الأحد فأهلكهم، وينقل لنا قول الشاعر المتشائم^(٣):

تجنب جـدة الأحـد ولا تركب إلى أحـد

وكما سبق أن أشار بعض الباحثين إلى تحريم قبيلة حرب في شبه الجزيرة العربية الزواج في شهرى حمادى لأن الزواج يحمى فيهما، تنقل لنا المصادر القديمة أن الجماعة العربية الأولى في شبه الجزيرة كانت تحرم الزواج في شهر شوال لما فيه من معنى الإشالة والرفع، وقد جاء الإسلام وهدم هذا المعتقد ومن

(١) الرسالة البعدادية ٢٤٢

(٢) عاتق اليلادى بسب قبيلة حرب ص ١٠٥ ط دمشق ١٩٧٧

(٣) ثمار القلوب ١٤٨

ذلك حديث عائشة رضي الله عنها تروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى على في شوال، فأى سائته كانت أحظى عنده منى^(١)، يقول التويرى: كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تستحب أن يدخل نسائها في شوال وقد كانت تقصد بذلك رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله عوام الناس^(٢).

ومن هذا القبيل أيضاً ما تنقله لنا المصادر القديمة من أن الجماعة العربية الأولى كانت تحرم القتال في شهور أربعة وهى: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وقد سموا هذا الشهر الأخير الأصم لأنهم كانوا لا يسمعون فيه قعقة لسلح، ولا صوت مستعيث، ومن ذلك قول الشاعر^(٣):

يلومنى العادل فى حـبـه وما درى شـعـبان أبى رجب

يقول اليوسى: قال ذلك لأن شعبان عند العرب يسمى العادل، ورجب يسمى الأصم، كما كانت الجماعة العربية تعبر به عن السنة في مثلها المشهور: «عش رجباً تر عجباً»^(٤)، ويعنى المثل: من نظر في سنة واحدة ورأى تغير فصولها قاس الدهر كله عليها، فكانه قال عش دهرًا تر عجبا.

٢ ٢ تجربنا المصادر أن بعض القبائل كانت لا تصبر على الأشهر الحرم جميعها وتحرج على هذا العرف فتحرم شهرى ذو القعدة وذو الحجة ويسبئون أى يأخرون المحرم إلى صفر ويحلون القتال في الأول ويجرمونه في الثانى، كما كانوا يسبئون رجب إلى شعبان ويحلون القتال في الأول ويجرمونه في الثانى^(٥).

(١) صحيح مسلم يشرح النووي ٢/ ٨٥ ط دمشق

(٢) تشاع: عرب من معنى الإشالة من الشائل وهى الباقة التى ترفع دليلاً للفرح ولا تلبس لها أصلاً وقيل الشائلة الباقة التى لم يبق في صرعها إلا شول من لبس أى بقية يكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها ومن أمثالهم أنت شولة لما بعدة وشولة هذه أمة رعدة، كانت تصيح مواليدها فتعود نصيحته، وبالأعلى مجبوعه

(٣) زهر الأكم في الأمثال ولسان الحكيم ١٥٢/١

(٤) انظر لئلى وصفته الميدانى ٢/ ٣٤٠

(٥) يذكر ابن خلدون أن عمرو بن لحي الحرامى كان أول من ساء لشهور وأحل منها ما أحل وحرم ما حرم، كما تذكر أيضاً أن أول من فعل تلك القلمس وهو حديفة بن قيس بن عامر ثم جاء بعده ولده عباد، ثم ابنه قلع ثم ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه أبو نامة وعليه ظهر الإسلام، فكانت العرب إذا خرجت من حجة جمعت عليه بمنى فقام عليها على حمل وقال بأعلى صوته اللهم إني لا أخاف ولا أعاف ولا مرد لما نصب لهم إني أحل شهر كذا وأسماته إلى العام المقبل أى أحرقت تحريمه وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقي انظر نهاية الأرب ١٠/ ١٦٦ .

مشهور عند العرب وكأن النهي هنا عن استعمال اللفظ للسبب لا للتحريم (١)

كما نَحَد من المَقْهَاء من حَرَم قَوْل أَحَدِهِمْ حَمْسٌ أَوْ سِتٌّ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ كَذَا،
لأنَّ الْبَاقِيَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى وَالْبَقَاءَ صَدَّ النَّسَاءِ، وَلِلَّهِ هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي تَصْدِيرُ
وُجُودِهِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ، وَلِهَذَا يَسْتَحْسِنُ أَنْ يَقُولَ حَمْسٌ أَوْ سِتٌّ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ كَذَا.

ومن هذا القبيل ما قرره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر باستعمال لفظ يوم بدلا من لفظ عيد الذي يوافق ٢١ مارس للاحتفال بالأم وتكريمها لأن لفظ العيد يستعمل فقط في مناسبتين إسلاميتين هما عيد الفطر وعيد الأضحى، كما رأى المجمع تغيير يوم الاحتفال من ٢١ مارس إلى ٢٠ مارس من كل عام لأن التاريخ الأول يوافق اليوم الذي تحتفل فيه طائفة البهائية بعيد النيروز أو عيد النباه.

٣ ١ سبق أن أشرنا في كلامنا عن ثنائية الزمن والمكان إلى أن الأشياء تستمد مفاهيمها وهويتها من الكبونة والصيرورة معاً، الكبونة هي المكان والصيرورة هي الزمن، وقد فطن اللغويون ونحاه لذلك فدرسوا طرهي الزمن والمكان هي قسم المقعولات لأن كلا منهما يشارك الآخر في الوظيفة التي يؤديها وهي وعائية الحدث، ولعل اختيار النحاة مصطلح الطرف يصور مفهوم الجماعة العربية لوعائية الزمان للحدث، وارتباط أوقات الزمان بأفعال وأحداث بعينها.

وإذا كنا قد رأينا الرمان المحطور الذى حرمت فيه الجماعة العربية ممارسه أى فعل أو نشاط فإسأ يمكن أن نرى أيضا أن بعض أوقات الرمان ترتبط فى ذهن لجماعة العربية بممارسة أفعال أو أنشطة معينة، ومن ذلك ما يقفه لنا القلقشندى تحت «عنوان صفاء الزمان» من وصية أبى تمام للبحتري فى اختيار الوقت المناسب لنظم الشعر قائلا «اعلم أن السعادة فى الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر فإن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وحف عنها ثقل الغذاء ..» (٣).

(٦) مستند معتمد بشرح التوضيح ٧٨٧/٧

(٢) صبح الأعشى ٢/ ٢٤٠

وإذا كان أبو تمام قد احتار وقت السحر للتأليف و لتظم، فإنَّ البلاعي
المصري ابن أبي إصبع ت ٦٥٤، يختار وسط الليل محتجاً بقول أبي تمام نفسه:

خذها انة الفكر المهذب في الدحي
والليل أسود رقعة الجلذاب

لقد فهم ابن أبي الإصبع لمعنى الدحي هنا بوسط الليل الذي اعتبره الوقت
المناسب للإبداع لأنَّ لنفس تكون قد أخذت حظها من الراحة ونالت قسطها من
النوم ويكون الذهن صحيحاً والصدر متشريحاً بخلاف وقت السحر، فيه وإن كان
فيه يرق التسييم ويهضم الغذاء إلا أنه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوانات الناطق
وعيره، وترتفع معظم الأصوات ويمشع الطلام بطلائع الضوء^(١)، كما نجد بعضهم
يشبه أوقات اليوم بفصول السنة قائلاً: إنَّ الغدو بمنزلة الربيع، وانتصاف النهار
بمنزلة الصيف، والمساء بمنزلة الخريف، وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء^(٢).

كما نحدد بعض المصادر تسجل لنا أيضاً تصور الجماعة العربية عن توزيع
الأعمال على الأيام، ومن ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدي نقلاً عن بعض معاصريه
من أن يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم لغرس وعمارة، ويوم الإثنين يوم
سعى وتحارة، ويوم الثلاثاء يوم حرب ومكافحة، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم
الخميس يوم دحول على الأمراء وطلب الحاجات، ويوم الجمعة يوم حوة ونكاح^(٣).

وقد نظم لنا ابن الرومي هذا التصور شعراً^(٤) فقال

لنعم اليوم يوم السبت حقا	لصيد إن أردت بلا استراء
وهي الأحد البناء حين فيه	بدا الرحمن في خلق السماء
وهي لإثنين إن سافرت فيه	تنجاً بالنجاح وبالنجاء
وإن دعت الحمامة في الثلاثاء	فذاك اليوم مهراق السماء

(١) مصدر نفسه ٣٣٠/٢.

(٢) المروسي عجائب المخلوقات ١٠٦ ط بيروت ١٩٨١.

(٣) أبو حيان البصائر ونداء ٢٢٣/٢، لقسمشدي ٣٦٦/٢.

(٤) ديوان ابن الرومي ٣٦/١ تحقيق حسين نصار ط دار الكتب.

وإن دام أمرو يوماً دواء	فنعم اليوم يوم الأربعاء
وقى يوم الخميس مساء خير	ففيه الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التعميم فيه	وتزويج الرجال مع النساء

ومن هذا القبيل ما يذكره لنا المقرئ في أثناء حديثه عن أعياد القبط في
مصر مثل خميس العدس الذي سمي بذلك لأن النصارى كانت تطبخ فيه العدس
المصفى، ويقول أهل الشام له خميس الأرز أو خميس البيض ويقول أهل الأندلس له
خميس أبريل... ويستطرد المقرئ واصفاً لما كان يحدث في القاهرة في هذا اليوم
قائلاً «وأدركنا خميس العدس هذا في القاهرة وهو من حملة المواسم العظيمة حيث
ساع في أسواق القاهرة من السمك لمصنوع عدة أنواع ما ينحور حد بكثره فيقامر
به العبد والصبية والفوغاء ويهادى النصارى بعضهم بعضاً، ويهدون المسلمين أنواع
السمك مع العدس المصفى والعدس»^(١).

٢ ٢ إن أوقات الزمان ترتبط دائماً في أذهان المجتمعات الإنسانية بأحداث
ومناسبات معينة، كما تميزت كل جماعة إنسانية بتصورات خاصة عن بعض أوقات
الرمز وترتبط هذه الأوقات بمسببات اجتماعية ودينية وسياسية، وتنقل لنا
المصادر العربية هذه الأوقات تحت عنوان «فضائل الأزمنة»^(٢) فالأشهر الماضلة هي:
رمضان، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأفضلها ذو الحجة
لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات^(٣)، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل
سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها كل أسبوع، أما في السنة بعد أيام رمضان
فيوم عرفة ويوم عاشوراء، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم^(٤)،
وأما ما يتكرر في الشهر، فأول الشهر ووسطه وآخره، ووسطه الأيام النيس، وهي

مقرر بخطط ٩٨ ط شعبي

(١) نصر غير سنبل شفا كند «كثر العدس في من الأوقات والأعمال» باب فضائل الأزمنة ١٧٦/١٤ وما
يعرف علاء الدين، التقى بين حسام الدين الهندي ط دمشق

(٢) مع أن إحياء علوم الدين ٤٣٧/٢

(٣) إحياء علوم الدين ٤٢١/٣

الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما في الأسبوع: ثلاثين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام لمصنعه فيسحب فيها لصام وكثرة بحيرات لتصاعف أحوارها ببركة هذه الأوقات^(١). أما الليالي الفاصلة فهي خمس عشرة ليلة هي السنة ست منها في شهر رمضان خمس في أوتارها العشر وليلة سبع عشرة من رمضان حيث كان وقعه بدر أما استساع لأحر فاول ليلة من الحرام وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة وليلتا العيدين^(٢).

لقد عمل الإسلام على إعطاء الزمان مزيداً من الأهمية وجعل الإنسان المسلم مسئولاً عن لزمان الذي يعيشه، فقد جاء في الحديث لا تروا قدماً عند يوم القيمة عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفاء وعن شبابه فيما أساء، وعن ماله من أين اكتسبه، وقيم أنفق، وعن علمه ماذا عمل به^(٣). وإذا كانت بعض اللغات الأوروبية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرفان عبارة قتل الوقت Kill the time، فإن اللغة العربية تعرف بفضل التصور الإسلامي عبارة إحياء الوقت، ثمر le temps فإن اللغة العربية تعرف بفضل التصور الإسلامي عبارة إحياء الوقت، جاء في الحديث: «أحيوا ما بين العشائين» أي اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر ولا تعطلوه فتحملوه كالميت بعطلته، وقيل لا تناموا فيه خوفاً من فوات صلاة العشاء لأن النوم موت واليقظة حياة وإحياء الليل بالنهار فيه بالعبادة وترك النوم^(٤). وإذا كان لفظ العمارة يرتبط بالمكان فإنه يرتبط عند فقهاء المسلمين بالزمان، فيجدهم يتحدثون عن عمارة الأوقات بما هو نافع لأن هذا هو الصادق من الزمان، في مقابل الزمان الكاذب الذي يضيع هباء، كما نراهم يقولون أيضاً: إن من علامة المقت إصاعة الوقت، وقد ترجم هذا التصور الشاعر المسلم بقوله:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

(١) المصدر نفسه ٤٣٢/٣

(٢) المصدر نفسه ٤٤٦/٤

(٣) الترمذي، ٦١٢/٤، النووي ١٤٤/١ رقم الحديث ٥٣٧، الطبراني ٢١٥/٣ مع اختلاف اللفظ

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤٧١/١

٣ - ٢ وإذا كان هذا التصور الديني من الثقافة العربية الذي يرى كسب الوقت هصيلة من الفضائل، وإضاعة الوقت رذيلة من الرذائل، فإننا نحدد يأخذ تصورا اقتصاديا من الثقافة العربية^(١). وثوقت مرادف للمادة بل مرادف للثروة، ولا غرابة أن نقرأ هذا التعبير في الإنجليزية «الوقت من ذهب Tim is gold والذهب كما هو معروف أثمن المعادن التي يعرفها الإنسان لهذا جعلها غطاء للنظام النقدي، ونحدد بعض النعات الأوربية مثل الإنجليزية تعبر عن التصرف في الوقت والثروة بفعل واحد هو To spend : فتقول : To spend time, To spend money

وتقول : To save time, To save money, To waste money, To waste time,

كما تقول أيضاً : To pay a visite, To pay money

إن هذا التصور يعكس مدى القيمة الاقتصادية للوقت أو ما يمكن أن نسميه يشراء أو بيع الزمان، ألم يشتر شعيب من موسى عليهما السلام ذات يوم زماً يصدر ثمانية أعوم مهراً لابنته؟ انظر إلى قوله تعالى ﴿ قَدْ بَيَّأَ بِيْ رَيْدًا أَنْ يَكْحَثَ حَدَى بِيْ هَاتِيْ عَلَى أَنْ تَأْخُزَنِيْ ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ (القصاص ٢٧) إن كلا ما يبيع زماناً لمن يدفع له قيمة هذا الزمان الذي يتمثل في إنجاز عمل وإنتاج سلعة، وهكذا يتحول الزمان إلى طاقة تتحول بدورها إلى ثروة، ولهذا نجد القرويني يقول عند مئاة السنين «الزمان أبيض رأس مال للإنسان، وبه يكتسب كل سعادة»^(٢) إننا إذا

(١) انظر على سبيل المثال

Ferner, Jack

successful time management, John Wiley & Sons, N Y, 1980.

بين فرير في دراسته هذه كيف يشغل المرء في أمريكا أوقاته، ويشمل ذلك أوقات العمل والنوم والأكل والترفيه وغير ذلك، والعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تؤثر في توزيع الوقت. قارن ذلك بكيفية استغلال المرء لوقته في الثقافة العربية، انظر إدارة الوقت: قيم تسجيلي علمي

المنظمة العربية للعلوم الإدارية إعداد د. لوى القاضي د. مبر صوالحه

(٢) انظر عجائب المخلوقات ص ١٠٥ ط بيروت ١٩٨١

كما نحب بالآلة التي لها قدرة إنتاجية ضخمة فإننا نعجب كذلك بالشخص لدى يمتلك قدرة إنتاجية كبيرة. ومن هنا تتحدد القيمة الحقيقية للإنسان بما يصنعه.

١ : تخبرنا كتب اللغة والأمثال بأن الجماعة العربية الأولى قد تصدعت مع الرمان حتى أصبح من المصادر الرئيسية لتجاربها التي ساهمت بشكل فعال في تشكيل تصوراتها ومعتقداتها، وظهر ذلك واضحاً في أمثالها وأقوالها المأثورة.

لقد عاشت الجماعة العربية كغيرها الرمان بأبعاده الثلاثة الماضى المنصرم فقالت: ذهب أمس بما فيه^(١)، والمستقبل المنتظر فقالت: يأتيك كل غد بما فيه^(٢)، والحاضر الذي يستشرف المستقبل فقالت: وإن مع اليوم غداً^(٣)، ولعل هذا القول جعل النحاة يعرفون الفعل المضارع بأنه ما دل على الحال والاستقبال، وقد عبر حاتم الطائي عن ثلاثية الزمان قائلاً^(٤):

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد
كذلك الزمان بيناً يتردد

كما تخبرنا مصادر اللغة والأدب أن الجماعة العربية كانت ترى فيما يحدث في الحاضر تكراراً لما حدث في الماضي، فقالت: ما أشبه الليلة بالبارحة^(٥)، أي ما أشبه ما يحدث اليوم بالأمس، كما رأت في الماضي أيضاً رمزاً للصياح والتأسي على ما فات، ولهذا نجد الحديث عنه يتحول لدى الشعراء إلى تقليد شعري يتمثل في الوقوف على الأطلال وبكاء الرمان الغابر.

وإذا كانت الجماعة العربية رأت في الماضى مصدراً لليأس على ما فات فإنها رأت في المستقبل رمزاً للغموض والمحول يقول زهير^(٦):

وأعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

ونجد من يشبه الغد بالحبلى لأن أمر ما هي يطمحها منهم لا ندرية^(٧)، فيقول

ترجو هذا وغد كحاملة
في الحى لا يدرون مــــا نلد

كما أن هذا الغد المبهم دائماً يأتي سريعاً لمن ينتظره، فقالت ابن عبد سطره لقريبه، ولكن الجماعة العربية لا ترحب به لأنه قد يمرق شمل الأحبة كما يقول

لا مرحباً بغد ولا أهلاً به
إن كان تفريق الأحبة في غد

بل نجدها تخاف الغد والحديث عنه أحياناً كما يقول أبو نواس^(٨):

حمت مأثور الحديث غداً
وغدا أدنى لمستظره

والى جانب هذا التصور لشأنية الماضى والمستقبل نجد تصوراً آخر لشأنية الليل والنهار، فالليل يرتبط بالغموض والخوف والخطر، أما النهار فيرتبط بالصباح والاطمئنان والأمان، وقد ترجمت الجماعة العربية هذا التصور في أمثالها وأقوالها لمأثورة فقالت: الليل أعور لأنه لا يبصر فيه^(٩)، والمكثار كحاطب ليل، لأنه يخطئ في كلامه أو عمله مثل الذي يخرج للاحتطاب ليلاً فلا يتبين ما يفعل^(١٠)، والليل أخفى للويل أي اضع ما تريد ليلاً فإنه أستر لسرك^(١١)، كما قالت أيضاً: «أمر نهار قضى بليل، لكل أمر دبر في الخفاء، وحذرت من الليل وظلمته هفتت «أهلك» والليل، وقالت كذلك، «الليل وأهضام الوادي»^(١٢) أي احذر الليل ومخاطر الطريق.

وإذا كان هذا هو أمر الليل مع الجماعة العربية فأمر النهار أو الصباح يختلف، فسيهما تتضح الأشياء فقالت: «وهل يخفى عن الناس النهار»^(١٣)، وأشهر من خلق الصباح^(١٤)، ويؤمن الصبح لذى عينين^(١٥) أي إذا جاء الصبح تبينت الأشياء لكل ذي بصر، كما قالت أيضاً: «إنما هو الفجر أو البحر»^(١٦) أي انتظر حتى يصير لك

- | | |
|--------------------------|-------------------------|
| (١) الديوان ٩٠. | (٢) الديوان ٢٤٦. |
| (٣) الميادى ٩٧/٣. | (٤) الميادى ٢١٧/٣. |
| (٥) الميادى ١١٥/١. | (٦) الميادى ٨٦/١، ١٧/٣. |
| (٧) أبو عبيد الأمثال ٩٣. | (٨) الميادى ١٩٨/٢. |
| (٩) رهر الأكم ٧١١/١. | (١٠) الميادى ١٧٧/١. |

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| (١) الميادى ٢٣/٢. | (٢) رهر الأكم ٢٦/١. |
| (٣) رهر الأكم ١٣٤/١. | (٤) الديوان ٣٦٢ تحقيق د. عادل سليمان. |
| (٥) الميادى ٣٦٢/٢. | (٦) الديوان ٤٩. |
| (٧) ابن أبي عمير التشبيهات ٣٨٢. | |

الفجر الطريق، فتبصر قصيرك وألا أخطأت لطريق، وشبه الشيء الحمير يوم ساعة الفجر، فقالت ألد من إغفاءة المجر، ومن ذلك قول المجنون^(١).

ولو كنت لهو كنت تلعن ساعة ولو كنت يوم كنت إغفاءة المجر وصرت مثل لك م يسر به الإنسان بهلال شوال، واختارت هلال شوال لأنه يأتي بالعيد^(٢)، وضربت المثل أيضاً لمن يطيب شيئاً ثم يصيبه على نفسه، أو من يطيب شيئاً في غير وقته فقالت الصبب صعب الين واحترت لصيب لأن الأسال تكثر فيه^(٣).

٤ - ٢ ولا تزال الجماعة العربية تتفاعل مع الزمان الذي ارتبط في أدها أفردها لحكايت ومأثورات حقيقية أو خيالية جعلتها لنا تعابير اصطلاحية مثل قول أحدهم كان ذلك «رمس المطحل» بكسر لماء وفتح طاء، أي كان في ردم رمس، بقول لميد بن قالو هذا رمس لم يحق فيه الدس وقال الحرسي سألت ابن عبيدة عنه فقال، الأعراب تقول ذلك زمن كنت الحجارة فيه رطبة، وقيل من القطح من يوح عليه سلام، ومن ذلك قول رؤبه لمن سألته عن سبه^(٤).

تسألين عن السنين كم لي فقت لو عمرت عمر الحسن أو عمر يوح زمن المطحس والصحر مثل كطس لوجر

وقالوا أيضاً «زمن السلام» بكسر السين وهي الحجارة، قال أبو عمرو: تقول إذا قنم عهدك بالرجل ثم رأيت: متى عهدك بأسفل فيك له أي متى أثقلت، فيقول المحب «زمن السلام رطاب» وربما قل «زمن المطحل» يريدون به قدم العهد.

ومن هذه لتعابير الاصطلاحية قولهم جاء أو لقيه «صكة عمي» بضم عين وفتح الميم وشدة د لياء دلالة وقت لظهيره وهو أشد أوقات النهار حرًا، جاء في

(٢) ثمار القلوب ٦٤٨

(١) رهر الأكم ٢٨٤/١

(٢) كينداسي ٤٣٤/٢

(٤) البصر نعمة ٩/٢ اللسان حصل أيضاً.

انظر لتويد من التعابير الاصطلاحية المرتبطة بالزمان من (١٧٩) من الدراسة وما بعدها

لحديث «أنه ﷺ كان يستظل بظل جففة عند الله بن جدعان صكة عمي» أي في الهاجرة، يقول عن الأثر «قيل أن عمدا اسم رجل من عدوان كان يفيض بالحاح عند الهاجرة وشدة الحر» وقيل أنه أعار على قومه في حر الظهيرة فصرّب به المثل فيمن حرج في شدة الحر، وقيل إن «عمي» تصغير أعمى، ويكون التعبير على ذلك عندما تُعَمَى شدة الحر من يخرج أو يأتي في ذلك الوقت، وقيل إن «عمي» الحر بعينه^(١).

ومن هذه التعابير الاصطلاحية الزمانية «أيام العجوز» وهي خمسة أو سبعة أيام شديدة البرودة ينقل لنا المرزوقي تفسيراً لهذا التعبير قائلاً: «إن قوماً قد جزوا ذات يوم الأصواف والأوبار مؤذنين بالصيف وقالت عجوز منهم: لا أجز حتى تنقصى هذه الأيام فإنني لا آمنها، فاشتد البرد وأضر بمن قد جز وسلمت العجوز بقسمها، وقيل إن لعجوز هي التي عجلت بحر أصوفها لحاحها إليه وثقتها بالحر فحاء ببرد وبدأ الموت يدب في الفم فكانت تموت واحدة كل يوم حتى بلغت سبعة أو خمسة، ولهذا سميت أيام العجوز وهي أيام شديدة البرودة^(٢)»^(٣). وقد استعمل بعض لشعراء هذا التعبير، ومن هؤلاء ابن الرومي الذي يهجو مغنية قائلاً^(٤):

كنت عبد الأمير عيسى بن ها رون وهـهم ودك في تموز
عنفت فهرى القر حتى خدت أنى هي وسط برد العجوز

٤ - ٢ نجد إلى جانب الأمثال والتعابير الاصطلاحية التي تصور بفاع الجماعة العربية مع الزمان، مظهراً آخر من مظاهر هذا التفاعل لدى الجماعات

١ - عابدة في غريب الحديث ٤٢/٢ انظر التعبير أيضاً المخصص ٥١/٩ واللسان منكك.

٢ - لارمه ولامكة ٩٧٤/١ انظر اللسان عجر.

٣ - يذكر مرزوقي رواية أخرى عن الكماني في تفسير سبيير بأمرأة عجوز كان يهد مبيعة أولاد وطلب

منهم أن يروحوا، وأرادوا ينقص منها فقالوا بها يبيس يد سبع نبال عن ثنية هذا الحين وكل واحد منهم

بيس من جند ثم ذهبوا إليها بعد الليلة السابعة وقد ماتت ٩٧٣ يذكر كراي سمل ٥ هذه الأيام سبعة تكون

في دير بسند لأربعة أيام يعني من شمس وثلاثة دجوى من ٢٠ و ٢١ شهر بجم كما يذكر اسماءه انظر

شعرا ٢٧٥٠ تحقيق محمد نعيم ط جامعة القروى

٤ - نديون ١١٥٤/٣ تحقيق حسين بشار ط دار الكتب

الإنسانية ويتمثل ذلك في تسمية أفرادها بألقاب الرمان ووضعهم بها، ومن هذا القبيل ما نجده لدى بعض المجتمعات الأفريقية التي تتحدث لغة الهوسا وتسمى ألسانها الفصول والمناسبات والأيام، فالذي يولد في فصل الربيع وهو فصل سقوط الأمطار يسمى Damina والذي يولد في فصل الصيف وهو فصل الحصاد يسمى Kaka ومن يولد في رمضان يسمى Danzumi، ومن يولد يوم العيد يسمى Bisalla ومن يولد يوم عرصات يسمى Al Haru، والذي يولد يوم السبت يسمى Dan Asabe، والذي يولد يوم الأحد يسمى Dan Ladi^(١).

لقد عرفت الجماعة العربية أيضا ظاهرة التسمية بأسماء الزمان^(٢) مثل الصيف ومن هؤلاء الذين سموا بهذا الاسم صيمي بن أكثم، وصيمي بن أسود وصيمي بن أمية، والربيع وقد سميت العرب أبناءها بهذا الاسم كثيرا، من هؤلاء الربيع بن أنس، الربيع بن إياس، الربيع بن طمیل^(٣)، وسميت الجماعة العربية أبناءها شهرا أو شهيرا ومشهورا واستعملت المثنى منه فقالوا: شهران وهو أبو قبيلة من حثعم^(٤).

كما قسمت العرب بأسماء أخرى تتصل بالرمان مثل الهلال، ومن هؤلاء: هلال ابن أمية، هلال بن الحارث، هلال بن عامر، هلال بن يزيد^(٥) وتسمت بالقمر، ومن هؤلاء: قمر بن علقمة، وبو قمر بطن من مهرة بن حيدان، وتسمت بالزبرقان وهو اسم من أسماء القمر، ومن هؤلاء الزبرقان بن بدر^(٦)، كما سميت العرب أبناءها بالدراء وهي أول ثيبة من الشهر القمري سميت بذلك لتشرق القمر فيها من الشمس

(١) حدثني بذلك بعض الطلاب الليجيريين بمعهد اللغة العربية لغير المتخصصين بها بجامعة أم القرى لاحظوا أيضا هذه الأسماء في المجتمع المصري عيد وعرفة ورمضان وشعبان ورجب ومهرم وربيع، وجمعة وحميمس

شمس قمر نجم وأسماء نباتات شفاء بصيمي

(٢) رجع هارمن أسماء الأعلام في كتب اللغة والأدب والتاريخ المرونة

(٣) طبقات ابن سعد ٨/٣٩٠، ٣٨٠، ٥٥٢، ٩٢٧، ١٠٥، ٢٨٩، ٢٦٢.

(٤) نلسان شهر

(٥) طبقات ابن سعد ٨/٢٨٠، ٣٣، ٤٧/٢١٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/٧٩، ٤٤/٧، ٢٩٤/١.

ومن هؤلاء: البراء بن أوس، البراء بن بوهل، البراء بن مالك^(١)، وسمى بعضهم بالشمس وما اشتق منها مثل أبو عبد شمس من تميم، وشماس بن عثمان، شمس بن حو، وشموس بن عامر وشمسة بن من^(٢).

وكما سميت الجماعة العربية الرجل عمرا تفاؤلا بطول العمر سميت المرأة أيضا هيدة تفاؤلا أيضا بطول العمر ويعني العطء مائة سنة، ومن هؤلاء هيدة بن حباب، وتسمى بعضهم بالدهر ومن هؤلاء دهر بن الأحرم^(٣) وسميت المرأة بعائشة تفاؤلا بطول عيشها.

سميت الجماعة العربية ألسانها أيضا بأوقات اليوم مثل النهار، ومن هؤلاء نهار العبدى، وأبو نهار عقبة بن عامر^(٤)، والصبح والصبح وصبيح، ومن هؤلاء صباح بن الهذيل، وأبو الصباح موسى بن كثير، وبو صبح بطن من سلمة وبنو صبيح فطر بن قرارة^(٥)، والليل اسم لكل ليلة، وقد قالوا ليلة ليلاء وليلى أى طويلة، وبه سميت المرأة وهو أكثر مما نعتل له، وسيرة بدلالة العدة النادرة أو الوقت ما من السحر إلى الصباح، ومن هؤلاء سيرة بن ريد، أو سيرة يزيد بن مالك، أبو سيره الهذلي^(٦).

٤ - ٤ وكما استعملت الجماعة العربية ألقاب الزمان لأبنائها واستعملتها أسماء للأعلام استعارتها أيضا لنصف بها الإنسان فقالت: أصاف الرجل أى ترك النساء شايأ ثم تزوج كبيراً وهو وصيف وولده صيمي والجمع صيميون^(٧)، وقالت أربع الرجل فهو مربع ولد له فى شبابه وولده ربعي والجمع ربعيون وهم الذين ولدوا وأناؤهم شباب، ومن ذلك قول الشاعر^(٨)

(١) طبقات ابن سعد ٨/٤٣٦، ٢٢٦، ١٧/٢٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٥٦٧، ٤٦٢، ٢/٤٢، ٥/٢٨٤.

(٣) لإصابة ١/٤٧٦ انظر ص (١٢٩) من الدراسة

(٤) طبقات ابن سعد ١/٢٢٥ وإصابة ٢/٥٧٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/٢٨٨ واللسان صبيح

(٦) طبقات ابن سعد ١/٢٢٥، ١/٤١٦.

(٧) اللسان صبيح

(٨) اللسان ربع

إن بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربيعون

ومن الصباح وصفت الجماعة العربية الإنسان بأنه صبيح وصباح بصم الصد
لثانية. أى أنه جميل وضوء الوجه^(١) وعكس ذلك مظلم الوجه، ومن العمر قالت
أقمر وقمرء والقمرة البياض ومن ذلك رجل أقمر الوجه، وامرأة قمرء الوجه^(٢).
ومن شروق الشمس قالوا - وجه مشرق والتشريق الجمال وإشراق الوجه،
قال الشاعر^(٣).

يزيبن مع الجمال ملاحه والدل والتشريق والمحر
ومن الشمس قالت الجماعة العربية - امرأة شمس أى عقيمة لا تطلع فيها،
ورجل شمس أى عسير الخلق، والشمس من الدواب النجاس والناقر منها^(٤). ومن
الصبحى قالت. حسان أضحي والأنثى ضحياء إذا كان أبيض اللون^(٥)

★ ★ ★

الباب الثانى الزَّمان واللغة

(١) اللسان صبيح

(٢) ديمان قمرء

(٣) اللسان شرقى

(٤) اللسان شععى

(٥) اللسان محدو

الفصل الأول

انقضاء الزمان المبهم

// يرتبط اكتساب المرء للغة الأم منذ طفولته بإدراك العالم حوله من خلالها، ومهما كان العالم حوله عينا فهو لن يدرك إلا الطواهر التي لها مسميات هي هذه اللغة التي تصف له ما يبصره ويسمعه وفقا لطريقتها الخاصة، وتفرض عليه تصورات معينة لما حوله من أنواع النباتات والحيوانات والظواهر الطبيعية مثل شروق وغروب الشمس، وسقوط الأمطار والثلوج، وتصنيف ألوان الطيف وتقسيم أوقات الزمن. //

، إن دور اللغة لا يقتصر فقط على احتزال وتصنيف ما نبصره أو نسمعه ووصف تجاربنا وحرارتنا المادية والمعنوية، بل إنها تقوم بتشكيل تمكينا أو الطريقة التي ننظر بها إلى ما حولنا، إننا حين نكتسب اللغة الأم نكتسب معها وبطريقة لا شعورية أسلوبا متميزا في التفكير والسلوك، فاللغة الإنجليزية تستعمل الأفعال To pay , To save To spend في سياقات تتصل بقضاء الوقت و، بماق النقود مثل To save money, To save tm To spend money, To spend time, To pay money, To pay a visite كما نجد متكلم الإنجليزية يقيس الوقت بمقياس اقتصادي فبدلا من أن يقول ساعتى تقدم أو تؤخر يقول : my watch gains or loses أى تريح أو تحسر .

فالوقت لدى الجماعة الإنجليزية يتخذ مهبوما اقتصاديا هلا فرق بين التصرف في الوقت والنقود فكلاهما له نفس القيمة، ومن هذا القبيل ما سبق أن أشرنا إليه من ارتباط انقضاء الزمان العربية مثل السنة واليوم والأجل بدلالات

الجذب والشدة والموت^(١)، وارتباط لفظ Le temps في الفرنسية بدلالة الزمان والطقس أيضا

إن عين الإنسان تبصر نفس الألوان، بيد أن اللغات تلعب دوراً هاماً في تحديد هذه الرؤية ومفهومها، فإذا كانت اللغة الروسية على سبيل المثال تميز بين درجتين من اللون الأزرق وتستعمل لكل منهما لفظاً مستقلاً فإن الإنجليزية والألمانية تعبر عن هذين اللونين بكلمات مركبة هكذا: أزرق غامق^(٢) وأزرق فاتح. ومن هذا القبيل تميز اللغة العربية والفرنسية بين اليوم jour عا و ليلهار Le journee بينما لا تميز لغات أخرى بينهما بلعظمين مستقيمين، مثل الإنجليزية التي تستعمل لفظ Day لليوم وتعبيراً مركباً هو Day night ليلهار.

إن اللغات كما تتباين وتختلف في أصواتها وتراكيبها تختلف أيضا في مفرداتها ومعانيها التي تتطابق مع ثقافة الجماعة اللغوية، فتضافه أبناء الصحراء تعرف مصردات كثيرة لسحيل والإبل ولكنها لا تعرف إلا مفردات قليلة للإشارة إلى الثلج الذي تعرف له لغة الإسكيمو عشرات الأسماء، كما أن حيرة الجماعة اللغوية بما حولها تقودها نحو المرید من الدقة والتميز في إطلاق المسميات طبقا لخبراتها التي تتروك على مر الأحيال، فالظاهرة الواحدة من الظواهر التي نجدها هي ثقافة ما قد تتحد مسميات قليلة محدودة في لغة وتحد تسميات كثيرة ومتنوعة في لغة أخرى

إننا إذا تتبعنا ظاهرة الزمان في العربية وكيف اصططلحت الجماعة العربية على تقسيم أوقاته فإننا نجد المعجم العربي زاخراً بعشرات الألفاظ التي تدل على أنها قد أحست بالزمان إحساساً دقيقاً لأنه كان منظماً لحركتها في الصحراء الواسعة في سفر والإقامة، و لحل والترحال، وتنبع أوقات اليوم والشهر والسنة لارتباطها بالحر والبرد وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وتبدل مواسم الخصب والجذب.

(١) انظر من (٩٤) من دراسة وما يسمى

(٢) كندرتوب الأصوات والإب ت ص ٢٢

سبحاول في هذا الجزء الثاني من الدراسة استعراض هذه الألفاظ التي عرفت الجماعة العربية الأولى وسجلها لنا المعجم، وسنلاحظ أن بعضها يشير إلى اليهم من الزمان، وبعضها الآخر يشير إلى المحدد منه، كما سنلاحظ أيضا أن هذه الألفاظ تتسع وتضيق دلالتها على أوقات الزمان المخلطة القصيرة والطويلة ونلاحظ كذلك أن بعض الألفاظ يشتجر بعفاهيم متبينة في أذهان الجماعة العربية من ناحية، كما يتداخل بعضها في علاقات الترادف من ناحية أخرى.

نستعرض في هذا الفصل ألفاظ الزمان يليهم في أربع مجموعات دلالية كما يلي المجموعة الأولى: الزمان، الدهر، الأبد، الأزل، السرمد، المستند. المجموعة الثانية: الوقت، الحين، الأوان، العهد، الحقبة، العصر. المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، البرهة، الفترة، الطور، التارة. المجموعة الرابعة: العمر، الأمد، الأجل، القرن، الأمة، الطنفة.

١ ١ الزمان : ينص المعجم على أن الزمان والزمن اسم للقبيل من الوقت وكثيره، والجمع أرمن وأزمة وأزمان، ومن قولهم أرمن الشيء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زماناً، وقولهم أيضا : لقيته ذات الزمن يضم، الرأى أى هي ساعة لها أعداد، يريدون بذلك تراحى الوقت كقولهم: لقيته ذات القويم أى من الأعوام^(١).

كما ينص المعجم أيضا على أن الزمان يقع على الفصل من فصول السنة ومن ذلك قولهم زمان الرطب والماكة وزمان الحر والبرد، كما يقع لفظ الزمان على المدة وولاية الرحل وما أشبه، يقولون زمان أبى بكر أو زمان عمر، جاء في الحديث أنه ﷺ قال لعنوز تحفى بها في السؤال : كانت تأتينا أرمان حديجة « أى مدة حياتها »^(٢) وفي حديث آخر « إذا تقارب الزمان لم تك رؤيا المؤمن تكذب »^(٣) أراد ﷺ قرب انتهاء أمد الدنيا

(١) الزمان زمن انظر من (٩٠) من الدراسة

(٢) (٢) نهاية ٢١٤/٢

الحديث والشدة والموت^(١)، وارتباط لفظ Le temps في الفرنسية بدلالة الرمان و، لطقس أيضا.

إن عين الإنسان تنصرف نفس الألوان، بيد أن اللغات تلعب دورًا هامًا في تحديد هذه الرؤية ومفهومها، فإذا كانت اللغة الروسية على سبيل المثال تفرق بين درجتين من اللون الأزرق وتستعمل لكل منهما لفظًا مستقلًا فإن الإنجليزية والألمانية تعبر عن هذين اللونين بكلمات مركبة هكذا: أزرق غامق^(٢) وأزرق فاتح. ومن هذا القبيل تمييز اللغة العربية وفرنسية بين اليوم Le jour والنهار Le journee بينما لا تميز لغات أخرى بينهما بل مطلقين مستقلين، مثل الإنجليزية التي تستعمل لفظ Day لليوم وتعتبر مركبًا هو Day light للنهار.

إن اللغات كما تتباين وتختلف في أصواتها وتراكيبها تختلف أيضا في معنيتها ومعانيها التي تنطبق مع ثقافة الجماعة اللغوية، فثقافة أبناء الصحراء تعرف مفردات كثيرة للنخيل والإبل ولكنها لا تعرف إلا مفردات قليلة للإشارة إلى الثلج الذي تعرف له لغة الإسكيمو عشرات الأسماء، كما أن حبرة الجماعة اللغوية بما حولها تقومها نحو المزيد من الدقة والتمييز في إطلاق التسميات طبقا لحبرتها التي تتراكم على مر الأجيال، فالظاهرة الواحدة من الظواهر التي نجدتها في ثقافة ما قد تتخذ تسميات قليلة محدودة في لغة وتتخذ تسميات كثيرة ومتنوعة في لغة أخرى.

إننا إذا تتبعنا ظاهرة الزمان في العربية وكيف اصططلعت الجماعة العربية على تقسيم أوقاته فربنا سنجد المعجم العربي زاخرًا بعشرات الألفاظ التي تدل على أنها قد أحست بالزمان إحساساً دقيقاً لأنه كان منظماً لحركتها في الصحراء الواسعة في السفر والإقامة، والحل والترحال، وتنبع أوقات اليوم والشهر والسنة لارتباطها بالحر والبرد وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وتبدل مواسم الحبوب والحبوب.

سنحاول في هذا الجزء الثاني من الدراسة استعراض هذه الألفاظ التي عرستها الجماعة العربية الأولى وسجلها لنا المعجم، وسنلاحظ أن بعضها يشير إلى منهم من الزمان، وبعضها الآخر يشير إلى المحدد منه، كما سنلاحظ أيضا أن هذه الألفاظ تتسع وتضيق دلالتها على أوقات الرمان المختلفة القصيرة والطويلة ونلاحظ كذلك أن بعض الألفاظ يشتجر بمناهيم متباينة في أدهان الجماعة العربية من ناحية، كما يتداخل بعضها في علاقات الترادف من ناحية أخرى.

سنعرض في هذا الفصل ألفاظ الرمان منهم في أربع مجموعات دلالية كما يلي:

المجموعة الأولى: الزمان، النهار، الليل، الليل، السرمد، المسد.

المجموعة الثانية: الوقت، الحين، الأوان، العهد، الحقبة، العصر.

المجموعة الثالثة: المدة، الملاوة، البرهة، المتره، الطور، التارة.

المجموعة الرابعة: العمر، الأمد، الأجل، القرن، الأمة، الطبقة.

١١ الزمان: ينص المعجم على أن الرمان والرمز اسم للقبيل من الوقت وكثيره، والجمع أزمن وأرمنة وأرمان، ومن قولهم: «أزمن الشيء» طال عليه الرمان، وأرمن بالمكان أقام به زمانا، وقولهم أيضا: «لقيته ذات الزمان بضم الراء» أي في ساعه لها أعداد، يريدون بذلك تراخي الوقت كقولهم «لقيته ذات العويم» أي من الأعوام^(١).

كما ينص المعجم أيضا على أن الزمان يقع على الفصل من فصول السنة ومن ذلك قولهم زمان الرطب والمأكهة وزمان الحر والبرد، كما يقع لفظ الرمان على المدة وولاية الرجل وما أشبه، يقولون زمان أبي بكر أو زمان عمر، جاء في الحديث أنه ﷺ «فل نعوذ تحفى بها» في السؤال: «كانت قاتينا أرمان خديجة» أي مدة حياتها^(٢) وفي حديث آخر: «إذا تقارب الرمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب»^(٣) أراد ﷺ قرب انتهاء أمد الدنيا.

(١) اللسان زمن انظر ص (٩٠) من الدراسة

(٢) (٣) لنهاية ٢١٤/٢

(١) انظر ص (٩٤) من الدراسة وما بعده

(٢) كثر توف: الأصوات والإشارات ص ٦٢

وقد صرحت الجماعة العربية المثل لكل شيء قديم طال عليه العهد فقالت : «طال الأبد على نبيد»^(١)، واستعملت العرب لفظ أبداً ظاهراً للزمان لاستغراق النص أو الإثبات في المستقبل واستمراره، تقول : لا أكلمه أبداً أي من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَبْذُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ (ثاود/٢٤)، وقوله تعالى ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَبَدًا نَبِيْدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٣٥).

١ - ٤ الأزل : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان غير المحدد في الماضي في مقابل الأبد^(٢) فالأزل هو ما لا بداية له في أوله كالتقدم، والأبد ما لا نهاية له في آخره كالبقاء// والأزلى أعم من القديم.

١ - ٥ السَّرمَد : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الزمان المتعاقب أو دوام الزمان من ليل أو نهار، واللفظ مشتق من السرد بمعنى التوالى والمتابعة والاطراد، وزادوا الميم للمبالغة، ومن ذلك قولهم : ليل سمرمد ونهار سمرمد أي متوال^(٣) أو : ثم ومن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِن يَوْمَ يُعْرَبُ بَيْنَ يَدَيْكُمُ بَصِيَاءٌ فَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سمصم ٧١ وقوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِن يَوْمَ يُعْرَبُ بَيْنَ يَدَيْكُمُ بَصِيَاءٌ فَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سمصم ٧٢

١ - ٦ المُسند : استعملت الجماعة العرسة اللفظ بدلالة الدهر، فقالت لا آتية يد الدهر ويد المسند أي لا آتية أبداً^(٤).

١ - ٧ الحرس : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الدهر، فقالت أحرس بالمكان أي أقام به حرساً يسكون لراء، والمحروس من أتى عليه الحرس أي الدهر والجمع أحرس^(٥)، ومن ذلك قول امرئ القيس

لن طلسل دائر آية تقادم في سالف الأحوس
وفي حانب هذه الألفاظ التي تشير إلى الزمان المنهم أو الدهر نجد تعبيرات اصطلاحية تشير إلى هذه الدلالة ومن ذلك «الأزلم، الجدع»^(١) في قولهم، لا آتية الأزلم الحذع أي لا آتية أبداً، وقولهم أودى به الأزلم الحذع أي أهلكه، وقد قالوا أن تعبير الأزلم الحذع يعنى الصغير من العول والظياء لأنه لا يسقط لها سن فهي حذعان أبداً، وقد سموا به الدهر لأنه باق على حالة واحدة لا يتغير على طول آناه فهو حذع لا يسن، قال الأخطل :

يا بشر لو لم أك منكم بمرله القى على يديه الأزلم الجذع
ومن هذه التعبيرات «سحيس عجيس»^(٢) في قولهم لا آتية سحيس عجيس أي لا آتية أبداً، والسحيس الماء الراكد لأنه آخر ما يبقى، وعجيس مأخوذ من قولهم : محس شديد الجيم أي أبطأ ومن ذلك المعحوس بمعنى النافه بطيئة المشى وقد قالوا ذلك لأن الدهر يتعجس أي يبطئ ولا ينهد أبداً ومن ذلك قول الشاعر :
فأقسمت لا آتى ابن ضمرة طائعا سحيس عجيس ما أبان لساني
كما قالوا أيضا : «سحيس الأوجس» والوجس الفرع الذي يقع في القلب.

٢ - ١ الوقت : مقدار من الزمان محدد في ذاته والجمع أوقات، والتوقيت تحديد الأوقات، تقول وقت الشيء يوقته جعل له زمنا يقع فيه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ لَصَلَاةٍ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ نساء: ٢ ، أي مبروصاب في أوقات محددة، وكل ما قدرت له غاية فهو موقوف، تقول وقته ليوم كذا مثل أجلته^(٣)، ومنه قوله تعالى ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي يوم تروى المعلوم ﴿سحر ٢٧ والوقت المعلوم هنا يوم البعث، وقد ذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبا: ١٧).

(١) اللسان جذع - زلم - انظر ص (٨٢، ٩٢، ٩٥) من لسان.

(٢) لسان سحيس، عجيس، وحيس، الأمثال لأبي عبيد ٢٨٢، المحمص ٦٥/٩

انظر أيضا المروقي الأرميه والأمكنة ص ٢٨٨/١ الدهر ٢٨٨/١

(٣) اللسان وقت، المروقي ١٣٩/١

(١) لسان ٢٨ / ٢

(٢) لسان ٢٨ / ٢

(٣) لسان سمرمد

(٤) لسان سمرمد

(٥) لسان حرس لمصم ٦٤/٩

يقول أبو هلال العسكري في تحديد دلالة اللفظ: «الوقت يدل على نقط معينة أو موضع ثابتة في خط الزمان الممتد، تقول: وقت انصراف الليل، أو وقت انصراف النهار، فالوقت وحد، وهو المقدر بالحرركة الواحدة من حركات الملك، وهو يجرى من الزمان مجرى الجرى من الجسم، فالزمان يساوي أوقانا متوالية مختلفة وغير محتلفة لهذا، يوصف الزمان بالقصر والطول ولا يوصف الوقت بذلك، فتبين من ذلك أن الوقت أو الأوقات هي علم الفلك عبارة عن نقط معينة من الزمان»^(١)

ونبذت بمعنى الوقت كالميعاد بمعنى النوبة، قال بعضهم إن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء والجمع مواقيت، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَجَمْعٌ لَسَخَرَةٍ يَوْمَ يُعْلَمُونَ سِرَّهُمْ ۖ وَوَعْدُ مُوسَى لَنَائِلٍ لَيْلَةٍ وَأَنَّمَا هِيَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الاعراف ١٤٢)

وقد استعمل اللفظ أيضا بدلالة المكان، فالميقات الموضع الذي يحرم منه المسلمون للحج والعمرة، ومن ذلك قولهم رابع ميقات أهل مصر وذو الحليفة ميقات أهل المدينة^(٢).

٢ - ٢ الحين : يعنى قدرا من الزمان طوله وقصيره، تقول احين بالمكان أقام به حيناً، وحين الشيء حمل له حيناً، وجاء في حديث الأذان «كانوا يتحينون وقت الصلاة» أى يطلبون حينها^(٣)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَرَوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (الصافات ١٧٤)، أى حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها، الجمع أحبان وأحايين يقول الأزهري الحين اسم كالوقت يصله لجميع الأزمان لقوله تعالى: ﴿تَوْتِي أَكْثَرًا كُلُّ حِينٍ﴾ (إبراهيم ٢٥)، أى ينتفع بها في كل وقت ولا يقطع نفعها ألبتة، ويقول المرء الحين حيناً: حين لا يوقف على حده وهو الأكثر، وحين محدود^(٤)، ويمصل لنا أبو

حيان التوحيدى قول المرء قائلاً: «الوقت قدر من الزمان مفروض مميز من حمته مشار إليه بمينه، وكذلك الحين هو مدة أطول من الوقت وأوسع وأبعد، وإنما تقترب أبدا هاتان اللفظان بما يميزهما وبمصلهما من حملة الزمان الذى هو كل لهما، فيقال: وقت كذا أو حين كذا، فينسب إلى حال أو شخص أو ما أشبه ذلك، فإذا أريد بهما الإيهام لا الإيهام قيل: كان كذا أو يكون كذا فى حين أو وقت، فيعلم السامع أن المتكلم لم يؤثر تعيين الوقت والحين وهما لا محالة معنيان محصلان»^(٥)

وينقل لنا أبو حيان الأندلسى في تفسير قوله تعالى: ﴿تَوْتِي أَكْثَرًا كُلُّ حِينٍ﴾ (إبراهيم ٢٥)، بعض الأقوال التى تحدد الحين بقدر معين من الزمان فيقول: «الحين فى اللغة قطعة من الزمان، والمعنى تعطى جناها كل وقت وقته الله، قال ابن عباس: كل سنة، وقال جماعة من الفقهاء: من حلف أن لا يفعل شيئاً حيناً فإنه لا يفعله سنة، واستشهدوا بهذه الآية، وقيل سنة أشهر وهى مدة بقاء الثمر، قل ابن السيب: شهران لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين»^(٦)، كما نحدد يقول فى تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جَنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف ٢٥) «الحين يدل على مطلق الزمان، والمعنى إلى زمان، ومن عيّن له منا زماناً مقداره سبع سنين فإنه كان باعتبار مدة سجن يوسف وهكذا نجد أن لفظ الحين كما يقول المبروكى يدل على ما يتناول من الزمان ويتقاصر، ويكون محدوداً أو غير محدود أيضاً»^(٧).

٢ ٣ الأوان : مثل الحين والزمان والجمع أوبة مثل زمان وأرمة ومن ذلك قولهم أوان البرد أى وقته، وجاء أوان الثمر أى زمانه المختص به^(٨)، وقد قالت العرب: طلب أمراً ولات أوان، يضرب المثل لمن طلب شيئاً ثم فاتته وذهب وقته^(٩).

(١) شهر من و لشوال من ٢١ -

(٢) البحر المحيط ٤٤٢/٥

(٣) البحر المحيط ٢٠٧/٥

(٤) الأرمة والأمكنة ٢٣٥/١

(٥) اللسان أون -

(٦) الخيدى ٢٨٨/٢ -

(١) أبو هلال لمسكوى ٢٢٤ ، ٢٢٥

(٢) البحر المحيط ٥٩/٢ ، ٢٨٨/٤ ، انظر من (٤٣) من الدراسة -

(٣) اللسان حين نهاية ٤٧/١

(٤) اللسان حين

وجاء اللفظ في الحديث في قوله ﷺ « ما زالت أكلة خيبر تعاودني بهذا أو ان قطعت أبيهري » (١).

وقد قالوا أيضا : فعل كذا آوبة أى وقتا بعد وقت، أى يصعبه مرارا ويدعه مرارا، جاء في الحديث: « مر الرسول ﷺ برجل يحتلب شاة آوبة، فقال دع داعي الدين، يعنى أنه يحتلبها مرة بعد مرة، وداعى الدين ما يتركه الحالب منه فى الصرع لا يستقصيه » (٢).

٢ - ٤ العهد : يعنى اللفظ الرمان غير المحدد، وقد يتحدد بالاقتران بصيغة أو شحصر وقيل إن العهد ما ذهب من الرمان، والمعهود ما كان بالأمس، والموعود ما يكون فى النقد، ومن ذلك قولهم : طال عهده : أى طال زمانه (٣)، انظر إلى قوله تعالى ﴿ فَتَدُلُّ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَيْبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ طه ٨١.

والعهد القديم الذى أتى عليه زمن طويل، ومن أمثالهم : متى عهدك نأسمل فيك ١٩ أى متى أئعرت ؟ يقولون ذلك إذا سأل أحدهم عن أمر قديم لا عهد به، ويضرب للأمر الذى فات ولا يطمع فيه (٤) .. ومثال ذلك أيضا قولهم : عهدك بالعاليات قديم، يضرب للأمر الذى فات وتعدر إدراكه، وأصله فى الرأس ليعد عهده بالدهن والعلى (٥) (٦).

٢ - ٥ الحقة : يعنى اللفظ مدة من الرمان مبهمة والجمع أحقاب ومن ذلك قوله تعالى ﴿ لَا تَبْنِ فِيهَا أَحْقَاباً ﴾ (الباء: ٣٣) أى أزمانا، والحقب يصم الحاء والقاف وضم الحاء وسكون القاف الدهر والأحقاب الدهور (٧).

وقيل إن الحقب ثمانون سنة أو أكثر، قيل أيضا الحقة المسة والجمع حقب

يقول أبو حنن فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ قَالَ مُوسَى بِمَدَّةٍ لَا تُبْرَحُ حَتَّى أَتَمَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمَضَى حَقْباً ﴾ (الكهنة: ٦) .. الحقب السون واحدا حقة، قال الشاعر :

فإن تتأ عنها حقة لا تلاقىها فإبك مما أحدثت بالبحر

قال المراء الحقب سنة ... قال ابن عباس : الحقب الدهر، وقال عبد الله ابن عمر وأبو هريرة ثمانون سنة، وقال الحسن، سبعون، وقيل: سنة بعة قريش، وقيل وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة، والمعنى لا أنرج حتى أبلغ مجمع البحرين إلى أن أمضى زمنا أتيقن معه فوات مجمع البحرين » (١).

٢ - ٦ العصر : ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الدهر أو الزمان والجمع عصور وأعصر (٢)، تقول أهل هذا العصر كما تقول أهل هذا الزمان، وتقول عاصرت فلانا أى كنت فى عصره أى فى زمن حياته، جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَشِيرٌ ﴾ (المصر: ٢٠١) يقول أبو حيان فى تفسير هذه الآية « العصر قال ابن عباس ، هو الدهر أقسم به تعالى لما فى مروء من أصناف العجائب، وقال قتادة . العصر العشى أقسم به كما بالصبحى لما فيهما من دلائل القدرة وقيل العصر اليوم والليلة، ومنه قول حميد بن ثور (٣)

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقد جاء فى الحديث: « حافظوا على صلاة العصرين، أى صلاتي المجر والعصر، سميا بالعصرين لأنهما يقعان فى طرفى العصرين وهما الليل والنهار (٤).

٣ - ١ المدة : قدر من الزمان طال أو قصر والجمع مدد، واللفظ مأخوذ من المد، وهو الطول، تقول مد الله فى عمره أى جعل حياته طويلة، ومن ذلك أيضا

(١) البحر المحيط ١٤١/٢ ، ١٤٤ .

(٢) اللسان عصر .

(٣) البحر المحيط ٩/٨ .

(٤) نهج ٢٦٣ .

(١) (٢) نهج ٢٨٢/٢ ، ٢٨٢/١ .

(٣) اللسان عهد .

(٤) المبدى ٣٠٩/٢ ، ٣٨٢/٢ .

(٥) (٦) ملاحظ أن أكثر ما يستعمل لفظ العهد بدلالة لبيثاق أو الاتفاق الذى يجب مراعاته

(٧) اللسان حقب .

قوله رجل مديد أى طويل، والمديد أيضا البسيط والزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارٌ ﴾ (سورة ص: ١٢) والمد أيضا الإمهاء ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥).

٣ - ٢ الملاوة: قدر من الرمان طال أو قصر مثل المدة والبرهة يكسر وفتح وصم الميم ويقولون أيضا مودة بكسر وفتح وصم الميم بمعنى مدة من العيش أو حبس من الدهر، ويقولون كذلك ملئى فى مثل: مَلَأَ من الدهر وملئى من النهار وملئى من الليل أى أطول ما فيه، الملوان: الليل والنهار، قال الشاعر (٢):

سَهَّارٌ وَنَيْلٌ دَائِمٌ مَلُوهُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ الْمَرْءُ يَحْسِتَانِ

ويقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْجَرْنِي مَلِئًا ﴾ (مريم: ٤٦) انتصب مليا على الظرف أى دهرًا طويلًا، قاله الجمهور والحسن ومعاهد وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار، والملاوة، الدهر الطويل يقولون أملت لملان فى الأمر. إذا أطلت له. قال سيديويه: سير عليه ملئ من الدهر أى زمان طويل (٣). يقول تملئ العيش أى عاش واستمتع طويلًا بالحياة، ومن أمثالهم، اليس جديدًا وتمل حبيبًا أى لتطل أبامك معه، أملئ عليه الرمان أى طال عليه مأخوذ من الإملاء أى الإهمال والتأخير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، وجاء فى الحديث: « إن الله ليملى للظالم » أى يمهله (٤).

٣ - ٣ البرهة: ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الرمان الميم والطويل بضم الباء وفتحها، تقول أقمت عنده برهة أى مدة طويلة من الرمان (٥).

٣ - ٤ الفترة: ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الرمان المعترض بين وقتين، وقيل إن الفترة هى الزمان بين كل بيين، واللفظ مأخوذ من الفترة بمعنى السكون (٦)

- (١) النلسان مدد
(٢) النلسان ملو
(٣) ببحر المحيط ١٩٥/٦
(٤) النهاية ٣٦٢/٤ -
(٥) النلسان برد
(٦) النلسان فتر -

يقول أبو حيان فى تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَذَا جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرْدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٩)، الفترة هى الانقطاع، تقول فتر الوحى أى انقطع وانفتر السكون بعد الحركة (١).

٣ - ٥ الطُّور: ينص المعجم على أن اللفظ يعنى الحال أو الحد بين الشئين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (سورة ص: ١٤)، وقال لأحمش طورًا مصفة، وطورا عتقة، وطورا مصفة، وطورا عظمًا، والطور أيضا التارة، ومن ذلك قول النابغة (٢)

تَنَادَرَهَا الرَّاغِقُونَ مِنْ سُوءِ مَعْمَاهَا تَطَلَّقَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجَعُ
أى تارة بعد تارة أو قتا بعد وقت.

٣ - ٦ التَّارَة: يعنى اللفظ كما ينص المعجم المرة أو الكرة والجمع تارات، تقول أترث الشئ أى جئت به مرة بعد مرة، أو وقتًا بعد وقت (٣)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٥٥).

٤ - ١ العُمُر: استعملت الجماعة العربية اللفظ للتعبير عن مدة عمارة البدن بالحياة، تقول عمر الرجل يعمر عمرًا وعمارة عاش وبقى زمانًا طويلًا (٤)، انظر قوله تعالى ﴿ بَيْنَ مَنْعٍ هُوَلَاءُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى طُلَّ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ (الأنبياء: ٤٤) وتقول أيضا عُمُرُ الله بالتشديد أى أبقاء زمانًا طويلًا انظر قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ (فاطر: ١١) والتعمير إطالة العمر انظر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَمُرَّ نَكَتًا فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٨).

والمعمر الذى عاش طويلًا، وقد سميت الجماعة العربية الرجل عَمَرًا ومعمرًا تماؤلاً لبيقى عمرا طويلًا، كما أقسمت فحالت لعمري ولعمرك بفتح العين أى وحياتي

- (١) البحر المحيط ٤٤١/٣
(٢) النلسان طور
(٣) النلسان ثور -
(٤) النلسان عمر

وحديث ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ فِي مَكَرَتِهِمْ بِمَعْمُورُونَ﴾ سجدة ١٠ ودع
للرجل مقابل - عمرك الله أي أطال الله عمرك أو نشدتك بالله والعقري يضم
العين وسكون الميم ما يحمله الرجل للأحر طول عمره تقول أعمره أئدار أي جعلها له
يسكنها مدة عمره، فإن مات عادت إليه وقد أنطل الإسلام ذلك جاء في الحديث.
ولا تعمروا ولا ترقبوا فمن أعمر شيئا أو أرقه فهو له ولورثته من بعده (١)

٤ - ٢ الأمد : يعنى اللفظ غاية الزمان كالمدى ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ
لَوْ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (العرش ٢٨) أي زما طويلا أو قديما، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ
نَعْتَلُهُمْ لَعَلَّهُمْ أَفْكًا لَحَبِيثًا أَحْصَى لَمَّا نَشَأُ أَمَدًا﴾ (الحج ١٢) كما يعنى اللفظ أيضا عمر
الإنسان ومن ذلك قولهم للرجل : ما أمدك ؟ أي كم عمرك، ومن ذلك سؤال الحجاج
للحمين البصري : ما أمدك ؟ قال : سبتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسبتين بقيت
من خلافة عمر عليه السلام (٢)، وقالوا أيضا : إن للإنسان أمدين أحدهما ابتداء خلقه
الذى يظهر عند مولده، والثاني منتهى أجله.

٤ - ٣ الأجل : يعنى اللفظ غاية الزمان كالأمد والجمع أجال تقول أجل
الشيء تأجيلا حدد له وقتا أو غاية أو أحره أيضا، فالأجل مدة الشيء انظر قوله
تعالى ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ الْكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَحَبُّ﴾ (البقرة ٢٢٥) أي حتى تنقضى مدة
عدة المرأة، وقوله تعالى ﴿وَنُقْرِئُكَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج ٥) مدة ما
يمكنه الطفل في بطن أمه (٣).

والأجل أيضا غاية الوقت ووقت العمل في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ مُوسَى
الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (التقصم ٢٩)، ووقت الدين في قوله تعالى ﴿إِذَا تَدَايَعْتُمْ يَدَيَّرَ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاتَّخِذُوا﴾ (البقرة ٢٨٢)، ووقت منتهى عمر الإنسان في قوله تعالى ﴿هُوَ

الذى خلصكم من ظنين ثم قضى أجلا وأجل مُسمى عدة﴾ (الأنعام ٢)، يقول أبو حيان في
تفسير هذه الآية : للإنسان أجلان : طبيعي أو مسمى وهو الذى يبعد فيه الإنسان
عن العوارض التى تقتله كالحرق و لغرق حتى يستند مدة حياته، وأجل احترامى
وهو الذى يتعرض فيه الإنسان لواحد من هذه العوارض فيقتل (١)

٤ - ٤ القرن : يعنى اللفظ مقدارا من الزمان وقد احتضوا في هذا القدر،
فقبل مدته عشر سنوات، وقبل عشرون سنة وقبل ثلاثون، وقبل ستون وقبل سبعون،
وقبل ثمانون، وقبل القرن أربعون سنة بدليل قول الحمدي (٢)

ثلاثة أهلين أفنيهم وكان الإله هو المستأسا
قال ذلك وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقبل القرن مائة سنة، وجمعه قرون
جاء في الحديث (٣) : «أنه مسح على رأس غلام وقال : عش قرنا، فعاش مائة سنة»
كما يعنى اللفظ أيضا أهل الزمان الواحد الذين يقترون في أعمارهم وأحوالهم.
سور الأهرى : «إن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طائفة من أهل
العلم قلت السنون أو كثرت، جاء في الحديث «خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم» (٤)
أي الصغابة ثم التابعين، ومن ذلك قول الشاعر (٥) :

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم وحلمت فى قرن فانت عرب
يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَرَوْا كَمْ أَهْلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ
مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِلْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمْ فَأَهْلِكْنَاهُمْ يَدْخُلُهُمْ وَابْنُكُمْ وَأَنْشَأَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنٌ آخَرِينَ﴾ (الأنعام ٦) «القرن الأمة
المقتربة في مدة من الزمان ومنه خير القرون قرنى وأصله الارتضاع عن الشيء ومنه

(١) البحر المحيط ٤/ ٧١ .

(٢) لسان قرون

(٣) (٤) نهاية ٤/ ٥١ .

(٥) لسان قرون

(١) لسان عمر النباه ٣/ ٢٩٨

(٢) لسان أمد والنهاية ١/ ٦٥

(٣) لسان أجل

قرن الجبل سموأ بذلك لارتفاع السن وقيل هو من قرنت الشيء بالشيء جعلته بجانبه أو مواحا له فسموا بذلك لكون بعضهم يقترن ببعض، وقيل سموأ بذلك لأنه جمعهم زمان له مصدر هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان، ومدة القرن مائة سنة، قاله الجمهور، وقد احتجوا بقول الرسول ﷺ لعبد الله بن شبر « عش قرنا، فعش مائة سنة »

٤ - ٥ الأمة : يعنى اللفظ مقدارا من الزمان وينص المعجم على أن الأمة حين من الدهر قاله لمرأى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ١٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَتَنْ أَحْرَأَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (مرد: ٨)، يقول أبو حيان فى تفسير الآية الأولى « اذكر أى تذكر ما سبق له مع يوسف، بعد أمة أى بعد مدة طويلة ويقول فى تفسير الآية الثانية. « الأمة ثنائية هنا المدة من زمان قاله ابن عباس وقبادة ومعاهد والجمهور ومعناه إلى حين وقت معلوم ما يحبس استمهام، قالوه وهو على سبيل التكنيب (٢).

وكما رأينا القرن يعنى مقدارا من الزمان وأهل الزمان الواحد، نجد أيضا لفظ الأمة يعنى مقدارا من الزمان كما يعنى أيضا كل حيل من الناس، وينص المعجم على أننا يمكن أن نقول مضت أمة أو أمم من الناس كما نقول مضى قرن ومضت قرون (٣)، وأمة كل نبى من أرسل إليهم ومن ذلك قولنا : أمة محمد ﷺ ومنه قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ أَمْرٌ رَسُولٌ فَإِذَا رُسُلُهُمْ قُصِي بِهِمْ﴾ (يوس: ١٠٧) وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ (الرعد: ٣٠).

٤ - ٦ الطقة : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة جماعة من الناس المقترنين فى زمان معين، وقيل إن أمدها عشرون سنة (٤) قال العباس فى مدح الرسول ﷺ :

(١) البحر المحيط ٣١٤/٥

(٢) البحر المحيط ٢٠٥/٥

(٣) اللسان أمم

(٤) اللسان طبرق

سعد من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

يمول اس الأثير « أراد إذا مضى قرن طهر قرن حر، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم يتقرصون ويأتى طبق للأرض آخر، وكذلك طبقات الناس كل طبقة طبقت زمانها (١) (٢).

كما استعملت الجماعة النعوية اللفظ أيضا بدلالة جزء من الليل والنهار فقالت مضى طبق من النهار وطبق من الليل أى ساعة

★ ★ ★

١ - سنده ١٣/٣

(٢) لاحظ أيضا أن هذا اللفظ أصبح مصطلحا نوع معين من الخصائص المرفقة تعرف باسم كتب الطبقات ومثال ذلك طبقات ابن سعد وطبقات شعراء وطبقات لعقبة، وغير ذلك من الخصائص المعروفة بالباحثين

الفصل الثاني

المفاظ الزمان المحدد

استمرصنا فى الفصل السابق الألفاظ: الدالة على: زمان، مبهىم، ورأىا كىم تعددت هذه الألفاظ وتميرت بعلاقة الترادف فىما بىها كما نرى فى ألفاظ الزمان والدهر، والأوان والحقى، والمدة والملاوة، كما تميز بعضها بأتساع وضىق الدلالة للتعبىر عن الزمان طوىله وقصىره، كما نرى فى ألفاظ مثل العصر بمعنى الزمان المبهىم أو الجزء من الیوم، والحقبة بمعنى الزمان المبهىم أو السبة، و لحن بمعنى زمان المبهىم أو الفصل.

وإذا كان الزمان قد تصوره الإنسان كما یشىر إلى ذلك الفخر الرازى متصلا واحدا، فإن هذا المتصل الواحد لا یمكن تحدیده إلا بعد أن یتجزأ، وإنما تحصل الحرثة بأحداث فصول فى ذى المتصل (١) إسا بحد لمعجم لعربى للجماعة العربیة یمدنا بألفاظ مختلفة للتعبىر عن أجزاء الزمان، وسنحاول فى هذا الفصل استعراض الألفاظ التى عبرت بها الجماعة العربیة عن أوقات الزمان المختلفة وتعكس مدى إحساسها بها.

نقول المرزوقى: « إن الأمم على اختلافها أولعت بالتوقىت بذى اللیالى والأیام و لشهور والأعوام لما یتعلق به من وجوه المعاملات والأجال المضروبة فى التجارات والزراعات وآماد العمارات وتوحیه المعاش ومن اشتغال أرباب النحل بما فترص علیه عندهم من تقرب وعبادة » (٢). لقد كانت الجماعة العربیة من أكثر الأمم ولوعا بالزمان وإحساسا به، فقد كان لكل لحظة عندهم شأن فى الحركة والإقامة وفى المرى والتجارة وفى الحرب والأمان، إن مثل هذا الإحساس بالزمان لا تصوره

(١) لمیحث الشرقیة ٢/ ٦٧٥ .

(٢) الأرمة والأمكنة ١/ ١٤٢

كلمات في لغة من اللغات التي نعرفها ولا نجده على صورة أدق من هذه الصورة التي سنراها

يمكن أن نعرض لألفاظ الرمان المحدث في خمس مجموعات دلالية كما يلي :
المجموعة الأولى وتشتمل على ألفاظ السنة والعام والحوال والحجة والحقيقة ودلالاتها.

المجموعة الثانية: وتشمل ألفاظ العسل وأسماء الفصول ودلالاتها

المجموعة الثالثة: وتشمل ألفاظ الشهر وأسماء الشهور ودلالاتها

المجموعة الرابعة: وتشمل الأسبوع وأسماء الأيام ودلالاتها.

المجموعة الخامسة: وتشمل ألفاظ اليوم والنهار وأوقات الليل والنهار.

١ السنة يعني اللفظ مدة الرمان التي تقطع فيها الشمس المسك ومقدارها اثنا عشر شهرا، وأصله سنة بورج جبهة فحدوت لامها ونقلت حركتها إلى سور فصقت سنة لأنها من قولهم سنهت النخلة وتسنتهت إذا أتت عليها السنون^(١)، وجاء في الحديث أنه ﷺ نهى عن بيع السنين وهو أن يبيع ثمر نخلة لأكثر من سنة^(٢)، نهى عنه لأنه غرر وبيع ما لم يخلق وفي رواية أخرى أنه نهى عن المعاومة، وجمع السنة سنون وسنوات وسنهات، ويقولون مباديه مسانة ومسانة أي عامله نالسة أو استأجره قدر سنة، ويقولون أيضا سانهت النخلة أي حملت سنة ولم تحمل الأخرى وهي سهاء.

كما سبق أن عرفنا أن السنة تعني الحذب في معجم الجماعة العربية، وقد جاء في الحديث: « اللهم أعني على مضر بالسنة »^(٣) أي بالجذب يقولون أخذتهم لسنة إذا أحذبوا وقحطوا، وهي حديث حليلة السعدية : خرجنا نلمس الرضعاء بعكة في سنة سنهاء^(٤)، أي لا نبات بها ولا مطر، وهي لفظة مبنية من السنة كما

(١) اللسان سنة .

(٢) النهاية ٢ / ٤١٤

١ نهية ٢ / ١٤

٢ نهية ٢ / ١٤

يقال ليلة ليلاء، ويوم أيوم، ويحد المعجم ينص على أن العرب تقول سنة جديدة، وعام خصب لقوله تعالى: « ولقد آحطنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات » (الأعراف ١٣) وقوله تعالى ﷻ « ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يعدث لئس فيه يعصرون » يوسف ٦٠ ولكن قد وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضا في قوله تعالى: « قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَائِمًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سَبِيلِهِ » (يوسف ٤٧) .

يذهب بعض اللغويين مثل المرزوقي إلى أن العام أقل أياما من السنة^(١)، لأن العرب تقول في طول الزمان جرت عليه سنون، لأن السنين أطول من الأعوام، فتقول مثلا بلغ فلان أربعين سنة فتذكر السنين بدلا من الأعوام، ومن ذلك قوله تعالى: « حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ لُسَّةُ وَيْلَعُ رُبْعِينَ سَنَةً » الأحقاف ٥ . وقوله تعالى « لَبِثَ فِيهِمْ ثَلَاثِينَ سَنَةً » (المكيت ٦١)، ولكننا نجد أيضا استعمال لفظ العام للتعبير عن سنين مطولة^(٢)، في قوله تعالى « فَأَمَّا يَلُوكَ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ » بقره ٢٥٩، كما يقول المرزوقي أيضا إذا أردنا أن نخبر عن اكتمال الإنسان وتمام قوته واستوائه، فإن لفظ سنة أولى بهذا، فيقول سن فلان كذا وأصل ذلك السن في الحيوان الذي يرتبط بالسنة الشمسية^(٣) لأن النتاج والحمل له يكونان في الربيع والصيف حتى قبل ربيعى للبكر وصيفى للمتأخر^(٤) .

يرى أبو هلال العسكري مثل المرزوقي أن السنة أطول من العام، فالعام جمع أيام والسنة جمع شهور فيقول: « ألا ترى أنه لما كان يقال أيام الربيع قيل عام الربيع ولم يقل شهور الربيع، ولم يقل سنة الزنج ويحوز أن يقال: العام يقيد كونه وقتا لشيء والسنة لا تميد ذلك، لهذا يقال عام الفيل ولا يقال سنة الفيل، ويقال في التاريخ سنة مائة وسنة خمسين، ولا يقال عام مائة وعام خمسين لأنه ليس وقتا لشيء مما ذكره هذا العدد... » ورغم ذلك يقرر أبو هلال أن العام هو السنة، والسنة هي العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر^(٥)، كما يقول المرزوقي والصحيح^(٦) ربما قانوا ذلك لارتباط السنة بدورة الشمس ومدتها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٢٥٤ ثانية .

(١) انظر هامش ٢ من ٧٠ من لزامية .

(٢) الأمانة والأمانة ١ / ١٦٢ .

(٣) انظر من (١١٣) من النواصية .

(٤) المروقي في لغة ٣٦٤

١ - ٢ العام : اللفظ مصدر كالعوم وقد سمعت به الجماعة العربية هذا المقدار من الزمان لأنه عومة من الشمس في الفلك والعوم كالتسبيح لأن الأهلاك تجرى وتسبيح في يرحها^(٢)، انظر قوله تعالى: ﴿كُلُّ فِي فِتْنٍ وَسَبْحُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، والمع مقلبة عن و و لقوبهم العويم و لأعوم والعدم على هذا كالتقول ونقل^(٣) قلت العرب عومه معاومة وعواما عامنة بالعام أو استأجره قدر عام، كما قالت ساهت النخلة قالت أيضا عاومت بمعنى حملت عاماً ولم تحمل آخر ويقولون لقيته ذات العويم، أي لئس ثلاث سنين مضت أو أربع كما يقولون لقيته ذات الزمين أي منذ ثلاثة أزمان أو أعوام^(٤).

ومن العام اشتقوا المعاومة بمعنى أن تبيع زرع عامك أو ثمر نخلك أو شجرك لعامين أو ثلاثة وجاء في الحديث : نهى عن بيع النخل معاومة^(٥)، وقال بعض اللغويين: إن المعاومة أن يجعل دينك على رجل فتزيده في الأجل ويريدك في الدين.

١ - ٣ الحول : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة السنة أو العام، واللفظ مشتق من الحول بمعنى التغير^(٦)، تقول حال الشيء يحول تغير بمعناه، وحولت الشيء فتحول غيرته بنفسك، وجاء في الحديث: «أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال» أي غيرت ثلاث تغييرات أو تحويلات^(٧) وقد سمعت الجماعة العربية السنة بهذا الاسم باعتبار انقلابها وتغيرها بدورة الشمس، فقالت: حالت السنة تحول كما قالت: حالت الدار بمعنى تغيرت أو أتى عليها الحول، أي العام أو السنة، وقالت أيضا أحولت بالمكان وأحلت أقمت حولاً، وأحال الرجل بالمكان وأحول أي أقام حولاً، انظر قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ كُفَرًا هُمْ وَأُولَآئِهِمْ أَتَىٰ أَنُحُولُ غَيْرَ إِيْرَاحَ﴾ (البقرة: ٢٤٠) أي لزوجة المنهوى الممكنى والنفقة سنة كاملة في ماله ما لم

(١) الأرملة والامكة ١/ ١٢٣
(٢) انظر ص ٦١ من الترمذية .
(٣) اللسان عوم ومفردات لردعب .
(٤) اللسان حول ومفردات الرابع .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٨٥
(٥) النهاية ٣/ ٢٢٢
(٧) النهاية ١/ ٤٦٢

بحرح برأيها وهو تعالى ﴿وَالْوَدَّ بَرُّصِمْ وَأَلَدَهُمْ حَرْبِي كَدِيلِي لَمْ يَرِدْ بِيَمِ الرُّصَاعَةِ﴾ (البقرة: ٣٣)، ويقولون أحول الصبي فهو محول أي أتى عليه حول من مولده، ومن ذلك قول امرئ القيس^(١) :

فمئلك حبلِي قد طرقت ومرصع فألهيتهَا عن ذِي تَمَائِمِ محول كما يقولون نبت حولي، وجعل حولي أي أتى عليه العام والأنثى حولية والجمع حوليات.

١ - ٤ الحقة : استعملت الجماعة العربية اللفظ بكسر الحاء بدلالة السنة، وقد جاء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّدُ أَبْأَكْحَكُ إِحْدَىٰ أَسَىٰ هَاتِي عَلَىٰ أَبْ تَأْخُرِي نَمَاسِي حَجَّجَ﴾ (القصص: ٢٧) واللفظ مأخوذ من الحج بكسر الحاء بمعنى عمل السنة، تقول حججت فلاناً إذا أتيت مرة بعد مرة، وقالوا حج البيت بفتح الحاء لأن الناس يقصدونه كل سنة ولهذا سميت الجماعة العربية السنة حجة والجمع حجج^(٢).

١ - ٥ الحقة : ينص المعجم على أن هذا اللفظ من الألفاظ التي استعملتها الجماعة العربية بدلالة السنة، وقال بعض اللغويين مثل ثعلب: إنها لغة قيس خاصة^(٣)، وقال الفراء: إنها لغة قريش، فالحقة بكسر الحاء السنة والجمع حقب بكسر الحاء وفتح القاف وبضم الاثنتين، وبهذا فسر بعضهم لفظ الحقب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠)، بالسنين جمع سنة، ومن ذلك قول الشاعر^(٤) :

فإن تَأَ عنها حَقْمَةٌ لَا تَلَاقَهَا هَبْرُكَ مَا أَحْدَثَ بِالْمَجْرِبِ ونجد اللفظ يشتجر مع لفظ الحقب بفتح الحاء والقاف بدلالة الحزام أو الحبل الذي يشد به حقوا البعير، والحقاب بمعنى الحزام الذي تشد به المرأة الحلى حول وسطها، والحقة بمعنى الوعاء الذي يجعل الرجل فيه زاده^(٥)، وكأن الجماعة

(١) الروزي شرح سمعات السبع ١٢
(٢) اللسان حول
(٤) اللسان حقب المحض ٩/ ٦٦

(٢) اللسان حجج والمخصص ٩/ ٦٦ .
(٥) البحر المحيط ٦/ ١٤٤ ، ١٤١

العربية قد رأت في الحقبة امتداد الأيام وتسايسها خلال السنة، أو امتداد أو اتصال
لسنين على من قال إن اللفظ يعنى مدة طويلة من الزمان قدرها بعضهم بشمارين أو
أنها رأت الحقبة بمعنى الظرف أو الوعاء الذى يتم فيه الحديث

٢ - ١ الفصل : استعملت الجماعة العربية اللفظ لتمييز أوقات السنة التى
يكون فيها الحر والبرد وما بينهما، وهو مشتق من الفصل بمعنى التمزيق أو التمييز
بين الشيتين^(١)، وقد ذهب إلى ذلك بعض اللغويين قائلًا : سمي الفصل فصلًا
لانفصال الحر من البرد وانقلاب الزمن الذى قبله والجمع فصول^(٢).

٢ - ٢ القصبة : استعملت الجماعة النغوية اللفظ بفتح الفاء وسكون الصاد
بدلالة الخروج من حر إلى برد ومن برد إلى حر^(٣)، يقول المرزوقى : إن القصبة
تصلح فى كل أوقات السنة ومتى خرجت من أذى إلى رحاء هتلك قصبة، ولا تسنم
القصبة إلا فى حينه^(٤)، ويذهب الأصمعى إلى أن القصبة هى أن تخرج من برد إلى
حر، ويقال أقصى القوم وهم مفصولون ويذكر ابن الأعرابى قولهم أقصى عنك الشتاء
وسقط منك الحر، ومن أمثالهم عن الرجل يكون فى غم فيخرج منه قولهم : أقصى
عليك الشتاء

وقد كانت العرب تقول أيضا انقوا القصبة وهى الخروج من برد إلى حر ومن
حر إلى برد، وكما ذكر المرزوقى أن القصبة تصلح لكل أوقات السنة وإن كان بعض
اللغويين قد خصصها بالخروج من البرد إلى الحر والمغزى مأخوذ من قولهم قصى
الشيء قصيا فصله، ومن هذا قولهم قصى اللحم عن العظم إذ أخلصه ومنه الاسم
قصبة، ونلاحظ أن لفظى لفصل والقصبة يتفقان فى دلالة الخروج من حالة إلى
أخرى كما يشتجران فى لفظ ثالث وهو الفصم بمعنى القطع وهى دلالة تتفق مع
دلالة التمزيق فى المصل والتحليص فى القصى^(٥)

(٢) المرزوقى ١ / ١٧٧

(٤) المرزوقى ١ / ١٧٨

(١) اللسان قصص

(٢) اللسان قصص

(٥) لسان قصص

٢ - ٣ الشتاء : قسمت الجماعة العربية كغيرها من الجماعات الإنسانية
السنة إلى أربعة فصول الشتاء والربيع والصيف والخريف، ومدة كل فصل ثلاثة
أشهر^(١)، إلا أن فصل الشتاء والصيف كانا أبرز الفصول وأوضحها فى بيئتهم
لصحراوية ولا سيما فصل الصيف الذى يعتبر أطول الفصول وهذا هو الذى دفع
الجماعة العربية. كما تذكر بعض كتب الأنواء إلى تقسيم السنة إلى نصمين أو
فصلين الشتاء والصيف^(٢).

تذكر كتب الأنواء أن الجماعة العربية قد بدأت فصول السنة بالشتاء وقدمته
على الصيف، وينقل المرزوقى عن أبى حنيفة هى كتابه الأنواء علة ذلك قائلًا :
«...زعم بعضهم أنهم إنما قدموا الشتاء على الصيف لأنه ذكر، وأن الصيف أنثى،
ولم يذكروا علة تذكير الشتاء وتأنيث الصيف، ولا أظنه لقسوة الشتاء وشدة ولبين
الصيف وهونه، ألا ترى أنه من عادتهم أن يذكروا كل صعب من الأمور قاس شديد
حتى قالوا داهية مذكر وإن كانت أنثى، وحتى قالوا أرض مذكر إذا كانت ذات
مخاوف وإعراج »^(٣)، ويذكر المرزوقى تعليلاً آخر فيقول « وبذكر غيره من تعليل
تذكير الشتاء أقرب منه وهو لما كان إدراك الثمار فى الربيعين ووضع الأحمال من
الملاقيح ونتائج الخير فى أصناف المعاش من الزرع والضرع فى الصيف فأشبهت ما
فى بطون الحاملات فجعلوا الشتاء ذكراً والصيف أنثى^(٤) ».

كما يعلل المرزوقى أيضاً تقديم الجماعة العربية للشتاء على الصيف
لاعتمادها على مبادئ الأقوات هيه ولأن أوائل النماء فى العالم منه، ويشهد على
ذلك تقديم الله تعالى الشتاء على الصيف حين ذكر رحلتى قريش للتجارة وأمن
عليهم بما مكن لهم فى النفوس من الإجلال والمهابة لكونهم قطان الحرم وآرياب

(١) انظر من (٦٨) من كروميه

(٢) يذكر ابن الأجدادى أن العرب قسمت السنة نصفين شتاء وصيفاً ، ثم قسمت الشتاء على ثلاثة والصيف
على ثلاثة فنكون لسنة كلها ستة أرمية ثلاثة لشتاء وثلاثة للصيف يسمى كل من يسم الميث الواقع فيه
أول أرمية الشتاء لثلاثة، ويسمى ثم الشتاء ثم الربيع وكلها شتاء وأول أرمية الصيف الثلاثة الصيف
يشديد الياء ثم الحميم ثم الحريف وكلها صيف

انظر الأرمية والأنواء ٩٧ والأرمية والأمكة ١ / ١٦٥ ومن (٥٨، ٥٩، ١٤٤) من الدراسة

(٤) المصدر نفسه ١ / ١٦٩

(٣) الأرمية والأمكة ١ / ١٦٨ .

الأشهر الحرم حتى أمّنا لزمن وكاتب العرب تقول: من علب سلب^(١)، فقال تعالى
﴿لِيَلْبِسَ قُرَيْشٌ رِجْلَهُم رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قریش: ٢١)

وإذا كانت الجماعة العربية قد ذكرت الشتاء لشبته وقسوته، فقد سمت
لقحط شتاء لأن المحاعات أكثر ما تصيبهم في الشتاء البارد، قال الحطيئة^(٢)
إذا نزل الشتاء بدار قوم تجنّب جار بيتهم الشتاء

أراد الحطيئة بالشتاء هنا المجاعة، يقال أشتى القوم فهم مشبون إذا أصابته
مجاعة ومن ذلك حديث أم معبد «وكان القوم مرملين مشتين»^(٣)، المرمل اللاصق
بالرمل، والمشتى الذى أصابته المجاعة، وقد أردت أم معبد أن تقول أن الناس كانوا
في أزمة ومجاعة، وقد كانت العرب كما ذكرنا تجعل الشتاء مجاعة لأنهم كانوا يلزمون
فيه البيوت ولا يخرجون للالتجاع، كما كانت تسمى الكريم منهم مأوى المحتاجين
ومطعم الشتوات، ونجد هذه الدلالة في شعر الهذليين في هذه الأبيات^(٤)

يا عين هابكي المالكين أولاً هوارس الأضائف المحصول
المطعمين في الشتاء الأطلحل والأزمات والزمان المفضل
مطعم للصيف حين الشتاء شُم الأنوف كثيرو والفجر

وقد قالت الجماعة العربية أشتينا أى دخلنا في الشتاء، كما قالت أصمنا أى
دخلنا في الصيف، والنسبة إلى الشتاء شتوى مثل صيفى وشتوة مصدر شتا بالمكان
شتوا، وشتوة للمرة الواحدة كما تقول صاف بالمكان صيما، وصيفة واحدة، كما قالت
أيضا شتى وشتى بالمكان أقام به في الشتوة، وقالت شتا الشتاء يشتو ويوم شت^(٥)

وكا ارتبط الصيف بالحر وسموه قيطا ارتبط الشتاء بالبرد وسموه قرا وقيطا
لقاف فقالوا هذا يوم ذو قر ويوم مقرر وقار، وليلة قرّة وقارة أى باردة، وفي حديث

(١) المصدر مصد ١/ ١٦٤ .

(٢) اللسان صيف .

(٣) لنهاية ٢/ ٤٤٣ .

(٤) اللسان شتو .

(٥) شرح أشعار الهذليين ١/ ١١٨، ٢/ ٨٦٠ .

(١) النهاية ٤ / ٢٨ .

(٢) اللسان صيف .

(٣) اللسان صيف .

(٤) أبيدائي ٢/ ٤٣٤

(٥) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٨٥

أم ررع لا حر ولا قر^(١) أرادت لا ذو حر ولا ذو برد فهو معقول. أردات بالحر
والبرد الكناية عن الأذى، فالحر قلله والبرد كثيره، وقد قالت العرب للرجل تدعو
له، هرت عينك، أى برد الله دمع عينك وأن القُرور هو الدمع البارد يخرج من العين
فرحا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُلِي واشربي وقرّي عينا﴾ (مریم: ٣١)

٣ ٤ الصيف: هو نصف السنة الثانية لدى الجماعة العربية وربيع من
أرباع السنة لدى غيرها، وقد كان من أبرز الفصول وأوضحها في بيئتها الصحراوية
كما كان من أطولها أيضا، ولهذا قالوا أصاف الرجل فهو مصيف إذا تروّج وأحب
وهو كبير، وقالوا لولد الرجل الذى يصعبه في كبره صيفى والجمع صيميون، أما إذا
تزوج وهو شاب فولده ريمى والجمع ريميون قال الشاعر^(٢)

إنّ بى صبيحة صيميون أفلح من كان له ريميون
كما ارتبط الصيف في ذهن الجماعة العربية بالنتاج واللقاح فقالت: في
الصيف صيغت اللبن لمن طلب شيئا في غير وقته وقد خصوا الصيف لأن الألبان
تكثر فيه^(٣).

فقالوا أصاف القوم دخلوا رماا الصيف، كما قالوا أشتوا دخلوا في زمان
الشتاء، وقبوا يوم صائف وليلة صائفة، وقالت صاف بمكان كذا، أقام فيه الصيف
فهو صائف، وقالت أيضا تصيف مثل تشنى، واصطاف كذلك، والمصيف والمصطاف
لموضع الذى يصيف أو يصطاف فيه^(٤)

والصيف أيضا المطر الذى يأتى في الصيف، والواحد صيفة، قال الهذلى^(٥).
ولقيد وردت الماء لم يشرب به . بين الربيع إلى شهور الصيف

وكما ارتبط الشتاء بالبرد وسموه قرا ارتبط الصيف بالحر وسموه قيطا
والقيط صميم الصيف، ومن ذلك قولهم قاطد يوما أى اشتد حره وفى الحديث

«سمرنا مع رسول الله ﷺ هي يوم قائط»^(١) أى شديد الحر، قالوا قاطظ وقيط
واقطظ يمكن كذا أقام رمى قيطه والمقيظ اسم المكان الذى يقام فيه وقت القيط
مثل المصيف.

ونجد الجماعة العربية تكفى عن الحبر والسهولة بالبرد، وتكفى عن الشدة
والشر بالحر، ومن ذلك ما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن مسعود «بلغنى أنك
تقتى ولّ حارها من تولى قارها»^(٢) أى ولّ شرها من تولى خيرها وول شديديتها من
تولى سهولتها، والحر عكس القر وكما قالت الجماعة العربية فى الدعاء للرحل «قرّ
الله عينه» قالت فى الدعاء عليه «أسعن الله عينه»، لأن دموع الفرح باردة، ودموع
الحزن ساخنة، كما اشتقت من الحر تعبير استحر القتل أى اشتد^(٣).

٢ - ٥ الربيع : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للشهور والمصل
وتذكر بعض كتب الأنواء أنها تجعل زمان الشتاء نصفين، فصل الشتاء أوله والربيع
آخره، كما تجعل زمان الصيف نصفين فصل الصيف أوله والقيظ آخره، كما تذكر
أيضا أن بعض العرب تسمى الشتاء الربيع الأول والصيف الربيع الآخر^(٤).

وكما سمعت الجماعة العربية المطر الساقط فى الصيف صيفا سمعت أيضا
لمطر الساقط فى هذا الزمان ربيعا، يقول الأزهري : السنة أربعة أزمنة الربيع الأول
وهو عند العامة الخريف ثم الشتاء ثم الصيف وهو الربيع الآخر ثم القيط وهذا كله
قول العرب فى السادية، وقد سمعت العرب تقول لأول مطر يقع بالأرض أيام الخريف
ربيعا، ويقولون إذا وقع ربيع بالأرض بعثت الرواد وانجما مساقط العيث، وسمعتهم
يقولون للبحيل إذا حوفت وصرمت قد تربعت النخيل، قال إنما سمي فصل الخريف
خريفاً لأن الثمار تخترق فيه وسمته العرب ربيعا لوقوع أول المطر فيه^(٥)، ويذكر
ابن الأجدابي أن العرب تسمى كل زمن باسم العيث الواقع فيه، فأول أرملة الشتاء
لثلاثة التوسمى ثم الشتاء ثم الربيع وكلها شتاء وأول أرملة الصيف الثلاثة الصيف
ثم الحميم ثم الخريف وكلها صيف^(٦).

(١) لنهاية ٤ / ١٣٢ .
(٢) لنهاية ٤ / ٣٨ .
(٣) للسان حر
(٤) لأرملة والأمكة ١ / ١٧ ، المحمص ٩ / ٧٩
(٥) للسان ربيع .
(٦) لأرملة والأنواء ٩٧

قالت العرب أربع القوم دخلوا فى الربيع أو إذا صاروا إلى الريف والماء،
وقالت تربع القوم المكان وأرتبعوه أقاموا فيه زمن الربيع، أربع القوم أقاموا فى المربع،
والمربع المنزل الذى ينزل فيه الإنسان زمن الربيع مثل المصيف، والمربع المكان أيضا^(١).

وقالت العرب لأول كل شيء ربيعى، فالربيعى الولد يولد لأبيه فى شبابه عكس
الصيفى، كما قالت ناقة مربع ومرباع التى تنكر فى النتاج أو تلد فى هذا الزمن^(٢)،
والربيع أيضا الحمول أو النهر الصغير، وجاء فى حديث المزارعة «ويشترط ما سقى
الربيع والأربعاء» الربيع النهر الصغير، ولأربعاء الجمع، وفى الحديث أيضا أنه ﷺ
عدل إلى الربيع فتظهر^(٣).

ولما كان الربيع من الأزمنة التى يرتاح فيها قلب الإنسان ويميل إليها، فإن
نجد فى حديث الدعاء قوله ﷺ : «اللهم اجعل القرآن ربيع قلبى»^(٤).

٢ - ٦ الخريف : سميت الجماعة العربية هذا المصل من السنة بالخريف
لأنه تخرف فيه الثمار أى تجتثى، والخارف الذى يخرف الثمار أى يجتثيها وهو من
آخر الصيف وأول الشتاء^(٥)، وتذكر بعض كتب الأنواء أن العرب لم تذكر الخريف
فى الأزمنة لأن الخريف عندها اسم الأمطار أحر الصيف، وقد سمي هذا الزمان
به، وقد سبق أن أشرنا إلى أن بعض العرب يجعل أرملة الصيف ثلاثة صيف
وحميم وخريف، وتقسم أرملة السنة طبقا للمطر إلى ستة أقسام أو فصول مدة كل
منها شهران^(٦)، قال أبو زيد اللعوى «أول المطر التوسمى ثم الشتوى ثم الربيعى ثم
الصيفى ثم الحميم ثم الخريف، يقول الأصمعى : أول ماء المطر فى قبائل الشتاء
اسمه الخريف وهو الذى يأتى عند صرام النحل، ثم يليه التوسمى وهو أول الربيع
وهذا عند دخول الشتاء، ثم يليه الربيع ثم الصيف ثم الحميم لأن العرب تجعل
المنة ستة أزمنة^(٧).

(١) للسان ربيع
(٢) لنهاية ٢ / ١٨٨ .
(٣) المصدر بعنه ٢ / ١٨٨ .
(٤) للسان خرف .
(٥) الأرملة والأمكة ١ / ١٧ ، المحمص ٩ / ٧٩
(٦) للسان حرف
(٧) للسان حرف

فالت العرب آخرها بالمكن أقاموا به حربهم والمخرف موضع إقامتهم ذلك الزمن، وجاء في حديث عمر رضي الله عنه : « إذا رأيت قوما خرفوا في حائطهم »^(١)، أى أقاموا فيه وقت احتراف الثمار وهو الخريف، كقولك صافوا وشنوا : إذا أقاموا في الصيف والشتاء، وأما قولهم أحرف مثل أصاف وأشتى يعنى دخل في هذه الأوقات، والمخرف النافقة التى تتج في الخريف تقول آخرت النافقة ولدت في الخريف، والمخرف جنس البخل خاصة وثمارها تقول خرفت البخله أحرفها حرف حسب ثمرها »^(٢)

ويبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضا بدلالة العام أو السنة جاء في الحديث « فقرأ أمتي يدخلون لحنة قبل أغنيائهم بأربعين حريفا » يقول « بن الأثير » الخريف الرمان المعروف من فصول السنة ويراد به هنا « أربعين سنة » لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة فإذا انقضى أربعون حريفا فقد مضى أربعون سنة، وجاء في الحديث أيضا : « ما بين مكبي الخازن من خربة جهنم خريف، أى مسافة تقطع ما بين الخريف إلى الخريف »^(٣)

٣ الشَّهْر : اللفظ مصدر قولهم شهر الشيء أو الأمر يشهره أظهره وذكره وعرفه، ومن ذلك قولك أشهرت السيف من عمده أى أظهرته، استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة العدد المعروف من الأيام التى يكون مدو الهلال فيها، حافيا إلى أن يستسر ثم يعود حافيا مرة أخرى وكأنها كانت تنظر إلى الهلال فتشهره ولذلك سمي الشهر شهرا لشهرته وبيانه أو لأن الناس يشهرون دحوه وجروجه والنجم أشهر وشهور.

وقد سميت الجماعة العربية هذا العدد المعروف من الأيام التى تكون جزءا من اثني عشر جزءا من أجزاء أو أقسام السنة شهرا باسم الهلال يقولون هل الشهر وهل الهلال، انظر قوله تعالى : ﴿ قَمَنَ شَهْدُكُمْ الشَّهْرَ فليصمه ﴾ (سورة ١٨٥) أى من

شهد هلال شهر رمضان، وجاء في الحديث : « إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن عمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يوما »^(١)، ومن ذلك أيضا قول الشاعر^(٢)

أحوا من نجد على ثقة والشهر مثل قلامة الظفر
حتى تكامل في استدارته في أربع رادت على عشرين

والهلال غرة القمر حتى يهله الناس، ويسمى القمر هلالا إلى أن يهر صياؤه سود الليل والجمع أهله ويكون ذلك للثلاثين أو ثلاث في أول الشهر، ولثلاثين أو ثلاث لآخر الشهر، ويسمى ما بين ذلك قمرًا^(٣).

وقيل قد سمي الهلال هلالا لارتفاع الأصوات عند رؤيته، ومن ذلك قولهم استهل الصبي رفع صوته وصاح لدى ولادته، ومن ذلك أيضا الإهلال بالتحج أى رفع الصوت بالتلبية أو من رفع الصوت بالتهليل عند رؤية الهلال، ولما كان أصل الإهلال رفع الصوت سمي كل رافع صوت « مهل »، ولقد كانت الجماعة العربية على ما يبدو تعلق بداية الشهر بالإهلال أى الصياح^(٤).

لقد كان الهلال هو المقياس الذى سارت عليه الجماعة العربية لتعيين أوائل الشهور وتنظيم أحوال معاشهم، يقول أبو حيان في تفسيره قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَيَّامِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة : ١٨٩) ... سأل أحدهم الرسول ﷺ ما

(١) نلسان شهر، صحيح مسلم ٢ / ٢٨ ط انشعب

(٢) القرطبي ٣ / ٢٩٣

(٣) لا ير ل اسم القمر في بعض اللغات يعنى لشهر فلفظ Month في الإنجليزية مشتق من اللفظ moon أى القمر، كما نجد في اللغتين العبرية و تركية لفظ Ay, mah يعنى لشهر أو القمر، نظر عبد الحق فاضل تاريخهم من لغتهم ص ١٢٥ .

(٤) كان الرومان يبدأون كل شهر برؤية القمر الجديد يوم ظهوره في شكل هلال رفيع في السماء العربية بعد غروب الشمس مباشرة ومن يوم يروى عمر حديد إلى العصر الثاني له، وكما نجد أن لفظ لشهر في الإنجليزية مشتق من لفظ القمر مجد لفظ التقويم Calendar في الإنجليزية مشتقا من اللفظ اليوناني Kalend الذى يعنى يراى أو يصيح وهى العبارة التى كان يبدأ بها مبادى المدينة في روما ليعلى يد به شهر ومتى سيكون يوم السوق انظر كيث (أبريل ١٩٦٥ يوما حصص التقويم ص ٢ - ٤ ترجمة سعد الدين صبور / ط دار النهضة العربية ١٩٦٥ و جورج سارتون تاريخ لغتهم ١٨٨ / ٢٢٦

بالهلال يبدو دقيقا مثل المحيط ثم يريد ثم يمتلئ ثم لا يزال يقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة... لا يريد بذلك السؤال عن ذات الأهلة بل عن حكمة اختلاف أحوالها وفائدة ذلك فقال سبحانه: قل هي مواقيت للناس، ولو كانت على حالة واحدة ما حصل التوقيت بها وهذه هي الحكمة في زيادة الصوم ونقصانه إذ هي كونها مواقيت في الآجال، والمعاملات، والمعدد، والصوم، والفطر، ومدى الحمل والرضاع، والنذور المتعلقة بالأوقات، وعصائل الصوم في الأيام التي لا تعرف إلا بالأهلة وقد ذكر تعالى هد المعسى في قوله ﴿هُوَ لَدِيْ جَعَلَ لِنَفْسِ صِيَاءٍ وَانْقَمَرُ بَوْرًا وَقَشْرُهُ مَارِلٌ يَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السَّيِّئِ وَالْحِسَابُ﴾ (يوس ٥)، والوقت الزمان المفروض للعمل ومعنى مواقيت الناس أي ما يتعلق بهم من أمور ومعاملات^(١)، كما يذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (سورة ٥٥، عسر، الإسلام رؤية الهلال شهادة على بداية الشهر الجديد وبها يحكم بحلول الشهر، إلا أن بعض الفقهاء يرى أن هذه الرؤية أو الشهادة لا تفيل إلا من شاهدين، وقال الشافعي فإن لم تر العامة هلال شهر رمضان وراء رجل عدل رأيت أن أقبله للأثر والاحتياط، قال بعض أصحابنا: لا أقبل عليه إلا شاهدين ويرى بعض الفقهاء أنه يعول على لحساب عند القيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها لقوله ﷺ فإن اغم عليكم هاقدروا له: أي استدلوا عليه بمنازله وقدروا إتمام الشهر بحسابه^(٢).

وقد كانت الجماعة لعربية تقيس أوقات الرمان بالليالي الداهية في دورة القمر الشهرية فقالت: لثلاث خولن من شهر كذا ولخمس خولن من شهر كذا، وقالت ليلية لإهلال غرة كذا، ولم تقل لليلة خلت إلا من العدد.

٣ - ٢ عرفت الجماعة العربية مثل المجتمعات الإنسانية الأخرى التقسيم الاثنى عشرى لشهور السنة نظر إلى قوله تعالى ﴿يَا عِدَّةُ الشُّهُورِ عَدَدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا

(١) البحر المحيط ١ / ٦٢ .

(٢) القرطبي ٢ / ٢٩٤ .

فِيهِمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ (النبي ٣١)، نلاحظ أن هذه الآية هد أشارت إلى أربعة أشهر مقدسة لا تنتهك فيها الحرمات ويتوقصون خلالها عن البعي والإعتداء فيها بينهم، وهذه الأشهر منها ثلاثة متواليات هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وشهر منفرود وهو رجب، ويذكر بعض اللغويين أن المحرم لم يكن يعرف بهذا الاسم في الإسلام وقد كانت الجماعة العربية تسميه صفراً، ولذلك كان في التقويم صمران، صفر الأول وصفر الآخر، وقد كان لديهم شهران باسم جمادى، وشهران باسم ربيع^(١)، وقد جاء ذلك في شعر الهذلي^(٢)

أقامت به كمقام الحنيف شهرى جمادى وشهرى صمر
بها أبلت شهرى ربيع كليهما فقد مار فيها نسؤها وقترارها
كما تذكر بعض المصادر أنه كان من عاداتهم تأخير المحرم إلى صفر في تحريمه ليكون شهراً حراماً و نلاحظ أن لدخول «ال» أداة التعريف على المحرم أهمية في تثبيت هذا الشهر، وكما نجد لفظ المحرم دلالة ديبية وصمت بها الأشهر الحرم لأن كل شهر منها قد خرم فيه الاعتداء، وقد جاء في الحديث أن اليهود وأهل حبير كابوا يقدسون العاشر منه ويتحدونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حديثه وشارتهم، كما كانوا يصومونه، وقد أقر التشريع الإسلامي صيام هذا اليوم وقد صامه الرسول ﷺ مع المسلمين وجاء في الحديث: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن تاسوعاء» أي اليوم التاسع من محرم مع العاشر منه، ربما قال ذلك ﷺ لمحاملة اليهود الذين أفردوا العاشر فقط بالصوم^(٣).

نحبرنا المصادر أيضاً أن شهر رجب كان من الشهور المقدسة لدى الجماعة العربية الأولى وقد سموه بذلك لتعظيمهم إياه من قولهم «رجبت الشيء هيئته ورجسته عظمته»، وقد كابوا يؤخرونه من شهر إلى شهر كما كابوا يفعلون في المحرم، وجاء في الحديث «رجب مصر الذي بين حمادى وشعبان» تأكيداً على موضعه بين

(١) الأرمية و لامكه ٢

(٢) شرح ديوان الهذليين ١ / ١٢ ، ٢٢ .

(٣) انظر صحيح مسلم الروى ٣ / ١٨٨ ط الشعب والنهاية ١ / ٨٩

الشهور، كما كانت الجماعة العربية تدعى في هذا الشهر ذبيحة بنصيبونها إليه^(١) وقد استعملت لفظ الترحيب بمعنى دبح السائك في رجب، وقدلت هذه أيام ترحيب وتعار، مأخوذ من العتيرة وهي ذبيحة كانت تدعى في رجب ويقدمونها لأصنامهم^(٢) ٣ - ٣ تشير مصادر الأدب واللغة والتاريخ إلى أن الجماعة العربية الأولى قد عرفت قسمين من الشهور، قسما مطلقا به العرب المستعربة وحرى عليه الاستعمال إلى الآن وهي^(٣) .

المحرم سمي بذلك لأنهم كانوا يحرمون فيه القتال.

صفر سمي بذلك لأن ديارهم تصير أي تحلو منهم لحروجه للقتال .

ربيع الأول: سمي بذلك لارتفاع القوم فيه.

ربيع الثاني: سمي بذلك أيضا لارتفاع القوم فيه.

جمادى الأولى سمي بذلك لعمود الماء فيه لشدة البرد.

جمادى الثاني سمي بذلك أيضا لعمود الماء فيه لشدة البرد.

رجب سمي بذلك من الترحيب بمعنى العظيم.

شعبان سمي بذلك لتشعبهم فيه لكثرة العارات.

رمضان سمي بذلك من الرمضاء أي شدة الحر.

شوال سمي بذلك من الشول أي رفع الإبل لأذنانها فيه.

ذو القعدة سمي بذلك لأنهم يقعون فيه عن القتال.

ذو الحجة سمي بذلك لأنهم كانوا يحجون فيه^(٤)

(١) نظر تلسان رجب النهاية ١٩٧ / ٢

(٢) نظر تلسان عثر النهاية ١٩٧٨ / ٢

(٣) كانت الجماعة العربية تعتنق نسبة بالحرم ولعل هذا جعل المسلمين يعيدونه أيضا أول السنة الهجرية . وتذكر بعض المصادر أن أول من سمي الشهور بالحرم وما بعده من شهور هو كلاب بن مرة ويذكر بعضها الآخر أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي الحر عن

(٤) نظر هذه الشهور وتعين تسمياتها . قطرب الأرملة ٤٧ ، العراء الأيام والليالي ١٧ ، المنحصر ١٤٣ / ٩ المروزي ١٦٧ / ١ ، نهاية الأرب ١٥٧ / ١ ، المنشدي صبح الأعشى ٣٧٥ / ٢

ويبدو من تسميه هذه الشهور علاقتها الوثيقة بالعواصر الطبيعية من لحر والبرد والاعتدال، ولكننا نعرف أن هذه الشهور لم تكن ثابتة في حصول السنة، بل كانت كما نرى الآن تنتقل من فصل إلى آخر .

٣ - ٤ أما القسم الثاني من الشهور التي تطمت بها العرب العاربة وكانت مستعملة ومعروفة بين بعض القبائل فهي^(١) :

المؤتمر سمي بذلك لأنه يؤتمر فيه بترك الحرب ويقابل المحرم .

ناجر سمي بذلك من النجر وهو السوق الشديد لحيلهم في الحرب .

خوان سمي بذلك لأن الحرب تشتد فيه فتخونهم ويقابل ربيع الأول .

صمان سمي بذلك من الويص بمعنى بريق الحديد فيه .

حنين سمي بذلك لأنهم يحنون إلى أوطانهم ويقابل جمادى الأولى .

ربي سمي بذلك لأنه يجتمع به جماعة من الشهور ليست يحرم .

الأصم سمي بذلك لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح ويقابل رجب .

عادل سمي بذلك لأنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتشعبهم .

نانق سمي بذلك لكثرة المذل الناتج من الإغارة في الشهر السابق .

وعس سمي بذلك من قولهم وعل إلى كذا أي لحا إليه .

وربة سمي بذلك من قولهم أرن أي تحرك ويقابل ذا القعدة .

برك سمي بذلك من قولهم بركت الإبل أي حطت لموسم الحج .

لقد سجلت لنا كتب اللغة والأدب أسماء هذه الشهور مع اختلاف بعضها في الأسماء ودلالاتها الاشتقاقية، فوجد بعض المصادر تسمى حين شيبان وتسمى ربي بلحان، وتسمى عادل بعادل، كما نجد تشيير إلى أن شهر ناجر مشتق من النجر بمعنى شدة الحرارة وهو يقابل شهر صفر، وإلى أن شهر الوعل بمعنى الهرب لأنهم كانوا يهربون من الغارات بعد الأشهر الحرم إلى أماكن يحصون بها وهو يقابل شوال.

(١) انظر هذه الشهور وتعين تسمياتها قطرب الأرملة ٤٨ ، العراء الأيام والليالي ١٨ ، المنحصر ٤٤ / ٩ ، المروزي ١٦٨ / ١ ، نهاية الأرب ١٥٨ / ١ ، المنشدي صبح الأعشى ٣٧٩ / ٢

والى شهر ورنه المشتق من الأرون بمعنى الدنو لقربه من الحج، وهو يقابل ذا القعدة،
والى برك واللفظ معدول عن بارك مأخوذ من البركة لأن الحج فيه ويقابل ذا الحجة.

نذكر لنا المصادر أيضا أن الجماعة العربية قد سمت شهرى شبان وملحان
وهما تسميتان أحريان لشهرى حنين وريى، ويقابلان شهرى حمادى الأولى وحمادى
الثانية، بشهرى قمح ومن هذا قول الهذلى (١) :

فتى ما ابن الأعر إذا شقوبا وحياً الراد فى شهرى قمح
وقد سمت الجماعة العربية الشهرين بذلك لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء
لشدة البرد، والإبل، لقماح هى التى ترفع رؤوسها، وقد سمت الشهر الأول كما أشرنا
شبان لا يبيضاض الأرض بالتلج، وسمت الثانى « ملحان » من الملح وهو البيضاء،
كما سمت شهرى القيط شهرى ناجر من البحر نالتحريك بمعنى العطش الذى يأخذ
الإبل فنشرب ولا تروى (٢).

٤ - ١ الأسبوع : عرفت المجتمعات البشرية المأظ السنة والشهر واليوم
وحدات فلكية لتحديد أوقات الزمان، ولكن هذه الوحدات لم تكن لترتيب أمور
حياتها، فقد كان الشهر وحدة زمانية طويلة، واليوم وحدة زمانية قصيرة، فدمجت
الحاجة إلى وحدة وسيطه بينهما، وكما أوجت دورة الشمس السوية للإنسان
بالفصول الأربعة، أوجت دورة القمر الشهرية وتغير شكله فى صورة الهلال والقمر
والبدر والمحاق (٣)، بتقسيم الشهر إلى أربعة أقسام أو وحدات زمانية هى
الأسبوع (٤). يرى بعض المشعشع بالدراسات الأنثروبولوجية سببين لوجود هذه
الوحدة الزمنية

(١) شرح أشعار الهدلين ١/ ٤٥١

(٢) نيل قتيبة الأبناء ١٠٢ - ١٠٧ .

(٣) انظر من (٦٨) من الدراسة

(٤) نذكر بعض المصادر العلمية أن الشكل الأول للقمر يدوم نحو ٧,٥ يوم والشكل الثانى يدوم ٦,٧٥ يوم
والثالث ٧,٧٥ يوم والرابع ٧,٥ يوم فيكون المجموع ٢٩,٥ يوم وهذا هو طول الشهر القمري وطوله على
وجه البقعة يساوى ٢٩,٥ يوما

انظر جورج سارتون تاريخ العلم من ٢٢٨ ط ١٩٧٥ - انظر من (٦٨) من الدراسة

أحدهما، دينى ويتمثل فى الحاجة إلى تخصيص يوم منتظم من أجل العبادة الدينية.
ثانيهما : اقتصادى يتمثل فى الحاجة لتحديد يوم مكرر لإقامة سوق للبيع والشراء

تذكر المصادر العلمية أن البابليين كانوا أول من اصطلاحوا على أيام الأسبوع
العبعة وسموها بأسماء الكواكب السيارة : المربع mars عطارد mercury
المشتري Jupiter، الزهرة Venus رحل saturn بالإضافة إلى الشمس Sun والقمر moon (١)،
كما تشير هذه المصادر إلى أن الرومان الذين اتبعوا التقويم القمري قد حددوا أيام
السوق التى كانت تمثل الأسبوع على فترات ربع شهرية تختلف من شهر إلى آخر،
فإذا كان الشهر ثلاثين يوما كانت الفترات ربع الشهرية كما يلي : ٨، ٧، ٨، ٧ أيام،
أما إذا كان الشهر تسعة وعشرين يوما فإن الفترات ربع الشهرية تكون كما يلي :
٧، ٧، ٧، ٧، وقد استمر الرومان يسيرون على هذه الطريقة فى تقسيم أيام الشهر
حتى عام ٢٢١ عندما أعين الإمبراطور قسطنطين اعتناقه المسيحية وإلغاء فترة
الأيام الثمانية وإلغاء فترة الأيام السبعة فقط التى أصبحت تمثل الأسبوع الذى
عرهه المسيحيون عن اليهود (٢).

٤ - ٢ وإذا كان الأسبوع كوحدة زمانية ذات تقسيم سباعى يعود إلى أصل
كوكبى يتمثل فى دورة القمر الشهرية التى يظهر خلالها فى أربع حالات أو أشكال
فإنه يعود أيضا إلى أصل دينى (٣)، ويتمثل ذلك فى تحديد بدايته أو نهايته بأيام

(١) ملاحظ أسماء هذه الكواكب فى تسمية أيام الأسبوع فى بعض اللغات الأوروبية مثل الإسبانية كما يلي
ثلاثاء marts، الأربعاء miercoles و الخميس jueves و الجمعة viernes و السبت Sabado و الأحد
Domingo والإثنين Lunes والمرسمة كما يلي
mardi, mercredi, jeudi, vendredi, samedi, dimanche.

(٢) كيث إيروين ٣٦٥ يوما قصة التقويم من ١١٩ - ١٢١

(٣) ملاحظ الأصلين الكوكبى والدينى فى أسماء أيام الأسبوع فى بعض اللغات الأوروبية مثل الإسبانية والمرسمة
نظر لبعض السابق، كما ملاحظ ذلك بصورة مختلفة فى أسماء أيام الأسبوع فى الإنجليزية لأنها مشتقة من
أسماء الآلهة الإبحلو سكسون والإمكندفياين كما يلي يوم الإله ثيو T w ويمايل الثلاثاء Tuesday ويوم
إله ودى Woden ويمايل الأربعاء Wednesday ويوم الإله ثور Thor ويمايل الخميس Thursday
ويوم الإله فريج Frig ويمايل الجمعة Friday هذا بالإضافة إلى يوم الشمس Sun ويمايل الأحد
Sunday ويوم القمر moon ويمايل الإثنين Monday انظر كيث إيروين قصة التقويم ١٢٧ - ١٢٨
جورج سارتون تاريخ العلم ١٩٩ / ٥ انظر هامش ١ ص ١٤٦

مقدسة ترتبط بشعائر دينية مثل السبت والأحد والجمعة في الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام من ناحية (١)، وارتباط أيام الأسبوع بخلق العالم من ناحية أخرى، ويمكن أن نرى هذا التصور الديني لتقسيم أيام الأسبوع في القرآن الكريم (٢) في قوله تعالى ﴿وَقَدْ حَفِظَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ عَوْنِ رَبِّهِ ۚ إِنَّ رَبَّهُ كَمَا تَجِدُ فِي هَذَا التَّقْسِيمِ مُفَصَّلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ﴿قُلْ أَنْتُمْ تُكْفِرُونَ بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتُ الْبَشَرِ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ صَمَاءٍ مُرْسَلًا ۚ وَإِنِّي أَنَا عَالِمُ الْغُيُوبِ ۚ فَتَضَاهَىٰ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ صَمَاءٍ مُرْسَلًا ۚ لَدُنِّي مَصَاحِبٌ وَحَفِظَ ذَلِكَ بِقَدْرِ الْعَزِيمِ﴾ (فصلت: ٩٠ - ٩٢) بقول أبو حيان في تفسير هذه الآيات إن الله سبحانه خلق الأرض في يومين وقدر أوقاتها في يومين وخلق السموات والأرض في يومين ليكون المجموع ستة أيام (٣) كما يذكر ذلك أيضا تفصيلا معتمدا على حديث أبي هريرة في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤) (٤) قائلا «... الظاهر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعلى هذا الظاهر ففسر معظم الناس، وبدأ الخلق يوم الأحد (٥)، وفي صحيح مسلم : قال أبو هريرة. أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء (٦) وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها من الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه

(١) جاء لمثل السبت والجمعة في أكثر من موضع في القرآن الكريم يشير إلى هذه الأدلة الدينية

(٢) جاء ذكر الأيام في التوراة أيضا بالترتيب العدي عاينوم الأول يقاب الأحد واليوم السابع هو يوم السبت

انظر سفر التكوين الإصحاح الأول وسفر الخروج الإصحاح ٢٠ نمذ ١١

(٣) انظر المحيط ٧ / ٤٨٥

(٤) البحر المحيط ٤ / ٣٧

(٥) انظر الحديث صحيح مسلم كتاب صلاة الجمعة ٦ / ٦٥٨ ط اشعيب

(٦) قوله ﷺ خلق المكروه يوم الثلاثاء أي ما يقوم به الملائكة ويصنع به التدبير كالعهدي وغيره من

جوهر الأرض

السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الحلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة.... قال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ومجاهد : بدأ الخلق يوم الأحد وبه يقول أهل السورة وقيل يوم الاثنين وبه يقول أهل الإنجيل، ذهب بعض المعسرين إلى أن التقدير في قوله ستة أيام في مقدار ستة أيام ليست ستة الأيام أنصها التي وقع فيها الخلق، ويعلق أبو حيان على ذلك قائلا « إنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما يضمنه العقل وما لا يخالف الظاهر جملة، ويكون قوله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام مطابقا لحديث الثابت الصحيح وسقى ستة أيام على ظاهرها من العديدة من كونها أياما »

٤ - ٣ يبدو أن التصور الديني كان يقف وراء تمييز الجماعة العربية لأيام الأسبوع عدديا (١)، يقول ابن سيده « الأسبوع جماع الأيام المسبعة

الأحاديث : أولها بدليل التسمية وهمزته بدل من الواو والجمع آحاد.

الإثنين : ثابها كأنه تنية ، ثل وأله وصل كابن والجمع اثناء كإبناء.

الثلاثاء : ثالثها كدن حكمه الثالث ونكتهم صاغوه هكذا لمكان العلمية أو لجسسية المشاكسة للعلمية.

الأربعاء : رابعها بفتح الباء وكسرها والقول فيه كالقول في الثلاثاء.

(١) يذكر جورج سارتون أن قاعدة تمييز أيام الأسبوع عديدة قد أخذ بها اليهود والنصارى الأرثوذكس انظر تاريخ العلم ٥ / ٢٠٠ ، كما نجد بعض لغات تميز أيام الأسبوع بالعدد مثل المارسية - الأحد يكثيه ، الإثنين دوشبه الثلاثاء سه شبه الأربعاء - جهاز شبه ، الخميس بعشبه الجمعة أدبه السبت شبه كما نجد الألمانية تسمى أيامها كما يلي - الأحد Sonntag أي يوم الشمس الإثنين Montag أي يوم القمر الثلاثاء Dienstag أي يوم الجمعة - الأربعاء Mittwoch أي يوم منتصف الأسبوع لأنه يقع بين ثلاثة أسابيع وثلاثة لاحقة هي الخميس Donnerstag أي يوم الرعد ، والجمعة Freitag أي يوم الحرية أو الراحة والسبت Samstag المجموع من قولهم في الألمانية Allesamt نجد اليابانية تسمى أيامها كما يلي - الأحد Nichi - yobi أي يوم الشمس ، الإثنين Gesto - Yobi أي يوم القمر ، الثلاثاء Ka - Yobi أي يوم النار ، الأربعاء Sin - yobi أي يوم الماء ، يوم الخميس Yobi - moku أي يوم الخشب ، ويوم الجمعة Kin - yobi أي يوم الذهب ويوم السبت Do - yobi أي يوم التراب ، وبالأخذ أن هذه التسميات تعكس التصورات الدينية والثقافية لأصحاب كل لغة، انظر هامش ٣ ص (١٥٣)

الخميس خامسها حصده بعد الياء كالثلاثاء ولا ياء وك.
حكمه الخامس .

الجمعة - سادسها ليس من اللفظ العدد وإنما سمي به لاجتماع الناس فيه .

السبت - سابعها ليس من لفظ العدد أيضا وهو مأخوذ من قولهم سبت يسبت سبوتا أى سكن، وأصله أن الله تعالى قد خلق السموات والأرض لأحد وفرغ من خلقهن الجمعة، ولم يحق في السبت شيئا فكان الخلق قد سكنوا^(١) .

يقول ابن القيم «... لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصمة نفسه ولا معنوية لم يبق تمييزها إلا بالأعداد ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من عدد نحو الأحد والإثنين، أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بدر، ويوم المص، ويوم الجمعة لاجتماع الناس فيه، أو لأنه اليوم الذى جمع الخلق فيه واكتمل، والسبت بمعنى القطع لأن تخلق العالم كان في ستة أيام أولها الأحد وخاتمتها الجمعة ولم يخلق يوم السبت شيئا^(٢) .

لقد ذكرت كثير من مصادر اللغة والأدب والتاريخ والتفسير أيام الأسبوع المعروفة والمندولة بيننا الآن ولكنها لم تذكر متى كان ظهورها، أكان ذلك في مكة قبل الهجرة أم بعد الهجرة إلى المدينة، وعلى ما يبدو أن هذه الأيام التى بنيت بأسمائها وترتيبها على قصة الخلق كانت معروفة لدى الجماعة العربية كما رأينا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ، فقد جاء لفظ السبت في آية مكية من سورة النحل المكية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَعَلَ السَّابِتَ عَلَى الَّذِينَ احْتَفَلُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيمًا كَانُوا فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴾ (النحل : ١٢٤) . وهذا يعنى أن أهل مكة كانوا يعرفونه، كما لم يأت لفظ الجمعة إلا في سورة مدنية هي سورة الجمعة وفي

(١) المحقق ٩ / ١٢ .

(٢) بدائع الموائد ١ / ٨٤ .

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ (الجمعة : ٩٠) ، وللفظ نطقان الجمعة بصم الميم وهو الأشهر وعلى ذلك يكون اللفظ صمه لليوم الذى يجتمع فيه الناس ويجمع على جمع وجمعات والبطق الآخر هو بسكون الميم وهو الأصل^(١) ، وكان هذا اليوم يسمى عروبة، وتذكر بعض المصادر أن عروبة لم يسم جمعة إلا بعد الإسلام وذلك أن الأنصار قالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فهلما نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة لنا، فاجتمعوا إلى سعد بن زبارة الأنصارى فصى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة، إلا أن بعض المصادر الأخرى تذكر أن أول من سماه بهذا الاسم كعب بن لؤى جد الرسول ﷺ الذى كان أول من جمع يوم عروبة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم^(٢) .

٤ - تشير كثير من مصادر اللغة والأدب إلى أن الجماعة العربية قد عرفت أسماء أخرى لأيام الأسبوع نطقت بها العرب العاربة^(٣) وهى :

أولاً : يقابل الأحد سمي بذلك لأنه أول أعداد الأيام .

أهـون - يقابل الإثنين مأخوذ من الهون وسمى أهـود أيضا مأخوذ من الوهدة أى المكان المنخفض لانخفاضه عن اليوم الأول .

جـار - يضم الجيم يقابل الثلاثاء سمي بذلك لأنه جبر به العدد .

دبـار : يضم الدال يقابل الأربعاء سمي بذلك لأنه دبر ما جبر به العدد .

(١) الناس جمع

(٢) البحر المحيط ٨ / ٢٦٧ ، صبح الأمشى ٢ / ٣١٣

(٣) يعنى المروقي حكاية شعبية لتسمية هذه الأيام فيقول : « ذكر أصحاب السير أن أولاد نوح عليه السلام عرموا على السير في الأرض ليروها فبدأوا يسميهم يوم الأحد فسمى الأول لما كان اليوم الثاني كان السير أحف وأهون من الأول فسمى الإثنين أهون ، وسمى الثلاثاء جبار لأنهم جبروا ما حصوه من سيرهم أو لأنهم جبروا ما تشعب من أحوالهم ، والأربعاء دبار لأنهم أدبروا ، أو عبروا طريقهم لجبال حجرتهم وسمى الخميس مؤنس لما رأوا ما أنعمهم ولجمعة عروبة لأن كلمتهم اجتمعت وبأن لهم من الرأى ما كان خافيا فتعربوا ونصموا » الأرملة والأمكنة ١ / ٢٧١

مؤنس : يقابل الخميس سمي بذلك لأنه كان يؤنس به ليركته .

عروبة : يقابل الجمعة سمي بذلك من قولهم أعرب إذا أس .

شبار : بفتح الشين وكسرهما أيضا واللفظ مأخوذ من قولهم شرت الشيء إذا استخرجته وأظهرته بمعنى أنه استخرج من الأيام التي وقع فيها الخلق ،^(١) وقد جاءت هذه الأسماء في قول النابغة^(٢) :

أؤمل أن أعــــــــــــــــيش يوماً لأول أو لأهون أو حــــــــــــــــبار

أو التــــــــــــــــالي دبار هــــــــــــــــان أهــــــــــــــــته همؤنس أو عروبة أو شــــــــــــــــبار

٤ - ٦ نلاحظ أن لفظ الأسبوع الذي يشير في دلالته إلى جماع أيام الأسبوع

مشتق من العدد سبعة وعلى ما يبدو أن الجماعة العربية قد استعملت اللفظ أيضا

بدلالة العدد، جاء في الحديث : أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت أسبوعاً ، أي سبع

مرات^(٣)، كما استعملت اللفظ بدون ألف بدلالة الأيام السبعة، جاء في حديث مسلمة

بن جندبة. إذا كان يوم سبوعه^(٤) ، يريد يوم أسبوعه من العرس بعد ستة أيام.

كما نجد العدد سبعة تستعمله الجماعة العربية للإشارة إلى الأسبوع، جاء

في الحديث أن الرسول ﷺ قال: « لبكر سبع وللثيب ثلاث »^(٥) أي إذا تزوج الرجل

بكراً أقام عندها سبع ليال، وإذا تزوج ثيباً أقام عندها ثلاثاً، ومن هذا لتقيل قولهم

سبع مولود أي خلقوا رأسه وذبحوا عنه لسبعة أيام، وأسبعت المرأة وسبعت أي مر

عني ولادتها سبعة أيام أو وضعت حملها لسبعة أشهر^(٦).

ويذهب أحد الباحثين^(٧) اعتماداً على ما جاء في سمر التكوين الذي وصف

(١) انظر أسماء هذه الأيام قبلرب الأرمية ٢٦ - ٢٧ . العراء الأيام والليالي ٦، المخصص ٩ / ١٠١ لأرميه

والأمثلة ١ / ٢٦٩ المفسر ٣ / ٢٦٤

(٢) مفسر ٢ / ٣٦٥ . (٣) النهاية ٢ / ٣٣٦

(٤) النهاية ٢ / ٣٣٦ . (٥) المصنف ٢ / ٣٣٥

(٦) استعملت الجماعة العربية لفظ السباعي للإشارة إلى ما يقع طوله سبعة درع وسبعة شب . كما سمي
لظيم الطويل من الإبل السباعي أيضا . لاحظ استعمال هذا اللفظ في أسماء لأعلام السماء سبع
(٧) د . سليمان أبو عويش عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي من ٣٦٦

السبت باليوم السابع^(١) إلى أن ثمة علاقة بين لفظي السبت Sabr وسبعة في
العربية ولفظ Sept ولفظ Seven في الفرنسية والإنجليزية^(٢) مع ملاحظة سقوط
صوت العين الذي لا تعرفه اللغات الأوربية، وهذا يؤكد من وجهة نظره دلالة
العندية سبعة ليوم السبت، ولكن إذا كان هذا يتم والنسب العددي لسبت فإنه لا
يتفق والأصل الاشتقاقي له في العربية^(٣) والعبرية^(٤) واللغات الأوربية التي اشتقت
أسماء الأيام من أسماء الكواكب التي حمل بعضها اسم الآلهة القديمة^(٥)، فالسبت
في الإنجليزية Saturday مشتق من اسم كوكب زحل Saturn المشتق من اسم الإله
سبترن Seterne

٥ - ١ اليوم : يمثل القسم الخامس من التقسيم الحساسى لأوقات الزمان
بعد السنة ولفصل ولشهر والأسبوع، وهو في عرف الجماعة العربية يبدأ من
غروب الشمس وينقضى عند غروبها مرة أخرى ويدل ذلك يشمل الليل والنهار^(٦)

(١) نصر سمر التكوين لأصبح نشأ الأيام ٢ - ٥

(٢) عتمد الباحث في هذا يصرح على ما عرف عن التقويم الروماني فين التعديل الذي أدخله قيصر على هذا

تقويم سى كان يبدأ السنة الجديدة بشهر مارس حيث كانت الشهور في هذا التقويم تحمل أرقاماً بدلا

من الأسماء ، فكان الشهر الخامس Quintilis الذي سمي فيما بعد باسم يوليوس قيصر July وكان

شهر السادس sextilis الذي بقي كما هو ، والشهر الثامن october ولشهر التاسع November

و شهر العاشر December لاحظ الأرقام Sept, Neuf, Dix في الفرنسيه وعلاقتها بالأرقام

وأسماء الأشهر الرومانية- انظر جورج سارون المص ٥ / ١٨٥

(٣) يشير المعجم لعربي إلى أن لفظ السبت مشتق من السبت بدلالة : لقطع ومن ذلك السبت بمعنى العمل لأنه

مقطع من الجذ. ونسبت قطعة من الرمان ، أو لأن لحق بدأ يوم الأحد إلى يوم الجمعة وانقطع أو سكن

يوم نسبت بهذا كان أنيهود يسمعون فيه عن العمل والتصرف ، وقيل إن اللفظ مشتق من السبت بمعنى

سكون والراحة ومن ذلك السبات انظر قوله تعالى : « هو هو الذي حمل لكم الليل ليلاً والنوم سباتاً » (لمرقان

٤٧) أي سكوناً وراحة، أو قطعاً لأعمالكم

(٤) يشير المعجم العبري إلى أن لفظ السبت Sabbat يعني لكس عن العمل أي الراحة
انظر معجم هوجس ط مكتبة ابحاث بيروت ١٩٨٧ . انظر معش ٢ من ١٥٢

(٥) هناك من يبدأ ليوم يطلوع الشمس ويختمه بطلوعها من ليوم تقابل وهو مذهب الروم والعرب انظر
لنابغة ٣ / ٣١

(٦) يرى لفظه أن اليوم عبارة عن ليل نهار دون ليل نهار قال أحدهم لزوجته . أنت مثلي يوم يقدم هلال تقدم
ليلاً لم يقع الطلاق على الصحيح

الذين يكونون متساويين في المقدار تارة ومختلفين تارة أخرى^(١)، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْرًا﴾ (ال عمران ٤١)، المراد ثلاثة أيام وليبيها^(٢) وسدل على ذلك قوله تعالى ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ نَكَلِّمَهُ سَاسَ ثَلَاثَ يَافِ سَوِيًّا﴾ (مريم ١٠).

وكما اصططلحت الجماعة العربية على اليوم بهذه الدلالة اصططلحت أيضا على تسميته اليوم الماضي بلمط أمس ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَهَا أَقْرَبُ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس ٢٤)، وتسمية اليوم الآتي بلفظ غدا ومن ذلك قوله تعالى ﴿رُسُلُهُ مَعَا عِدَا يَرْتَعُ وَبَلَعُ وَإِنَّا لَهُ نَحَافُطُوبُ﴾ (يوسف ١٢)، يقول ابن القيم: «... عُرِفَ اليوم بِأداة العهد لأن لا شيء أعرف من يومك الحاضر فانصرف إليه، ونظيره الآن من أن والساعة من ساعة، وأما أمس وغدا فلما كان كل واحد منهما متصلا بيومك اشتق له اسم من أقرب ساعة إليه فاشتق لليوم الماضي أمس، والملاقى للمساء وهو أقرب إلى يومك من صاحبه أعنى صباح عد فقالوا أمس، وكذلك اشتق الاسم من الغدو، وهو أقرب إلى يومك من مصائه أعنى مساء غد وتأمل كيف يوا أمس وأعربوا غدا لأن أمس صيغ من فعل ماض وهو أمسى ولذلك نبي، ووضعوا أمس على وزن الأمر من أمسى يمسى، وأما الغد فبه لم يؤخذ من مبنى إذ لا يمكن أن يقال هو مأخوذ من غدا كما يمكن أن يقال أمس مأخوذ من أمسى بل أقصى ما يمكن فيه أن يكون من الغدو والغدوة وليستا بمبنيتين^(٣).

يقول المرزوقي: «اعلم أنهم يتوسعون في ذكر اليوم واللييلة، فيقولون هلان اليوم بعد من الرؤساء وكان الأمر كذا، يعنون بذلك مطلق الزمان»^(٤)، كما يقول

(١) يتساوى الذين والنهار إذا كانت الشمس في أول برج الحمل أو برج الميزان ويكون ذلك في الانقلاب لربيعي ويكون النهار أطول من الليل إذ كانت الشمس في نصف النصف الشمالي وهو الحمل إلى آخر السبعة ويكون الليل أطول من النهار إذا كانت الشمس في نصف الملك الجنوبي وهو الميزان إلى آخر الحوت

(٢) البحر المحيط ٢/ ٤٥٢

(٣) ابن القيم بدائع الفوائد ١/ ٨٦

(٤) الأربعة والأمكنة ١/ ١٥٠

أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَمُوتُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النساء ٣٠) قال الزحاج لم يرد يوما بعينه، وإنما المعنى يموتون كما تقول أنا اليوم قد كبرت، واتع الرمحشري الزحاج فقال: اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الرمان الحاضر وما يتصل به ويدنيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك كنت بالأمس شائبا، وأنت اليوم أمشيب، فلا تزد بالأمس الذي قبل يومك و لا باليوم يومك^(١) ومن هذا التقيل أيضا دلالة لفظ أمس على مطلق الزمان الماضي في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى نُزِدتُ أَن نَكُنِّي كَمَا كُنْتَ بِالْأَمْسِ﴾ (قصص ١٠) ودلالة لمط عد على مطلق زمان مستقبل في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيُنْظَرْ فَنُصْرًا مَّا قَدِمْتُ لَعْنَةً﴾ (حشر ٨)

وقد عبرت الجماعة العربية باللييلة عن اليوم، من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَعِدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة ٥١) يقول أبو حيان «أربعين ليلة ذو الحجة وعشر من المحرم، أو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة... وكان تفسير الأربعين بلييلة دون يوم لأن أول لشهر ليلة الهلال ولهذا أرخ بالليالي واعتماد العرب على الأهلّة فصارت الأيام تنعنا لليالي أو دلالة على مواصلته الصوم ليلا ونهارا، لأنه لو كان التفسير باليوم أمكن أن يعتقد أنه كان ينظر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه واصل أربعين ليلة بأيامها»^(٢)، كما يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَجْرُ﴾ (يونس ١٠) «البحر ٢٠١» أراد بالليالي العشر الأيام العشرة من ذي الحجة أو العشر الأولى من رمضان»^(٣).

٥ - ٢ النهار: عرفت الجماعة العربية اليوم وحدة زمانية تبدأ من غروب الشمس إلى شروقها مرة أخرى، كما ميزت بين شطريه بلمط النهار والليل، يبدأ أولهما بطول نصف قرص الشمس من المشرق إلى غيباب قرص الشمس من المغرب ويبدأ ثانيهما بغروب الشمس واستئثارها إلى طلوعها وظهورها في الأفق مرة أخرى.

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٦٥

(٢) البحر المحيط ١/ ١٩٩

(٣) البحر المحيط ٨/ ١٦٨

يقول أبو هلال العسكري « الصرّ بين النهار والنوم منحصر في كون النهار اسماً للصياح المنصاح للظاهر لحصول الشمس بحيث ترى عينها أو معظم ضوئها » ^(١) ويقول المرزوقي: « قال النحاة: إذا قلت سرت يوماً هانت مؤقت فريد مبلغ ذلك ومقداره، وإذا قلت سرت اليوم أو يوم الجمعة هانت مؤرخ، فإذا قلت سرت نهاراً والنهار فاست بمؤرخ ولا بمؤقت وإنما المعنى سرت في الصياح المنفسح ولهد يضاف النهار إلى اليوم فيقال سر نهار يوم الجمعة ولهذا لا يقال للعلى والسحر نهار حتى يستضاء الجو » ^(٢).

كما يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار... ﴾ (البقرة: ١٦٤) «... النهار في طلوع الفجر إلى غروب الشمس يدل على قوله ﷻ تعدي. » إنما هو بياض النهار وسواد الليل، يعنى قوله تعالى: ﴿ وَكُنُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسِيْلَ لَكُمْ بَحِيطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧) وظاهر اللمعة أنه من وقت الإسفار، قال البصر من شميل ويعلم أول النهار طلوع الشمس، زاد البصر ولا يمد ما قبل ذلك من النهار، قال الزجاج في كتاب الأنواء: « زور الشمس، قال ابن الأنباري: من طلوع الشمس إلى غروبها، ومن الفجر إلى طلوها مشترك بين الليل والنهار، والنهار جمعه نهر وأنهره، وقيل النهار ممرّد لا يجمع لأنه بمنزلة المصدر كقولك الصياح يقع على القليل والكثير ويمال رجل نهر إذا كان يعمل في النهار وفيه معنى النسب » ^(٣).

٥ - ٣ الليل: الظلام الذي يبدأ من غروب الشمس واستمرارها إلى طلوعها أو ظهورها مرة أخرى، والليل جنس للواحد، ومنه قالوا الليلة تمييزاً للعدد والجمع الليلي وهو يقابل النهار، كما أن الليلة تقابل اليوم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (مصلح: ٣٧).

(١) لمروق في اللغة ٣٦٦.

(٢) الأرملة والأمة ١/ ١٦٨.

(٣) ينظر لنهاية إلى النهار باعتبارين طبيعى وشرعى فالطبيعى من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق إلى غيبوبة نصفها في الأفق في المغرب والشرعى من الفجر الثاني وهو التراد بالبحيط الأبيض إلى غروب الشمس وبذلك تتفق الأحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرها.

يعتبر الليل الرمز الأول لتحديد الأوقات لدى كل الشعوب تقريباً حيث يحسب الوقت بالليالي وليس بالأيام. يقول المرزوقي أعلم أنهم كانوا يبدأون الأوقات بالليل كما كانوا يبدأون الأمان بالشتاء، ولذلك صار التاريخ دون النهار، وإنما كان كذلك لأن الظلام الأول ولاصياح داخل فيه ^(١)، لقد اعتقدت الجماعة العربية بأن الظلام يقترب بالسكون والصوت يقترب بالحركة، وإذا كان السكون سابقاً للحركة فإن ليل سابق لنهار، يقول أبو حسان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَشَ آبَاءَهُمْ وَأَخْرَجَ أَبْنَاءَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (سجدة: ٢٩) « أعطش أى أظلم، وأخرج أبرز ضوء شمسها، كقوله تعالى: «والشمس وضحاها»، وقولهم وقت الضحى الوقت الذى تشرق فيه الشمس وأصيف الليل والضحى إلى السماء لأن الليل ظلامها والضحى هو نور سراجها » ^(٢) ويقول المرزوقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ لَنُثَلِّسَنَّ لَهُمُ الْبُيُوتَ الَّتِي هُمْ فِيهَا يَكُونُونَ ﴾ (سجدة: ٢٧)، أى بحرحه إحراحاً لا يبقى منه شيء من ضوء النهار لأن المسلوح منه يكون قبل المسلوح كما أن المغطى يكون قبل العطاء ومن ذلك قولهم سخّنت الشاة إذا أخرجتها من إهابها أى بزعت عنها جلدها، وفى هذا دلالة على مذهب العرب من أن الليل قبل النهار ^(٣)، كما يقول في موضع آخر: « غلبت العرب الليالي على الأيام فى التاريخ فقل كتبت لخمس خلون من شهر كذا، وأنت فى اليوم لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وإنما ولدته، ولأن الأهل لليالي دون الأيام وفيها دخول الشهر، ولذلك ما ذكرهما لله تعالى إلا وقدم الليالي على الأيام انظر قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ (الحاقة: ٧٠) وقوله تعالى: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِينَ ﴾ (سجدة: ١٨)، ويقول فى موضع آخر: قدم الله سبحانه الليل فى رتبة الذكر ورتبة الوصف فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لِبَاسًا * وَجَعَلَ الْهَارَ مَعَاشًا * سَبَّحُكُمْ * فَدَرَسَهُ * مَذْكُورًا * طَهَّرَهُ * مِنَ التَّلَاوَةِ * كَمَا نَرَى * وَرَتَبَهُ * الْوَصْفَ * مِنْ أَنَّ الْبَاسَ * مَقْدَمَ عَلَى الْمَعَاشِ * فِي التَّصْرِيفِ * ^(٤).

(١) الأرملة والأمة ٢/ ٢٧٤.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٣٣.

٢ لأسرة والأمة ٢٠.

٤ لا منه والأمة ١/ ١٦٥.

لقد اعتقدت الجماعة العربية أن الليل قبل النهار والظلمة قبل النور^(١) ولهذا كان النور هو الذي يفتش الظلام، والنهار هو الذي يهجم على الليل، يقول الطبري «بين في مشاهدتنا من أمر الليل ونهار وما نشاهده دليلا يبين على أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره»^(٢) ونرى هذا التصور في قول المرزوقي^(٣) :

والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبه نهار استعار الصباح للنهار لأن الليل أخذ في الإدبار وصار النهار كأنه هازم والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم ومن ذلك قول الشاعر :

ولاقت بأرجاء البسيطة ساطعا من الصبح لما صاح بالليل نورا

ولعل هذا التصور جعلهم أيضا يؤثثون الليل ولا يؤثثون النهار، وتجد ابن العربي يفسر الأعمال التي ارتبطت بلفظي الليل والنهار تفسيراً جنسياً^(٤) في مثل قوله تعالى ﴿نُعْثِي لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِثٌ﴾^(٥) وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ لَيْلًا فِي نَهَارٍ﴾ نفس ٢٩ وقوله تعالى ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى نَهَارٍ﴾ (سمر ٥)

لقد جمعت الجماعة العربية بين الليل والنهار كمادتها في كلامها من الجمع بين الاسمين أو تغليب أحدهما على الآخر فقالت : الجديدين والأجدان والملون، والردعان، والأبردان والفتيان^(٦).

٦ - ١ الساعة : استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الجزء ليل من اليوم^(٧)، يقول المرزوقي : إذا قل قائل : ما رأيته منذ مدة من يومى، علم أن ذلك

(١) يقول القفطى إن الناس يختلفون في ذلك فهناك من يقدم الليل ويمتدح اليوم بعروب الشمس ، ومنهم من يقدم نهار على الليل فيصيح يوم بصوح شمس ويحكى أن الاسكندر سأل بعض الحكماء عن ليل ونهار أيهما قبل صاحبه فقال هما في دائرة واحدة ، والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر ولا أعلى ولا أسفل انظر صبح لأعشى ٢ / ٢٤٠ .

(٢) اللسان ليل

(٣) تاريخ الأمم والملوك ١ / ٣٢ .

(٤) رسائل ابن العربي أيام الشار ٧ / ١٦ .

(٥) قطر الأرملة وتلبية الجاهلية ٥٨ ، المخصص ٩ / ٥٦ من (٢٠١) من الدراسة

(٦) يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن العرب في الجاهلية كانوا قد قسموا النهار إلى اثني عشرة ساعة والليل اثني عشرة ساعة أي أنهم عبروا اليوم أيضا وعشرين ساعة انظر جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ / ٢٩٨ .

ساعة أو ساعات، وإذا قال قائل : ما رأيته منذ مدة من عمري، علم أن ذلك سنة أو سنوات^(١)، ويقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف : ٣٤) ، قال سبحانه ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة، يريد في أقصر وقت قبله الرمحشري، وقال ابن عطية : لفظ على به الجزء القليل من الزمان^(٢)، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُحْرَمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم : ٥٥) قال امرؤ القيس^(٣) :

ساعة ثم انتحاهما وأبل ساقط الأكناف واه منهمر

وقال الهذلي^(٤) :

هلم بك ساعة حتى تركنا مباعتهم كبلقمة لعرب

ونقرأ في لسان العرب أنه كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها القلعة يغيرون فيها وهي آخر ساعة من آخر يوم من جمادى الآخرة^(٥)

وكما رأينا استعمال ألفاظ اليوم، والأمس، والعد، بدلالة الزمان المطلق نجد لفظ الساعة أيضا يستعمل بمعنى دلالة في مثل قوله تعالى ﴿لَيْسَ نَحْنُ فِي سَاعَةٍ أَلْعُرَّةِ﴾ (التوبة : ١١٧) يقول أبو حيان في تفسير الآية : ساعة العسرة أي في وقت العسرة والساعة مستعارة للزمان المطلق ما استعاروا العدة والعشية واليوم^(٦)، وعلى ما يبدو أن لفظ الساعة ارتبط بالجزء المضيء من اليوم وهو النهار في مقابل لفظ ليلي الذي ارتبط بالجزء المظلم من اليوم وهو الليل انظر قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَنَّهُمْ يُنتَظَرُونَ﴾ (سمر ١٥) وقوله تعالى ﴿يَتَوَنَّى بِلَهِّ سَاعَةٍ﴾

(١) الأرملة والأرملة ١ / ٣٦٢

(٢) الديوان ١٤٩

(٣) بالسن قلت .

(٤) البحر المحيط ٥ / ١٠٨

(٥) البحر المحيط ٤ / ٢٩٢

(٦) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٧٧١

لَيْلٍ وَهُمْ يَسْتَحْدُونَ ﴿١١٢﴾ (ال عمران - ١١٢) نجد لفظ الأثناء بدلالة أجزاء من الليل في مقابل ساعات بدلالة أجزاء من النهار والواحد منها إنني كمعنى وأنني كصبي وأنني كمعنى وأتو كجرو، وقد جاء في قول الهذلي (١) :

حَلَوُ وَمَرُّ كَعَطْفِ الْقَبِيحِ مِرَّتَهُ يَكُلُ إِنِّي حَذَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ
ومثل الإنى الرُّقعة التي ينص المعجم على أنها جزء من الليل والجمع زلف، وقيل إن الزلف الساعات الأولى أو الأخيرة من الليل (٢)، وقد جاء اللفظ في قوله تعالى ﴿رَأَيْتُمْ لَصَافَةَ صَرَفِي أَهْرُورُفًا مِنْ سُلٍّ﴾ (رمز - ١) يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية : قال ثعلب : الزلف أول ساعات الليل وأناؤه وكل ساعة زلفة ومتها سميت المردعة قال الحجاج :

بَاحِ طَوَاهِ الْأَيْنِ مِمَّا وَجَفَا طَى اللَّيَالِي زَلْفًا مَزَلَفَا
والزلف صلاتا المغرب والعشاء، وطرفا النهار : صلاتا الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار (٣)، وإلى جانب ألفاظ الساعة والإنى والزلفة نجد ألفاظا أخرى مرادفة مثل : الرُّوْبة بدلالة الساعة من الليل، ولُتْوَة بمعنى الساعة من الليل أو النهار، من ذلك قول الشاعر (٤) :

فَمَاصَتْ دَمُوعِي نَوَّةً ثُمَّ لَمْ تَمُصْ عَلَيَّ وَقَدْ كَادَتْ لَهَا الْعَيْنُ تَمْرَحُ
٦ - ٢ ساعات النهار : اصططلحت الجماعة العربية على ألفاظ سمّت بها ساعات النهار، منها

الفجر - استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة أول أوقات النهار واللفظ مشتق من الانفجار، تقول فُجِرَتِ المَاءُ وأفجرتة فجرا فاجسر أي خرج بعد انحباس وكان النور قد خرج في هذا الوقت بعد انحباسه بالظلام.

(١) شرح أشعار الهذليين ٣/ ٢١٨٢ .

(٢) اللسان زلف .

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٦٥ ، ٢٧ .

(٤) اللسان روب

وقد سمي أيضا الفلق بمعنى معبوق لأن الطلّام سبوق بالبور، والفلق الشق نصمين، وكان الفلق بهذا المعنى شق أو صدع بين الليل والنهار، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق - ١) الفلق الصبح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وفي المثل : « هو أين من فلق الصبح » (١).

قال الشاعر (٢) :

يَا لَيْلَةً لَمْ أَنْهَاطِ مَرْتَقِبًا أَرَعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ قَدَّرَ الْمَقْ
وقد ميرت الجماعة العربية بين وقتين للمجر :

المجر الكاذب أو المستطيل وسموه بنسب السرحان لاحتلاط الأسود بالبياض.

المجر الصادق أو المستطير سموه بذلك لانتشار ضوء النهار، قال الهذلي (٣)

شَعَفَ الْكَلَابُ الصَّارِيَاتِ فَوْذَهُ فَلَمَّا يَرَى الصُّبْحَ الْمَصْدُوقَ يَمْزَعُ

قال أبو سعيد في شرح البيت : « الصبح المصدق المصبي، يقال : فجر صادق وفجر كاذب »

وقد سمي في القرآن الكريم بالحيطين الأسود والأبيض على التشبيه في قوله تعالى ﴿وَكُنُوزُهُمْ فِي بُحَيْرٍ الْأَبْيَضِ وَبَحَيْرٍ الْأَسْوَدِ﴾ (الحجر - ٦٤) يقول ابن الأثير : يسمى سواد الليل الحائض بالحيط الأسود، ويسمى لبياض المستطير بالحيط الأبيض، ويسمى الممتزج بينهما بالبريم وهو حيط يمثل من خيطين أحدهما أسود والآخر أبيض شبه به ضوء الفجر المختلط بالظلمة (٤).

الصبح : والصبح والإصباح وقت الدخول في ضوء النهار، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا الْإِصْبَاحَ وَحَمَلَ النَّارُ سَكَا﴾ (الأنعام - ١٠) فالق الإصباح مصدر سمي به الصبح، قال امرؤ القيس :

(١) البحر المحيط ٨/ ٥٢ .

(٢) لسان فجر فلق .

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٦ .

(٤) الأرمه والأبواء ١١٤

ألا أيها الليل الطويل ألا اجلجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل
ومعناه فائقه عن بياض النهار .. قال مجاهد - الإصباح إضاءة الفجر وقيل من
عباس : الإصباح ضوء الشمس بالنهار وصوء القمر بالليل ^(١) ، وقد استعملت
لجماعة العربية لفظ الصباح في مقابل المساء ، وجاء النقطان بمعنى الدحول في
الوقتَيْن في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (سورة النور ١٧) ، وقالوا
للمصبح أيضا السفر بفتح السين والماء ، قال الأحنف ^(٢) .

إنى أبيت وهم المرء يبعثه من أول الليل حتى يفرج السفر
جاء في الحديث : « أسعروا بالمجر فإنه أعظم للأجر » ^(٣) أى أخروها إلى
مطلع المجر الثابى عندما يكتشف الصوء ، من ذلك قولهم : سمرت المرأة كشميت
البقاب عن وجهها وقيل : السمر سفران سمر الصبح وسمر المساء الذى يكون فيه
بضية من بياض النهار بعد مغيب الشمس .

العادة : أول الصباح أو النهار والجمع عدوات ، و العدو وجمعها عدى تقول
عدا عدوا ، واغتدى يعتدى اغتداء بكر فى القيام أو العمل أو السير ، جاء فى
الحديث : « لعدوة أو روحة فى سبيل الله » ^(٤) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرُسُلُيْمَانِ
الرَّيْحَ عُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سورة النمل ١٢٠) العدو المرة من العدو السير فى أول النهار
نقيض الرواح .

والعدو الذهاب والسير فى هذا الوقت والذهاب مطلقا أيضا ، والقادية
السحابة التى تنشأ فى ذلك الوقت ، والغداء الطعام الذى يؤكل فى ذلك الوقت أيضا ،
ومنه قوله تعالى ﴿ عَسَىٰ أَمْرًا لَّعَدَّةً أَسْعَدَاءُ ﴾ (سورة النمل ٦٢) جاء اللفظ فى لقرآن
فى مقابل لفظ لعشى فيقول تعالى ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (سورة النمل ٥٢) وفى

(١) البحر المحيط ٥ / ٥٣٠ واللسان صبح

(٢) اللسان صبح

(٣) النهاية ٢ / ٣١٦ واللسان صبح

(١) النهاية ٢ / ٣٣٢ واللسان صبح

(٢) اللسان بكر

(٣) اللسان صبح

مقابل لفظ لأصين فى قوله تعالى ﴿ يَسْجُدْ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْوَاصِ ﴾ (سورة النمل ٢٥) ، وقد
سمت الجماعة العربية العداء الباردة سيرة يفتح السين وسكون الباء ، والجمع
سيرات ، جاء فى الحديث : « إسباغ الوضوء فى السيرات » ^(١) .

المكثرة : استعملت الجماعة العربية اللفظ لأول النهار والصباح ، والعرب تقول
لأول كل شيء باكورة كالثمر ، والبكر بفتح الباء الفتى من الإبل أصله التقدم فى
الزمان ، وكذا البكر من النساء الصغيرة عكس الثيب الكبيرة ، وعلى ما يبدو أن
لعرب قد أحست بكورة الأشياء وأحرت ذلك على الوقت الذى يأتى مع أول الضياء .
والمكر الذى جاء فى أول الوقت ^(٢) . جاء اللفظ فى القرآن مقابل للمشى والأصيل
فى قوله تعالى ﴿ نَسِجَ الْكُفْرَ وَغُنَّ يُرِيمُ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ وَسَحَرَهُ بِكَرَّةٍ
وَأَصْلًا ﴾ (الأحراب ٤٢) .

الصحن : استعملت الجماعة اللفظ اسما للوقت الذى يرتفع فيه النهار أو
يظهر فيه ضوء الشمس ساطعا ، واللفظ يرتبط فى أصله الاشتقاقى بالبروز
والظهور ، ومن ذلك قولهم : صاحبة البلد لساحتها الباررة ، وصحن الطريق ظهر ،
وصحن الرجل تعرض للشمس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا
تَصْحَى ﴾ (طه ١١٩٠) أى لا تصيبك حر الشمس ، صحن غمه أى رعاها فى ذلك الوقت
أى من بين الصبح والظهر ، وصحن بالشاة أى نصحها فى ذلك الوقت ^(٣) وجاء اللفظ
مقابل الليل فى قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى ﴾ (الليل إذا سجد) (السجدة ١) .

الظهيرة : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لوسط النهار ، واللفظ
مأخوذ من الظهور تبديه الشمس لنورها وحرها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ
تَصْنُونَ بُيُوتَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ (النور ٥٨) وقول زهير :

ورد القيان جمال الحى فاحتملوا إلى الظهيرة أمر بينهم ليل
تقول أظهر أى دخل وقت الظهر كأصبح وأمسى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبِهِ
لَحِيدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (سورة ١٨) ومن ذلك قولهم الظهيرة
بمعنى ورد الإبل للماء كل يوم نصف النهار^(١).

لهاجرة - استعملت الجماعة العربية اللفظ اسماً لنصف النهار ومعنى الوقت
بذلك لأن السير بهجر فيه، والهجرة وقت اشتداد الشمس يقول عمرو بن قميئة:
وهاجرة كأوار الحاحيم قطعت إذا الحندب الجون قالاً

الهجير أيضاً كالهجرة، جاء في الحديث أنه ﷺ كان يصلي الهجير حين
تدحض الشمس^(٢) أراد بصلاة الهجير صلاة الظهر، وقيل الظهيرة قبيل نصف
النهار والهجرة بعد زول الشمس.

القائلة: والقيولة استعملت الجماعة العربية لتعطين بدلالة وقت الاستراحة
نصف النهار وإن لم يكن فيه يوم، تقول قال يقيل فيلاً سترأح أو نام في نصف
نهار، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ هُكِّهَ فَجَاءَهَا بَأْسٌ بَيِّنٌ أَوْ هُمْ فِي نَفْسٍ
(لأعراف: ٤) أى مستريحون وقت الظهيرة والمقيل مكان القيل أى الذى يستريح فيه
لقائى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ نُحْةٍ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ وَخَيْرٌ مُمِيلًا﴾
(الفرقان: ٢٤)، وقالت العرب أيضاً اقتال: أى شرب نصف النهار، والقيل: ليلن الذى
يشرب وقت القائلة، وتقبل الناقة: حلباً وقت القائلة^(٣).

الفائرة: اللفظ، مأخوذ من قولهم: غار النهار، اشتد حره، والفائرة نصف
النهار مثل لقائه تقول عور لقوم معوير، والمعوير اليوم فى ذلك الوقت تقول عور
القوم قالوا بمعنى الاستراحة أو النوم فى ذلك الوقت، يقول ذو الرمة^(٤):

(١) النصارى ظهر

(٢) للسان هجر والمزوى ١/ ٢٢٣ .

(٣) النهاية ٥/ ٢٤٦

(٤) اللسان قول

(٥) للسان عور

نزلنا وقد غار النهار وأوقدت علينا حصى المعراء شمس نالها
الزوال - استعملت الجماعة العربية اللفظ اسماً لوقت الظهيرة أى انتصاف
النهار بزوال الشمس عن كبد السماء، ومن ذلك قولهم زال رائل الظل بمعنى قام
قائم الظهيرة، جاء فى الحديث أنه ﷺ صلى الظهر حين زالت الشمس وكان المعنى
بقدر الشراك^(١) أى عندما تزول ويصير للشخص فيه يسير قدر الشراك، وقدره
ها هنا ليس على معنى التحديد ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل مد يرى من
الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

العصر: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسماً للوقت الذى يصير فيه ظل
كل شيء مثله، ويكون ذلك قبل غروب الشمس، وبهذا الوقت سميت الصلاة الوسطى
فى قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (سورة ٢٤) لأنها تقع بين
صلاتى المغرب وظهر والمغرب والعشاء، وجاء فى الحديث: «حافظوا على عصرين»^(٢)
أى صلاة الفجر وصلاة العصر، أى صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وعلى
أحد لاسمين على الآخر كقولهم: القمران للشمس والقمر^(٣).

لأصيل: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسماً للوقت الذى يكون من بعد
العصر إلى المغرب، والجمع أصل بصم الهمزة والأصايل جمع الجمع من ذلك قول
الهدلى^(٤)

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد فى أقبائه بالأصائل
جاء اللفظ فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع بهذه الدلالة منها قوله
تعالى: ﴿وَادْكُرْ سَمِ رَيْثُ بُكْرَةٍ وَأَصِيلًا﴾ (الاسراء: ٢٥) وقوله تعالى: ﴿يَسْعُ لَهُ فِيهَا

(١) اللسان رول والنهاية ٢/ ٤٦٨

(٢) يعتمد البدو فى الصحراء على ظل الضمير لمعرفة أوقات الصلاة بغرس عصا فى الرمال ويعتمد الملاحون
فى القرى على حركة الشمس أيضاً لتعديد مكارى الصلاة وأوقات الصلاة .

(٣) للسان عصر والنهاية ٢/ ٢٤٦ .

(٤) شرح أشعار الهدليين ١/ ١٤٢

بالتعدُّ والاصال ﴿ (نور، ٣٦) ، أى أول النهار وآخره (١)

الطَّغَل : بفتح الطاء والفاء، استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما للوقت الذى تدنو فيه الشمس للغروب ويصفر لونها، وهو مأخوذ من الطغل: الصغير، تقول طغلت الشمس تطل غملا همت وذهبت للغروب، جاء في الحديث أن ابن عمر كره الصلاة على الجبازة إذا طلعت الشمس للغروب: « أى دنت منه واسم تلك الساعة الطغل، وينص المعجم على أن الجماعة العربية استعملت اللفظ للعداء والعشى، فطلعت الغداة عندما تهم الشمس بالشروق، وطلعت العشى عندما تهم الشمس بالغروب » (٢)

المغرب : استعملت الجماعة العربية اللفظ للوقت الذى تغيب فيه الشمس ويبدأ الوقت ينتهى النهار الذى يبدأ بشروقها، وقد سميت به صلاة المغرب، واللفظ مشتق من الغرب بمعنى البعد والنأى، تقول أغرب فى البلاد نأى وذهب، والمغرب والعرب من كل شيء أيضا حده وأعلاه ومنتهاه، والمغرب كل ما وارك واسترك وقد سموا كنس الوحش مفاريها لاستتارها، والغرب فى مقابل الشرق أقصى جهة تنتهى إليها الشمس لتستتر، والمغرب الوضع الذى تعيب فيه الشمس فى مقابل المشرق لذى تشرق منه (٣)

٦ - ٣ ساعات الليل : اصططلحت الجماعة العربية على ألفاظ سمت بها ساعات الليل منها.

العشى والعشية والعشاء وقت دخول ظلال الليل من غروب الشمس إلى العتمة، وقد جاء اللفظ فى القرآن الكريم مقابل العداة والبكرة والإشراق فى قوله تعالى ﴿ لَدِينِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِأَعْدِهِمْ وَنَعَشِي ﴾ ، كعب ٢٨ وقوله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ

وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (م: ١٨) واللفظ مأخوذ من العشو بمعنى ضعف البصر، ثم نمل اسما لظلام الليل لأن الرؤية لا تكون واضحة فيه، فالأعشى الذى لا يبصر ليلا، والعشواء الناقة التى لا تبصر أمامها فتحبب يديها ولهذا قالوا لمن يركب رأسه: « يحبب حبب عشواء ».

وقد سميت صلاة العشاء بهذا الوقت (١)، وقالوا لصلاتي المغرب والعشاء: العشاءان باسم الوقت بينهما.

وكما وحدنا المحر فجرين لدى الجماعة العربية الأولى، نجد أيضا العشاء عشاءين، يكون وقت العشاء الأول مع الشفق الأحمر الذى تحل فيه صلاة العشاء ليلانه، ويكون وقت العشاء الثانى مع الشفق الأبيض الذى يعرب فى منتصف الليل وتكون صلاة العشاء حادثة إلى غروبه (٢).

ينص المعجم على أن الجماعة العربية قد سمّت هذا الوقت الثانى من العشاء العتمة، وقيل إن العتمة الثلث الأول من الليل بعد سقوط نور الشفق واللفظ مأخوذ من العتم بمعنى التأخير أو الحبس، وقد كان أهل البادية يريحون نملهم بعيد المغرب ويبسحونها فى مراحها ساعة، ثم يستميقونها فإذا أفاقوا ومرت ساعة من الليل طبوها، وسميت تلك الساعة العتمة، يقول الأزهري: سمعتهم يقولون ، استمتعوا بملكم حتى تميق ثم اطلبوها، والعواتم التى تحلب هذه الساعة، جاء فى الحديث : « بملكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإن اسمها فى كتاب الله العشاء، وإنما يتم بحلاب الإبل » (٣) وكان الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة تسمية بالوقت فيها هم عن الاقتداء بهم، وقيل: أراد لا يفرنكم هملهم هذا فتؤخرو صلاتكم، ولكن صلوها إذا حان وقتها، ويبدو أن اللفظ ظل مستعملا، ونجد التوحى يحكى عن أحدهم قوله: « ولعننا (الشطرنج) وطاب لى اللعب وواصلناه والليل يمضى ونحن

(١) اللسان عشو ابن قتيبة الأنواء ١٤٣ - ١٤٤

(٢) يهيب هذا اليباس مع بصر لثانى وتعود الشمس إلى الحجرة مع المجرانى

انظر من (٧٥) من النواصير .

(٣) النهاية ١٨٠ / ٢ اللسان عتم

(٢) اللسان طفل والنهاية ٣ / ٢٠

(١) اللسان عصر .

(٣) اللسان عرب

لا تشعر به ووافق سماعنا الأذان فقلت له : قد أدت العتمة وتعت ولا بد من قيامي فلما خرجنا نظريا فإذا الأذان هو أذان العدة (المجر) وإذا الليلة كلها قد مضت ونحن لا نفعل^(١).

لنفسق. استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لعدد الليل وظلمته، وقيل لأول وقت دخول الليل، واللفظ يرتبط بأصله الاشتقاقى بالسيلا والاصباب، من ذلك قولهم غسقت العين دعت، وعسق، الحرج سأل منه الصيد وكأن الليل بهدم الدلالة بشر وصب ظلمته على الكون، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَقَمِ الصَّلَاةَ تَدْرُكُ أَشْمُسَ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ (١) ر ٧٨. لعسق سود ليل وظلمته فال النصر عسق الليل دخل أوله، وأصله السيلا تقول غسقت العين تعسق هملت بالماء.. ودلوك الشمس زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر، وعسق الليل إشارة إلى المغرب والعشاء ويكون دلوك الشمس وقتا مشتركا بين الظهر والعصر، ويكون العسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء^(٢)، كما يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (الملق ٣١) العاسق الليل، ووقب أظلم ودخل على الناس، قال الرمحيشري: الليل إذا اعتكر ظلامه... ومنه غسقت العين امتلأت دما وغسقت الجراحة امتلأت دما، ووقبه دخول ظلامه في كل شيء. قال الشاعر^(٣).

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقا
إذ جئت طارقا والليل قد غسق
ومن ذلك أيضا حديث عمر: « لا تمطروا حتى يعسق الليل على الطراب » أي حتى يعشى الليل بظلمته الجبال الصغار، وحديث الربيع بن خثيم: « كان يقول لمؤدبه في يوم غيم: أعسق أعسق » أي آخر المغرب حتى يظلم الليل^(٤).

المساء: الإمساء بقيص الصباح والإصباح، تقول أمسى الرجل يمسي دخل وقت المساء وهو من وقت الظهر إلى المغرب، وقيل هو من المغرب إلى منتصف الليل،

(١) لتوحى بشوار المحاصرة ٢/ ٣٧١ - ٣/ ٦٥.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٦٨ - ٧٠.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ٥٣٠.

(٤) نهاية ٣/ ٣٦٧.

حاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم ١٧)، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت^(١).

الحمد لله ممسانا ومصبحنا
بالحير صبحنا ربي وممسانا

الرواح: تقيض الصباح استعملت الجماعة العربية اللفظ للوقت الذي يكون من زوال الشمس إلى الليل وقالت: راح يروح رواح أي سار في ذلك الوقت ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ (سبا ٢٠) أي كبت تهب هي هدين الوقتين حاء هي الحديث: « لعدوة أو روحة في سبيل الله » والعدوة السير هي أول النهار والرواح في آخره^(٢).

قال الأهرى: سمعت العرب تستعمل الرواح في السير كل وقت وأصله أن يكون بعد الروال، ومن ذلك الإراحة: رد الإبل والنعيم من العشى إلى صباحها حين تأوى ليلا ولهذا قالوا سرحت الماشية بالعادة وراحت بالعشى، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا حِمْلٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴾ (النحل ٨٠) وفي الحديث « روحها بالعشى » أي رددتها إلى المراح^(٣)، والرواح أطار العشى واحدها راحة.

البيات: استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لوقت الليل ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عُدَانٌ يَبْتَائُوا نَهَارًا ﴾ (يوسف ٥٠) أي ليلا أو بهرا، وقوله تعالى ﴿ أَفَأَمْسِ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا بَيَاتًا وَهُمْ نَامُونَ ﴾ (الأنعام ٩٧) أي وقت البيات وهو الليل.

تقول: يات يبيت بيتا وبياتا يفعل كذا أي قصي الليل أو أعله يعمل كما تقول: ظل يفعل كذا أي يعمل نهارا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَفِيَامًا ﴾ (الفرقان ٦٤) أي يحيون الليل بالعبادة، قالت الجماعة العربية لمن يفكر أو يدبر أمرا ليلا بئت الأمر تبيتا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيْتَ هَانَمَ بِهِم

(١) النسان مسمو.

(٢) النهاية ٣/ ٣٤٦.

(٣) النهاية ٢/ ٣٧٤ النسان روح.

غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُحْسِنُ ﴿٨١﴾. وفي الحديث: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام» أي لم ينوّه في الليل^(١).

السَّحَر - استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما من آخر الليل إلى الإسفار أي وقت ما قبل الصبح والجمع أسحار، ونجد اللفظ يرتبط في أصله الاشتقاقي بالسحر بمعنى الحفاء، أو الطرف من قولهم سحر الشيء طرفه، وأسحار الملاة أطرافها وكأر وقت السحر بهذا دلالة طرف الليل أو لوقت الحمى بطلامه وقد جاء اللفظ بصيغة المفرد في قوله تعالى ﴿إِلَّا آلَ نُوحٍ بُحْيَاهُمْ سَحَرٌ﴾ (النور ٢١) وبصيغة الجمع في قوله تعالى ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (الزمر ٢٧) يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: «السحر يفتح الحاء وسكونها قال قوم منهم الزجاج: الوقت قبل طلوع المجر ومنه تسحر أكل في ذلك الوقت وأسحر واستحرج دخل في السحر، وقال بعض اللغويين - السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر، وقيل - السحر عند العرب يكون من آخر الليل ثم يستمر إلى الإسفار، وأصل السحر الخفاء للظلمة، ومنه السحر.. وكان الصحابة يتحرون الأسحار ليستغفروا فيها وكان السحر مستحبا فيه الاستعمار، لأن العبادة فيه أشق ألا تراهم يقولون إغفاعة الفجر من أمد النوم^(٢).

الغلس : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لآخر ظلمة الليل التي اختلطت بصوء الصباح أو بياض الفجر، جاء في الحديث أن الرسول ﷺ كان يصلي الصبح بغلس : أي ظلمة آخر الليل إذا خالطها بياض الفجر، ومن ذلك أيضا حديث الإفاضة: «كنا نغلس من جمع إلى متى» أي نسير إليها ذلك الوقت^(٣).

الغش : استعملت الجماعة العربية اللفظ بالشين والميم المهمة بدلالة ظلمة الليل التي يحالطها بياض الفجر جاء في الحديث في رواية أخرى أن الرسول ﷺ صلى الصبح بغش^(٤).

(١) النهاية ١ / ١٧٠ اللسان بيت

(٢) البحر المحیط ٢ / ٢٩٨ اللسان سحر

(٤) النهاية ٣ / ٢٢٩ اللسان غش

(٣) نهاية ٢ / ٢٧٧ اللسان غلس

السُدُفَة يصم السنين وسكون الدال والجمع سُدف واللفظ من الأضداد استعملته الجماعة العربية بدلالاتي الظلمة والصوء وبدلالة اختلاط الصوء والطلمة معا كوقت ما بين طلوع المجر والإسفار وقد جاء في الحديث: «فصل الفجر إلى سُدف» أي إلى بياض النهار، وفي حديث علقمة الثقفي: «كان ضلال يأتيها بالسحور ونحن مسدوفون فيكشف لنا القبة فيسد لنا طعاما» : المراد بالحدث الإضاءة والمبالغة في تأخير السحور^(١).

الصَّريم : اللفظ من الأضداد أيضا استعملته الجماعة العربية بدلالاتي لصباح والليل، ويرتبط اللفظ في أصله الاشتقاقي بالقطع، والصريم على ذلك ليل ليقطع عن الصباح أو الصباح المنقطع عن الليل، وقد قالت الجماعة العربية لهما الأصرمان لأن كل منهما ينصرم من الآخر. يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (الشم ٢٠) قال الأخفش كالصبح المنصرم من الليل، وقال المبرد كالنهار فلا شيء فيها. قال شمر : الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا^(٢).

الْقَطْع - بكسر القاف استعملت الجماعة العربية اللفظ اسما لطائفة من الليل وقيل من أوله إلى ثلثه جاء اللفظ في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَ بِأَمْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنْتَلِزُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا أَنْتَ مِنْهُ مُصِيبٌ مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُهُمْ لَصَبْحُ أَيْسَ الصَّحِّ بِقَرِيبٍ﴾ (مود ٨١)، يقول أبو حيان في تفسير الآية قال ابن عباس : بطائفة من الليل، وقال لضحاك ببقية من آخره، قال قتادة بعد مضي صدر منه، قال ابن الأعرابي أي ساعة من الليل، وقيل بظلمة وقيل إنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين قال الشاعر :

وَنَائِمَةٌ تَنُوحُ بِقَطْعِ لَيْلٍ عَلَى رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

قال ابن الأباري القطع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال عدى قطع

(١) النهاية ٢ / ٢٥٤ اللسان سدف

(٢) البحر المحیط ٨ / ٢١٢ اللسان صريم

من الثوب^(١). جاء اللفظ في الحديث « ر بين يدي الساعة هتبا كقطع الليل المظلم، قطع الليل طائفة منه^(٢)، يقول المرزوقي « تقول العرب آتيتك بقطع من الليل إذا دخلت في استحكامه »^(٣).

الناشئة : والجمع نواشيء ساعات الليل مثل أناء الليل^(٤)، وقيل أول ساعات الليل^(٥)، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْرَبُ قِيلاً ﴾ (الزلزال ٦).

الهزيع : استعملت الجماعة العربية اللفظ اسماً لطائفة من الليل نحو ثلثة أو ربعة الجمع هزيع يضم الهاء والرأى جاء في الحديث : « حتى مضى هزيع من ليل »^(٦) وقد استعملت الجماعة العربية الفاظاً أخرى عبرت بها عن أجزاء من الليل وساعات منه مثل الوهن والحرس^(٧).

★ ★ ★

الفصل الثالث

وعائية الزمان، الفاظ وتعبيرات

سبق أن أشرنا في حديثنا عن ثنائية الزمان والمكان إلى أن الأشياء تستعد مفاهيمها وهويتها من الكينونة والصور معاً، الكينونة هي المكان والصور هي الزمان^(١)، ولقد فطن القدماء من اللغويين والنحاة إلى ذلك فدرسوا ظرفي الزمان والمكان في قسم المفعولات لأن كلا منهما يشارك الآخر في الوظيفة التي يؤديها وهي وعائية الحدث، ولعل هذا التصور كان يقف وراء احتياز مصطلح الظرف تشبيهاً بالظرف الحسي، يقول ابن يعيش: « أعلم أن الظرف ما كان وعاءاً لشيء، وتسمى الأواني ظروفًا لأنها أوعية لما يجعل فيها وقيل للأرمة والأمكنة ظروف لأن الأفعال توحد فيها، فصارت كالأوعية لها، والظرف على صريحين طرف زمان ومكان »^(٢)، ويكمل لنا المرزوقي هذا التصور قائلاً: « أعلم أن الحادث متى حصل فقد حصل في وقت والمراد أنه يصح أن يقال فيه أنه سابق لما تأخر وأن وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدمه وأن وقته بعد وقته أو مصاحباً لما حدث معه »^(٣).

لقد نحت هذه التسمية المجارية في تصوير مفهوم لجماعة العربية عن وعائية الزمان للحدث، وكما نجد الأوعية والأواني تختلف باختلاف المادة التي نوصع فيها، نجد أيضاً أن ألقاظ الزمان، تختلف باختلاف وقت الحدث وبوعه، فطعام الإنسان الذي في الغداء غداء، والذي في العشاء عشاء، والذي في السحور سحور، وشرايه الذي يشربه في الصباح صبح، والذي في المساء غروب والذي في

(١) نظروا (٣٧) من الدراسة (٢) شرح بالمص ٤١/٢.

(١) نظروا (٣٧) من الدراسة

(٢) الأرمة الأمكة ١٤٢/١.

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٤٨ واللسان قطع

(٢) نهاية ٤/ ٨٣ .

(٣) الأرمة والأمكة ١/ ١٥٨ .

(٤) انظر من (١٦٥)

(٥) اللسان يشأ

(٦) النهاية ٥/ ٢٦٢ اللسان هرع .

(٧) اللسان وهي : جرم .

نصف النهار قبل، والذي هي منتصف الليل فحمة والذي هي السحر جاشرية، وسيره في القعدة غدا والذي في النهار تأويد وفي المساء رواج وفي الليل إسماء والإدلاح السير في أول الليل والطروق المحي ليلاً والتعريس نرول الساري ليلاً والسّر الحديث ليلاً.

١٠١ لقد أحست الجماعة العربية الأولى بوقع الزمان على الأشياء وقطنت إلى أن كل ما يقوم به الإنسان من أفعال وما يمر به من أحداث يتميز ويتحدد بالزمان، وأن كل ما في هذا الوجود يتحرك داخل إطاره، بل إن وجود الإنسان نفسه في هذا الوجود يخضع لوعائية الزمان، فحياته تتremen في أزمة أو أطوار تصف مراحل نموه الحسني والنفسي، وكما وضع ألباطا مختلفة لتمييز أوقات الزمان كالساعة، واليوم، والأسبوع، والشهر، والفصل والسنة وضع ألباطا أخرى تصف مراحل عمره أو مدة بقائه في الزمان فهو وليد ورصيغ في حصن أمه، وطمل أو صبي إذا درج على قدميه، ومراهق وغلّام إذا راهق أو اعتلم، وعنى وشاب إذا اشتد عوده. ورحل وكهل إذا اكتمل وقوى، وشيخ وهرم إذا كبر وضعف^(١)، وكما احتفل الإنسان بمحى العام أو الفصل الجديد أو بأيام مرتبطة بأحداث معينة، نجده يحتفل أيضا بيوم مولده كل عام، ويوم بلوغه ويوم زواجه ويوم موته^(٢).

يمثل عمر الإنسان أهمية كبيرة هي كثير من المجتمعات الإنسانية لارتباطه بالتكاليف والواجبات الدينية والقانونية والاجتماعية. ولأنه يحدد دوره المؤثر في المجتمع، ويظهر ذلك في مجالات مثل ممارسة العمل أو النشاط المهني، وبلوغه سن الزواج والإنجاب، وقدرته على الانخراط في سلك الجديدة والدفاع عن مجتمعه، وتشير بعض الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن الأعمار ٧، ١٤، ٢١ كانت تمثل أهمية

(١) راجع هذه الألباط في مواضعها في سائر العرب

(٢) لاحظ حرص بعض الأهلاد على حملات عيد الميلاد وحرص كثير من المجتمعات على إقامة احتفال بمحى مولود الجديد في اليوم السابع لمولده كما نجد مجتمعات أخرى تحتفل ببلوغ المتى والعتاة، هذا إلى جانب ما يفرقه من الاحتفال بيوم زواجه ويوم رحيله عن الحياة. ونلاحظ أن بعض المجتمعات لا تنطق باسم سروح أو عيد في هذين المناسبتين فهو عريس أو مرحوم فالاسم يطلب في الحالة الأولى سنوا من لحسن، ويطلب في الحالة الثانية هرويا من الأمن

في القابون الروماني في العصور الوسطى، وهي الأعمار التي تحدد مشروعية العمل والزواج والاشتراك في القتال^(١). ومن هذا المييل ما تخبرنا به بعض المصادر العرسية فسرأ في الحديث الشريف: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع واصبروا عليها ابن عشر»^(٢)، كما نقرأ حديثاً آخر رواه ابن عمر قائلًا: «عرضني رسول الله يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الحديق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير، فكذب إلى عماله أن يمرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ومن كان دون ذلك فأحطوه من العيال^(٣). وبناء على هذا الحديث كان المجتمع الإسلامي يرى ابن الخامسة عشرة مكلفا بالعمل ولحجته وله حق في الصلوة والعاشم

تعرف المجتمعات الإنسانية عروفا اجتماعيا يتصل بعمر الإنسان وهو التأكيد على مكانة كبار السن الذين يعهد إليهم المجتمع بتدبير شؤونه لأنه كما يقول الشاعر^(٤):

إن المشييب رداء الحلم والأدب كما الشباب رداء الجهل واللعب
وقد نحد نوعا من النقد والتهكم إذا أهمل المجتمع هذا العرف الاجتماعي وقد صور الشاعر الهدلي ذلك قائلا^(٥):

سودون مُرداً قبل وصل لحاهم وشيخهم طاحي لمصاب نحين
إن كبير السن يصبح في كثير من المجتمعات رمزا للحكمة لأنه الحكيم الذي يملك خبرة الماضي وتحاربه ليدبر بها شئون الحاضر^(٦)، ولهذا كثيرا ما تلجأ إليه

(١) International Encyclopedia, p. 46, Vol. 16.

(٢) لترمذي المواقيت ١٨٢

(٣) صحيح مسلم شرح النووي ٥٣٣/٤ ط الشيب

(٤) تيهي الماحس ونسائوي ٢٥٢

(٥) شرح أشعار الهدلين ٩٧٥/٢

(٦) ترى بعض المجتمعات لصداقة الحديث أن كبار السن أقواء عزيمة لعايشة وغير قابلة للتكيف مع المجتمع الحديث ولهذا فكبير السن لا يلقى ما يجب من الاحترام وهو في نظر المجتمع المل أو الشرف

الجماعة قيم تحتاحه وتعلمه باحرام وتبجيل^(١)، وقرأ في حديث عبد الله بن عمر: «لا يرل الناس بحبر ما أخذوا العلم من أكابرهم فإذا أتاهم من أصابعهم فقد هلكوا والأكابر أوفر الأسنان والأصابع الأحداث»، وفي حديث قيس بن عاصم: اتقوا الله وسودوا أكبركم، وفي حديث القسامة «الكر لكر أو لسدا الأكبر بالكلام أو قدموا الأكبر ارشاداً إلى لأدب في تقديم لأسن^(٢)».

١ - ٢ وكما وضعت الجماعة العربية ألفاظاً تصف بها زمان الإنسان أو مراحل عمره، وضعت أيضاً ألفاظاً تصف بها مراحل عمر الحيوان، ويمكن أن نعطي مثالا لذلك بالإبل التي كانت تمثل أهمية كبيرة في حياتها، فقد سميت ولد البقرة ساعة مولده سنلاً، وإذا كان ذكراً فهو سقب، وإذا كان أنثى فهو حائل، وإذا هوى على المشى فهو راشح وقيل يسمى حوار من ولادته إلى أن يقطم، وإذا أتم الرصاعة وفصل عن أمه فهو فصيل في السنة الأولى، وإذا لفعت أمه في السنة الثانية فهو ابن مخلص لها وإذا وضعت أمه بعد سنتين فهو ابن ليون لها، ويسمى في السنة الرابعة حق بكسر الحاء لأنه استحق أن يركب ويسمى في السنة الخامسة جَذَعُ بفتح الجيم والذال واللفظ مأخوذ من الجدوعة بمعنى الوقت الذي يستبين فيه السن، ويسمى في السادسة ثنى لأنه ألقى ثبته، وإذا كانت أنثى تسمى قنوص وهي مرحلة المتاة من النساء، وإذا كان ذكر، يسمى بكر وهو بمرحلة ثمنى من الرجال، ويسمى في السابعة رباع لأنه ألقى رباعيته وتسمى الأنثى نافقة ويسمى الذكر جمل، ويسمى في السنة الثامنة سدس لأنه ألقى السن إلى بعد الرباعية ونلاحظ أن هذه التسميات التي تصور عمر الإبل ترتبط بالإنسان فقط، أما إذا خرج نايها فيقال للذكر منها بازل واللفظ مأخوذ من البزول بمعنى الشق، ويقال للأنثى شارف وإذا أتى عليها عام بعد البزول فهي محلف، كما قالوا القهب للذكر من الإبل بعد البزول، والعود إذا هرم وفيه بقية من قوة وإذا ارتفع عن ذلك فهو قصر، وإذا تكسرت أبيابه

(١) انظر جويريف أوما أسطورة السن في المصمم و أدب الأفريقيين مجلة ديوجين ص ١٢-١٨

لعدد ٢١ ١٩٧٢ مطبوعات اليوسكو

(٢) اللسان سود والنهاية ١١١/٤ وأرجع أيضا البهاري باب إكرام الكبير ٤١٨/٨ طه لشعب.

فهو ثلث، وإذا لم يستطع أن يحبس ريقه فهو ماح، وإذا استحكهم هرمه فهو كحكج^(٣). لقد جعلت الجماعة العربية أساساً لإبل دليلاً على تحديد عمرها، وكأنها قد رأت في السن رمزا للصوة في الحيوان، وقد استعارت ذلك للإنسان أيضاً، ومن أمثالهم في السؤال عن الإنسان وخيره «إنَّ لحواد عينه قراره، والمثل مأخوذ من قولهم حررت الفرس أفره قراراً إذا نظرت إلى أسنانه لتعرف عمره^(٤)، ومن ذلك أيضاً قول الحجاج في خطبته المشهورة حين ولي العراق: وبعد حررت عن ذكاء وتجربة^(٥)»، ومن هذا قولهم للإنسان: أفتّر هلان: أي ضحك فأبدى أسنانه، كما قالت الجماعة العربية للصادق في حديثه «صدقني من بكره»، وأصل المثل أن رجلاً مساوم آخر في بكر (أي في فتى من الإبل) ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشتري ذلك^(٦).

لقد استعملت الجماعة العربية السن للدلالة على عمر الإنسان، ومن ذلك قولهم فلان سن فلان إذا كان مثله في العمر، جاء في حديث عثمان رضي الله عنه جاورت أسنان أهل بينى أي أعمارهم، وجاء في حديث علي رضي الله عنه: بزل عامين حديث سن، أي أنا شاب حدث في العمر^(٧)، ومن هذا القبيل أيضاً قولهم: متى عهدك بأسمل فبك ؟ أي بعهد عهدك بالأمر، كعهد عهدك بالإثغار، وقيل هذا المثل للسؤال عن أمر قديم لا عهد للرجل به^(٨).

كما نجد الجماعة العربية تضع ألفاظاً تصور عمر النبات فسمت أول البيت البارض، وإذا تحرك قليلاً فهو الحميم، وإذا عمَّ لأرض فهو العميم وإذا اصفر وبيس فهو الهائج، كما سميت النزع مادام في لبذر الحب، فإذا نشق عن الورقة فهو

(١) انظر ابن سيده، المحقق المجلد ٢/١٩٧ - ٢٢٢ الثعالبى هذه البنة ١١٤

انظر كريم حسام التحليل لدلالي المجالات الخاصة بأعمار و وصف تلك حيوانات

نجره ثنائي ط ١ دار غريب

انظر أيضا أسنان الحيل ٢٧/٧، وأسنان السم ١٨٤/٧ - ١٨٦ أسنان البقر ٣٢/٨، أسنان الظبية ٢١/٨

(٢) اللسان هرو. (٣) النهاية ٤٢٧/٣.

(٤) النهاية ٤١٢/٧، الميдами ٢١٢/٢. (٥) النهاية ٤١٢/٣.

(٦) الميдами ٣٠٩/٣.

الفرخ، وإذا طلع رأسه فهو الحقل وإذا ظهرت السببة فهو سنبل^(١)، وإذا أحسنا النخلة التي تمثل أهم أنواع الزروع التي عرفتها الجماعة العربية فستجدها تسمى الصغيرة قسيقة، وإذا صار لها جذع جسارة، وإذا ارتفعت عن ذلك عيدة، وإذا زادت بأسقة، وإذا تنهدت في الطول سحق، كما رتبت حملها فقالت: أطلعت ثم أبلحت، ثم أبسرت ثم أزهت ثم أمعت ثم أرطبت ثم أثمرت^(٢).

لقد رأيت الجماعة العربية أن كل ما حولها يتزمن بالزمان، كما سبق أن أشرنا فقطرات الماء الساقطة بالنهار هي السدى، وإذا سقطت في الليل هي السدى، وأمطار السنة أول ما يسقط منها الوسمى ثم يليه الربيع ثم الصيف ثم الحميم ثم الرمض ثم الخريف^(٣).

١ ٢ وكما أحسنت الجماعة العربية بوقع الزمان على الموجدات والكائنات وأن الإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك يعيش حياته من خلال أطوار زمانية، فقد أحسنت أيضا أن كل ما يقوم به الإنسان من أنشطة وأفعال يحدث داخل إطار الزمان، فلاستيقاظ القيام من الفراش في الصباح، وتجهد القيام من الفراش في الليل، والقبولة لخلود إلى الفراش في منتصف النهار، والهجود الحلود إلى الفراش في الليل^(٤) (٥).

وقد سميت الجماعة العربية ما يأكله الإنسان في اليوم والليلة وجبة، وميرت هذا بالزمان أيضا، فالإفطار وجبة الصباح أو أول ما يأكله الإنسان كما نجد في الصيام، والغداء وجبة الغد، والعشاء وجبة العشي، الكرامة وجبة نصف النهار، والسحور وجبة السحور، أما الشرب في الصباح فهو الصبوح، والشرب في العشي العبوق^(٦) ومن أمثالهم: أعز صبوح ترقق^(٧) وقولهم: أحال صبوحة على عبقوقه^(٨).

(١) شعير منه نعة ٢٢

(٢) (١) انظر الألفاظ في مواضعها للناس.

(٣) فقه اللغة ٢٧٧ لمصنف ٧٩/٩.

(٤) لاحظ أيضا تمييز الجماعة العربية عن دالة الانتقال والتميز لكانات وجماعات في زمان فاعمال

لصيرورة مثل أصبح وأصبح وأصبح وأصبح وأصبح وأصبح

(٦) انظر الألفاظ في مواضعها بالناس

(٧) المهداني ٣٦٧/١

والشرب هي نصف النهار القيل أو القيله جاء في حديث خزيمة وأكتفى من حملة بالقيلة، أي أكتفى بتلك الشربة^(١)، والشرب في السحر الجاشربة.

كما ميزت الجماعة العربية سير الإنسان على الأرض في إطار الزمان، فالتأويب سير النهار إلى الليل، والعدو السير في العداة، والتجهز السير في الهاجرة، والإسراء السير في الليل، والإدلاج السير من أول الليل إلى آخره، كما سميت النزول بالمكان بالليل المبيت، والنزول آخر الليل التعريس، والنزول في الفجر التهويم، والنزول آخر النهار أو وقت المائلة التعوير^(٢).

ومن هذا القيل أيضا تسمية الحديث الذي يدور بين الجماعة في الليل للتسمية والتهو السمر، والسامر جماعة الحى الذين يسرون ليلا، وتسمية الصيف الذي يأتيك ليلا الطارق، والصيف الذي يأتيك الجاحح سمي بذلك لأنه يكون في حاحك أي ناحيتك الجاحح، وسميت زيارة البيت الحرام في أي وقت الاعتمار، وزيارته في موعد محدد كل عام الحج^(٣).

وكما سبق أن أشرنا إلى أهمية الإبل في حياة الجماعة العربية التي تمثلت في الألفاظ التي وضعتها لتصف بها مراحل حياتها الرسمية، نجد مجموعة أخرى من الألفاظ التي تصور عمل الإنسان وشاغلته مع الإبل التي كانت ترتبط بحياته ارتباطا كبيرا، وهذه الألفاظ ترتبط بالرعى والحلب والشرب كما يلي.

السَّحْرُ إخراج الإنسان للإبل في الغداة للرعى.

الإراحة رد الإنسان للإبل في العشي إلى سراحها حيث تأوى ليلا، وقد جاء المصطلح في قوله تعالى ﴿وَكَمْ فَبِهَا جَمَالٌ حِينَ يُرِيحُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ﴾ سحر، يقول أبو حيان هي تسيير هذه الآية ويقال أراح الماشية ردها بالعشي من المرعى وسرحها يسرحها سراحا أخرجهَا غداة إلى المرعى.. وقدم الإراحة على السرح لأن

(١) نهاية ٢١

(٢) انظر الألفاظ في مواضعها في لسان

(٣) انظر الألفاظ في مواضعها في لسان

لحمل هيها أظهر إذ اقرب مألأى النطون حافلة الصروع ثم أوت إلى الحظائر بحلاف وقت سرحها وين كانت في الوقتين نرين الأهبة...^(١)

لنفس: إرسال الإنسان للإبل فترعى بلا راع هي إبل نفس، ولا يكون النفس إلا نبالا تقول أنفسها إذا أرسلها نبالا ترعى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾. ويحكم في الحرث إذ نفس فيه عم يقوم بـ. لاب. ٧٨، يقول أبو حيان هي تصسر الآية «النفس رعى الماشية بالليل بلا راع وتهمل بالتهار بلا راع»^(٢).

الهمل: استعملت الجماعة اللفظ بدلالة الماشية بلا راع نهارا وقيل رعى الإبل بلا راع نبالا ونهارا، كما قالت الجماعة العربية أيضا استرعى ماله القمر، أى ترك إبله نبالا بلا راع، واسترعى ماله الشمس إذا ترك إبله نهارا بلا راع^(٣).

تحيين: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة حب الإبل مرة واحدة في اليوم واليلة. والاسم الحبية ومن ذلك قولهم: حين الساعة جعل لها في كل يوم وليله وقتا يحلبها فيه. جاء في الحديث: «تحيينو نوقكم»، أى أحببوها مرة في اليوم وهي وقت معلوم^(٤).

العتمة: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة نثلث الأول من الليل. واللفظ يرتبط بأصله الاشتقاقى لحبس والمكث أو الإبطاء والتأخير لأنهم كانوا يريحون إبلهم بعيد المغرب وينحويها في مراحها ساعة ثم يستميقونها فإذا أقرب ومرت ساعة من الليل حلبوه ويسمى هذا الساعة العتمة، والعواتم الإبل التي تحلب في هذه الساعة، جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه «والفلاح قد روحت وحلبت عمتها» أى حلبت ما كانت تحلب وقت العتمة، وهم يسمون الحلاب عتمة باسم الوقت^(٥).

الطلق: أخذ الإبل ليللا للشرب، ويكون بينها وبين الماء ليلتان سيرا فتسمر الليله الأولى الطلق حيث يحلب الراعى إبله إلى الماء وسركها على ذلك للرعى.

اقرب: أخذ الإبل في الليلة الثانية للشرب.

اعب: أخذ الإبل للشرب يوما بعد يوم، أو يوما كل ثلاثة أيام.

انظاهرة: أخذ الإبل أو الخيل للشرب كل يوم في منتصف النهار واللمظ مأخوذ من الظهر^(١).

١ - سبق أن أشرنا في بداية هذا المصل إلى تصور الجماعة العربية لوعائية الرمان بمعنى كل ما يحدث للإنسان ويلاحظ تكراره ويترمن في وقت قد صبطته واصطنعت عليه بالماط تسمى هذا الحدث وتحده، من هذه الألفاظ العيد، الموسم، القرء، الطهر، الموعد.

العيد: اليوم الذي يرتبط بمناشئة معينة ويجتمع فيه القوم للهو والطعام، سمي بذلك لأنه يعود كل عام والواو قلنت ياء لانكسار ما قبلها، وقيل سمي بذلك لأن الناس اعتادوا عليه، يقول الأزهري: العيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرج والحرث سمي العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد^(٢)، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ رَبُّ عَالَمِينَ﴾ من أسماء كور ب عيدا لأرلنا وأخرينا^(٣) (المائدة: ١١٤) قتل لهم عيسى عليه السلام. هل لكم في صيام ثلاثين يوما لله تعالى ثم إن سألتهم حاجة قضاه؟ فلما صاموها قالوا: يا معلم الخير إن من حق من عمل عملا أن يطعم، أرادوا أن تكون المائدة عيد ذلك الصوم^(٤) يذكر القلقشندي تحت باب أعياد الأمم ومواسمها عيدي الفطر والأضحى قائلا «أعلم أن

(١) اللسان طلق عرب عيب ظهر

(٢) اللسان عود راجع أيضا دلالة لفظ هي الإنجليزية والعربية

La fête: feast

Webster's New world Dictionary

La Rouse Dictionnaire Français

(٢) البحر المحيط ٥٤/٤

(١) البحر المحيط ١٧٥/٥ اللسان سرح

(٢) اللسان همل وقمر

(٣) لبحر المحيط ٣١٧/٦ لسان نفس

(٤) النهاية ٤٧٠/١ اللسان حين

(٥) نهاية ١٨١/٣ لسان عتم

الذى وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، والسبب في تحديدهما مروي عن أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ولأهلب يومان يلعبون فيهما وقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أبدلكم خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر، فأول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر وذلك في سنة اثنتين من الهجرة.. كما يذكر أن الشيعة ابتدعت عيداً ثالثاً سموه عيد العنبر وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبي ﷺ على يوم غدِير خم بعد رجوعه من حجة الوداع وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة والشيعة يحيون ليلة العيد بالصلاة ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الروال وشعارهم فيه لبس الجديد وعق العبيد وذبح الأعداء^(١).

الموسم: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي يجتمع فيه الناس كل عام، بمعنى بذلك كأنه معلوم يجتمع إليه، واللفظ مأخوذ من قولهم: وسم لشيء يسمه وسمما أثر فيه بالكى، ويقولون: وسم الناس توسيما: شهدوا الموسم كما يقولون في العيد عيدوا.

والمواسم جمع موسم وهي أسواق العرب، سميت بذلك لأنها تقوم في كل سنة مرة، من ذلك قول الهدلي

بأبيك صاحبك الذي لم تلقه بعد الموسم واللقاء بعيد
ينص المعجم على أن كل مجمع من الناس موسم ومن ذلك موسم منى، جاء في الحديث: «أنه لبث عشر سنين يتبع الحاج الموسم» أي الأوقات التي يجمع فيها الناس للحج^(٢).

القرء: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي تحيض فيه المرأة أو لوقت الذي يكون بين الحيضتين، واللفظ من الأضداد^(٣)، وينص المعجم على أن

(١) صبح الأعشى ١١٦/٢

(٢) اللسان ومعجم، شرح أشعار الهدليين ٥٩٧/٢، النهاية ١٨٦/٥

(٣) انظر ابن الأثيري الأضداد ص ٨٧

أنا حليفة وأهل العراق يقولون: القرء الحيض وحجتهم في ذلك قوله ﷺ: «دعى الصلاة أيام إعرائك» والإقراء هذا الحيض للأمر بترك الصلاة، وإن الشافعي وأهل الحجاز يقولون: القرء الطهر لأن القرء هو اجتماع الدم في الرحم وإنما يكون ذلك في الطهر، ومن ذلك قولهم قرأت الماء في الحوض جمعته، وقرأت الشيء لعظمت به مجموعا، فالتقرء على ذلك الطهر لأن النساء يؤتى في أمهارهن لا في حيضهن بقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى ﴿وَالْمَطْفَأُ بِرُءُوسٍ بَأْسُهُنَّ ثَلَاثَةُ فُرُوءٍ﴾^(١)، «القرء أصله في اللة الوقت المعتاد تردده، ومن ذلك قرء النجم وقت طلوعه ووقت غروبه، يقولون، أقرأ النجم أي طلع أو غرب، وقرء المرأة حيضها وطهرها من الأضداد» وقيل إن القرء يعني الانتقال من قولهم قرأ النجم أي انتمل، قرأ الكلام نقل من حرف إلى حرف في الكلمة وقرأت المرأة انتقلت من الحيض إلى الطهر^(٢) وعلى ذلك يكون معنى ثلاثة فُرُوء ثلاثة انتقالات من الحيض إلى الطهر

الطهر: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الوقت الذي تعتاد المرأة الطهر فيه ويكون ما بين الحيضتين، جاء في الأثر عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن عمر بن الخطاب حاءته امرأة فقالت إن زوجها لا يصيبها فأرسل إلى زوجها فسأله فقال: كبرت وذهبت قوتي فقال عمر: أتصيبها في كل شهر مرة؟ قال: أكثر من ذلك قال عمر: في كم؟ قال أصيبها في كل طهر مرة^(٣) والطهر تقيص الحيض، وهي ظاهر أي انقطع عنها الدم، تقول طهرت المرأة رأت الطهر، وتطهرت واطهرت أي اغتسلت حاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٢٢).

الموعد: استعملت الجماعة العربية اللفظ بدلالة الانساق على تحقيق الموعود به في زمان ومكان محددين والجمع مواعيد، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لَمْ يَلْمُوهَا رَحِمًا لِمَهْنِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾^(٤)، «نكحها، صرنا لاهلاكهم

(١) لسان قرأ، البحر المحيط ١٧٥/٢، النهاية ٣٢/١

(٢) اللسان طهر، بحر العمال ٥٧٥/١٦ الحديث ٤٥٩٢٢.

وقتا معلوما والموعد زمن الهلاك^(١)، كما استعملت الجماعة العربية لفظ الرماد أيضا بهذه دلالة ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاجْتِماعٍ فِي مُعَاجِدَةٍ﴾^(٢) ١٢٥

٢ ١ أشرب إلى رمية حدث بمعنى أن كل ما يقوم به الإنسان من فعل أو نشاط سر من أي سم في إطار زمن يحدده وبميزه كما أن عمره نفسه عمر غيره من الكائنات الموحودات تتميز بأطوار من حلال الرمان^(٣)، وإن كان قد تناولت بهذا المفهوم ارتباط الحدث بالزمان الذي يكون وعاء له، فإنها يمكن أن نتناول حديثة الزمان بمعنى أن الزمان الذي يتميز بحدوث وأفعال معينة، اعتمادا على ما يقرره بعض المنكسرين في تعريفهم للرمان بأنه تفسير لحدوث بعضها ببعض كقولك صباح الديك وقت طلوع الفجر، وطلع الفجر وقت صياح الديك فكل واحد منهما صار وقتا للآخر^(٤)، وبناء على هذا القول يمكن أن نقدر الزمان بالحدث أو الأحداث التي يمر بها الإنسان، ونحل في مادة لفظ الحدث - كما يقول أبو حيان التوحيدي - ما يعين ذلك، عندما يقال لأحدكم حدث يا هذا ؟ فكانه قد قيل له صل شيئا بالزمان يكون به الحال^(٥) يشير ابن القيم إلى إضافة ظروف الرمان إلى الأحداث الواقعة فيها قائلا « لا كدت الأسبوع متمتلة لا يتغير يوم من يوم بصفة ميسية ولا معبوة لم يبق تمييزها إلا بالأعداد ولذلك حملوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الإثنين وثلثاء أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم نهار ويوم بدر ويوم الفتح...»^(٥)

إننا يمكن أن نرى في ضوء هذا التصور لحديثية الرمان ارتباط الزمان لدى لجماعة العربية بحدث أو أحداث هامة تعين الرمان وتحدده^(٦)، جاء في حديث

(١) تامل بعد البحر المحيط

(٢) انظر من (٨٣) وما بعده من الدراسة

(٣) لأرميه وألمكة ١٣٨/١

(٤) ابن القيم مدح بزم ٨

(٥) لعل هذا التصور لحديثية الرمان حملهم يستعملون المصادر للتعبير عن الرمان يقول ابن مالك

قد يوجب من مكنى مصدر وقد نفي في ظرف الرمان يكثر

يقول شروقي إنهم أقاموا المصادر مقام الأرمية نحو أقيته طوبع الضمير، وحقوق النجم وهجوم الحاج،

وخلافة فلان، أرمية وألمكة ١٣٨/١

وقرأ هي المعجم أنهم جاءوا بالصلوات على فعال حين أرادوا انتهاء الرمان في مثل الحصاد أي وقت انتهاء

لحصاد الصرام المطاط كذلك

الدعاء على هريش «أعسى عليهم يستن كمنى يوسف»^(١) وهي السنين سبع تشدد التي اصابت بسبب بالقصص والحب وحاء ذكرهم في قوله تعالى ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكل ما قدمت بهن﴾ يوسف ٤١، ومثل ذلك نصا قولهم سيات خالدا التي ضربوا بها المثل في توالي القحط والجذب وهي سبع سنوات أيضا توالى على المدينة في عهد واليها خالد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبد الملك، وعم الرمادة الذي كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب، أصاب الناس فيه القحط حتى صارت وجوههم في لون الرماد من الجوع، عام الحزن كان سنة عشر من الهجرة وقد مات فيها عم الرسول ﷺ وزوجته حديجة بعده بثلاثة أيام^(٢)، وعام الحراد الذي كان في السنة الثامنة من الهجرة، وعام الختان^(٣) الذي كان على زمن المنذر بن ماء السماء، وعام العيل الذي هاجم فيه أبرهة ملك الحبشة الكعبة بالأفيال كما كانت تؤرخ أيضا بموت هشام بن المغيرة حتى ظهور الإسلام فحلت هجرة الرسول ﷺ تاريخا للمسلمين^(٤).

ومن هذا القليل أيضا ما يذكره البيروني أن الناس في عهد الرسول ﷺ قد سمو كل سنة هيماء بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتمق فيها له عليه السلام، فالأولى بعد الهجرة سنة الأمان، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمهيد، والرابعة سنة الترفئة، والخامسة سنة الرلزال، والسادسة سنة لاستئناس، والسابعة سنة لاستغلاب، والثامنة سنة الاستواء، والتاسعة سنة البراءة والعاشر سنة الوداع، فكانوا يستغفون بذكرها عن عندها من لبن الهجرة..^(٥)

٢ - ٢ إننا إذا تصفحنا كتب التاريخ والأدب نجد كثيرا من التعبيرات الزمانية التي تحدد الرمان بحدث هام أو شخصية هامة، ومثل ذلك ما نقرأه في الأغاني أن عمر بن ربيعة قد ولد ليلة مقتل عمر بن الخطاب^(٦)، وأن أبا جعفر محمد بن علي

(١) النهاية ٤١٤/٢

(٢) بهن لأرب ٧/١

(٣) الختان داء يأخذ لطير والحيوان في حلقها وقد نشر في ذلك لوقت

(٤) ابن سيده المحمص ٦٤/٩

(٥) البيروني الآثار الباقية ٢٠، ٢١. (٦) الأغاني ٧١/١ ط الشيب

المعروف بأن عائشة المغنّي قد توفى في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل أيام الوليد^(١)، ومن ذلك أيضا حديث الحجاج حين سأل الحسن البصري ما أمرك ٩ قال: سنتان من خلافة عمر أراد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر^(٢)، ويبدو أن هذا العرف في التوقيت لا يزال مستمرا لدى الجماعة العربية حتى الآن، ويشير بعض الباحثين المعاصرين إلى ذلك في معرض دراسته لأشروبيولوجية لقبية بني كبير في شبه الجزيرة العربية فيقول: «إن تاريخ ولادة أحدهم يرتبط بإحدى المناسبات الهامة كأن يولد فرد أو مجموعة من الأفراد أثناء وقوع حرب بين قبيلة وأخرى، أو في حالة هطول أمطار غزيرة تحدث أضرارا بالغة بالدور والأرض، ومثال ذلك قولهم ولد فلان أثناء حرب العوة وهي حرب مشهورة وقعت بين قبيلة بني كبير وقبيلة محاورة، أو يقال ولد فلان زمن سيل الأربعاء لأنه هطلت فيه أمطار غزيرة وبشكل غير مألوف فأحدثت أضرارا كبيرة يوم الأربعاء في إحدى السنوات، أو يقال ولد زمن الحميرية وهي صف رديء من الحبوب آكله الناس بعد أن أصاب لأرض قحط شديد قضى على المحصولات الزرعية»^(٣).

ومن هذا القبيل أيضا ما قرأه في القرآن الكريم من تعبيرات رمزية في مثل قوله تعالى على لسان موسى لمسحرة فرعون: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ رَبِّهِ وَأَنْ يُخْشِرَ آدَمُ صُحُيَّ﴾ (طه ٥٩) «يقول أبو حيان: «أي أن يجتمعوا صبحى ذلك اليوم بعينه من مكان مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم»^(٤) فيذكر الرمان علم المكان»^(٥) وقوله تعالى ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ مَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَنْ هُمْ بِمُؤْمِنٍ﴾ (سورة ٢٨)، يقول أبو حيان «اليوم الآخر يحتمل أن يراد به الوقت المحدود من البعث إلى استقرار كل من المؤمنين والكافرين فيم أعد لهم، ويحتمل أن يراد به لأبد الدائم الذي لا ينقطع وسمى آخر لتأخره أما عن الأوقات المحدودة باعتبار الاحتمال الأول أو عن الأوقات

(١) لأعشى ٦٥٣/٧ (٢) النهاية ٦٥/١

(٣) سعيد العامدي البناء المصنّي في المملكة العربية ص ٩٩ ط دار أشروبيولوجية

(٤) هو يوم وفاة النبيل الذي كان يحتفل فيه لمصريون القدماء ويعتبر من أشهر أعيادهم

(٥) البحر المحيط ٦/٢٥٢

المحدودة باعتبار الاحتمال الثاني»^(٦) وقوله تعالى ﴿لِيُشْهِدُوا صَفْعَ يَوْمٍ وَيَذْكُرُوا سَمِ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (الحج ٣٨) يقول أبو حيان: «الأيام المعلومات أيام العشر، والمعدودات أيام التشريق الثلاثة، وقال البعض: المعلومات يوم نحر ويومان بعده، والمعدودات أيام التشريق»^(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَسَّ الثَّمَنُ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة ٢٣٣) يقول أبو حيان: «الأيام الثلاثة أيام بعد يوم النحر وقيل يوم النحر ويومان بعده، وقد أجمع المفسرون على أن الأيام المعدودات أيام التشريق»^(٨).

٢ - ٣ عرفت اللغة العربية معايير اصطلاحية^(٩) تعتمد في تراكيبها على ألفاظ الزمان، وسلاحظ أن هذه التعابير التي انضمت عليها الجماعة العربية كانت نتاج ثقافة الجماعة والتجارب والأحداث التي مرت بها، ونجد أن هذه التعابير قد استعملت كوحدات دلالية مستقلة Semantic unit تؤدي مثل الألفاظ دلالات مختلفة مثل قصر الرمان وطولته، والتماؤل والتشاؤم، و لرحاء والشدة، والوصوح والعصوص، والعدة والقدم، وغير ذلك من الدلالات، وفيما يلي بعض هذه التعابير.

أكل الدهر عليه وشرب: استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة إلى القديم من الأشياء، كما استعملته أيضا للإشارة إلى من يطول عمره من الناس، ومن هذا القبيل أيضا قولهم، فلان شمس العصر، أو فلان تنقل مع الفجر أي كبير سبه^(١٠).

دعوة السمة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الشيء الباهر الذي لا يتكرر مثل دعوة النحيل، ومن ذلك قول الشاعر^(١١)

(١) المصدر نفسه ٥٥/١

(٢) المصدر نفسه ٣٦٥/٦

(٣) المصدر نفسه ١١٠/٣

(٤) نقصد بالتعبير الاصطلاحي هذا النمط التعبيري الخاص بلمة معينة يتميز بالثبات ويكون من كلمة أو أكثر

بحولت عن معناه الحرفي إلى معنى ممايز اصطليحت عليه الجماعة اللغوية، انظر مفهوم التعبير

لاصطلاحي وانماطه التركيبية كريم حسان الدين التعبير الاصطلاحي ٣٤ - ٩٣، ٢٦٢ ط الأملو المصرية

١٩٨٤

(٦) نهار القلوب ٦١٦

(٥) نهار دهر الشمال نهار القلوب ٦٥١

إنها دعوى السنة فخرها مبطنة

لن تعدوا مثلها وإنها فتح حرسية^(١)

ومن هذا أيضا تعبير زينة الحقب الذي يدل على الشيء النادر الذي لا يحدث مثله إلا في الأحقاب أي في الزمان الطويل، ومن ذلك قول أبي تمام في فتح عمورية^(٢):

حتى إذا مخص الله السنين لها محص البخيلة كانت زينة الحقب

ابن الأيham: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الرجل المجرب.

سات الدهر: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى المصائب والشدائد.

حاطب ليل: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة من يكثر أو يحلظ في حديثه فيجنى على نفسه، أو بدلالة من لا يميز بين الحيد والردى لأنه يكون كحاطب ليل ربما حمل معه ما لا يسمع أو ما يضر أو يقتل^(٣).

سلاحط هنا أن الجماعة العربية قد استعملت الليل كثيرا في تعبيراتها ربما يعود ذلك إلى تصورهم له، فالיום الجديد يولد من رحم الليل ولهذا كان تأريخهم بالليالي، كما ارتبط الليل في آدهنهم بتصورات مختلفة سبق أن أشرنا إليها^(٤)، ومن هذه التعبيرات التي اتخذت الليل أساسا لها قولهم

ليلة القدر: استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة الشيء الحمى أو المبهم لاختلاف الفقهاء في تحديدها، ومن ذلك قول أبي الصنع البستي^(٥)

قير لي قد حميت فت كندر صار يحصى من بعد أن كان ندرا

أنا خاف كيلة القدر هي النا من وعال كيلة القدر قدر

(١) بدة من بلاد الروم غراها سيف الدولة

(٢) ثمار القلوب ٦٤٠.

(٣) انظر من {١١٠} من الدراسة

(٤) ثمار القلوب ٦٣١

(٥) النصارى، خطبة المهداني مجمع الأمثال ٣١٧/٣

ليلة الميلاد. وهي الليلة التي ولد فيها عيسى عليه السلام، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت أو قصره، ومن الأول قول الشاعر^(١).

يا مصيئا يصور اليوم حولا ساعة منه ليلة الميلاد
ومن الثاني قول أبي نواس^(٢):

ليلة كاد يلتقي طرفها " قصيرا وهي ليلة الميلاد

ليلة التمام: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى طول الوقت^(٣)، ويقال إنها أطول ليلة في الشهر ومن ذلك قول امرئ القيس

هبت أكاد ليل التمام والقلب من خشية مقشعر
كما نجد تعبيرات أخرى تشير إلى طول الزمان أو الليل مثل ليلة العقر، قالوا ذلك لأن صاحبها المدوخ لا ينامها فهي تطول عليه، وليل السليم بمعنى اللديع وليل الصرير لأنه لا يرى، وليل المحب لأنه لا ينام، وليلة أنشد بالدل المهمة وهو القصد قالوا ذلك لأنه يبيت الليل كله لا ينام^(٤).

ليلة صيف: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى قصر الوقت، قال الشاعر:

هلو كنت ليلًا كنت ليلة الصيف من المشرقات البيص وسط الشهر
ومن هذا القبيل قولهم أيضا، سحابة صيف لما يقل ليلته ونجم مكثه لأنها تنقش بعد قليل^(٥).

ليلة الصدر: يقولون تركناهم على ليلة الصدر أي لا يكون شيئا أو ليس عندهم شيء، والتعبير يعود إلى الببئة البدوية التي ترعى الإبل وتسوقها لشرب الذي يسمى الورد. وتسمى عودتها من الماء الصدر حيث لا يبقى على الماء أحد^(٦)

(١) ثمار القلوب ٦٣٤

(٢) تشبيهات لأبي عون ٢٩٦

(٣) للمعان ليل وإبيداني ١٦٣/١.

(٤) الأرملة والأمكة ٢٧٧/٢ والمهداني ١٣٦/٢.

(٥) النصارى، صدر انظر من (٨٠) من الدراسة

ليلة السر: وهي الليلة التي يغيب فيها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الغامض أو القبيح من الناس أو الأشياء. قال أوس^(١):

فلو كنتم موالي لكنتم كليلة سر لا هلال ولا بدر

ليلة البدر: وهي الليلة التي يكتمل بها القمر، استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الحسن أو الوضوح من الناس أو الأشياء، قال زهير^(٢):

لو كنت من شيء سوى بشر كنت النور ليلة البدر

ليلة العروس: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الحسن من ناس والأشياء، ومن ذلك قول الشاعر^(٣):

وشادني في الحسن كالطاووس أحلاقه كليلة العروس

ليلة حرة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى صعوبة الشيء أو العجز عن تحقيقه والتعبير مأخوذ من الليلة التي ترف فيها الصائغ إلى روجها فتمتع عليه ولا يقدر على اختصاصها ومن ذلك قول النابغة^(٤):

شمس موانع كل ليلة حرة يحلفن طن الفاحش لمفهار

ليلة شياء: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى سهولة الشيء والقدرة على تحقيقه والتعبير مأخوذ من الليلة التي ترف فيها الصائغ إلى روجها وتمكنه من نمسها فيقدر على اقتراحها، وقالوا أيضا ليلة حرة هي الليلة الأولى من الشهر، وليلة شياء هي آخر ليلة في الشهر^(٥).

هلال شوال: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى ما يسر به الناس

أو يحتملون فيه، والمعنى مأخوذ من معنى شهر المطر بعد صيام رمضان، قال ابن المعتز^(١):

فخلاته والعيسون تأخذه من كل فج هلال شوال
كما يقول ابن الرومي^(٢)

سلب الزمان جماله عن نفسه ففدا وراح وما عليه جمال

هكأنه رمضان في إخباره وكأنه في جوده شوال

قمر الشتاء: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الوقت القصير أو الشيء الضائع فقالوا أصعب من قمر الشتاء لأنه لا يحل في فيه كما يحل في قمر الصيف^(٣)

٢ - ٤ نجد إلى جانب هذه التعبيرات الاصطلاحية المركبة من لفظ زمني مصدق لفظ آخر وتولدت منهما دلالة معية اتفقت عليها الجماعة العربية صورة أخرى من هذه التعبيرات التي تتركب من لفظ زمني مضاف لاسم علم مشهور وتتولد منهم دلالة معية اتفقت عليها الجماعة العربية^(٤)، ونلاحظ أن هذه التعبيرات أيضا ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث والحجرات التي مرت بالجماعة، وفيما يلي بعض هذه التعبيرات.

من البرامكة: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الشيء الحسن ورغد العيش، يقول أبو حيان التوحيدي: «إنه قد قيل لرجل صف لنا وليمة فلان، فقال لهم: كأنها زمن البرامكة أي لحسنها^(٥)».

عام ابن صمار: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى رغد العيش

(١) ثمار الصوب ٦١٨ (٢) ديوان ابن الرومي ٥ ١٩٦٢

(٣) ثمار الصوب ٦١٨

(٤) انظر كريم حسام لعين التعبير الاصطلاحى المضاف من التعبيرات ص ٣٦٣

(٥) بستان والسخائر ٢٩/٢ ثمار الصوب ص ٢٠٢

(١) سفيهايات لأبي عوف ٣٢٨

(٢) لمصدر نفسه انظر ص (٦٨) من الدراسة

(٣) انشائي ثمار الصوب ٣٣٠

(٤) نيلاني ١٧٧/١ اللسان عرس وحر

(٥) اللسان شيب زهر الأك ٨/١ ٢

و أعطاه، يرتبط هذا التعبير بأحمد بن عمار وزير المعتصم الذي أراد أن يحج دت
يوم ويجاور بيت الله الحرام بعد ما عزله الحليفة، فدفق إليه عشرين ألف دينار
ليمرقها على أهل الحرمين في مكة والمدينة، ولما حج بن عمار فرق هذا المال كله مع
عشرة آلاف كسبته، وحاور عامما ثم أنصرف فكان الناس يقولون: ما رأينا مثل عام
ابن عمار^(١).

عام جميلة استعملت الجماعة العربية التعبير بنفس الدلالة السابقة
يرتبط هذا التعبير بجميلة بن ناصر الدولة محمد بن مروان التي حجت عام
٣٦٦هـ وفقرت الأموال وأظهرت من المحاسن ما لا يوصف وروى أنها نشرت على
الكعبة عشرة آلاف دينار وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية ووصلت الفقراء
لمحاورين بالصلوات الجزيلة فصار حجا دريحا مذكورا وصار مثلا مشهورا^(٢).

سيت خالد استعملت الجماعة العربية التعبير بدلالة شظف العيش
ويرتبط التعبير بحالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم الذي ولي لمدينة سبع
سنتين من قبل هشام بن عبد الملك، فأقحط الناس حتى أحلى أهل البوادي إلى
النعام وكان يقال سيايات خالد لا أعاد الله مثله^(٣).

سوسو يوسف استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة أيضا إلى
شظف عيش والفساد مأخوذ من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُنْ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ (يوسف: ٤٨)، وحاء هي حديث الدعاء على قريش «أعنى عيهم بسين
كسنى يوسف» وهي التي ذكرها الله تعالى في الآية^(٤).

يوم عبيد: استعملت الجماعة العربية هذا التعبير للإشارة إلى سوء الطالع
والزمان المشؤم، ويرتبط التعبير بقصة عبيد بن الأبرص الشاعر الذي توجه لسمعان
بن المنذر في يوم يؤسه الذي كان لا يجو من لقيه فيه، كما كان لا يحيب من لقيه في

يوم نعيمه، ونروى لنا المصادر أن المعمر قال: إنك مقبول فأشدنى من فولك أقمر
من أهله ملحوب فأشدته قاتلا:

أقمر من أهله عبيد قال اليوم لا يبدي ولا يعيد
ثم أمر بقتله فسار يوم عبيد مثلا ومن هذا قول أبي تمام^(١)

لما أطلتنى سمائك أكملت تلك الشهود على وهي شهودي
من بعد ما طن الأعادي أنه سيكون لي يوم كيوم عبيد

يوم حليلة. استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الأمر الذي يداع
وينتشر، والتعبير مرتبط بقصة حليلة بنت الحارث التي جهر أبوها دت يوم حيش
لقتال المنذر بن ماء السماء وأمرها أن تخرج معهم حامية مركبا تطيب به الحبود في
هذا اليوم الذي يعد من أشهر أيام العرب، وفي ذلك يقول النابغة^(٢)

تخيرن من أزمان عهد حليلة إلى اليوم قد جرب كل التجارب
ليلة السعة استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى المعاناة والأرق
أو طول الوقت، ويرتبط التعبير بقول النابغة الديلمي في قصيدته البيئية التي
يخطب فيها استه

كليتي لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
أو بقوله في قصيدته العينية معتذرا^(٣)

هبت كائن ساورتني ضئيلة من الرقش في أليانها اسم نافع
ينقل لنا الثعالب عن أبي العيلاء عن الأصمعي قوله: «انصرفت ليلة من دار
الرشيد وأنا أشكو علة ثم غدوت إليه فقال لي: يا أصمعي كيف بت ؟ فقلت بليله
النابغة يا أمير المؤمنين، فقال إنا لله، هو قوله: هبت كائن ساورتني... فقلت والله
بأمر المؤمنين ما أخبرت خبره، وإنما أردت قوله: كليتي لهم يا أميمة...»^(٤)

(١) انظر الخبر بالأعلى ١٩٧٠/١١ ط الشعب ثمار سبوت ٢١٥

(٢) لميداني ٢٤٩/٣

(٣) لأعلى ٢٨١٢/١١، ٢٨٢٦ ط الشعب. (٤) ثمار القلوب ٦٣٦

(٢) المصدر نفسه ٤

(١) ثمار القلوب ٢٠٤

(٤) النهاية ٤١٤/٢

(٢) المصدر نفسه ١٥١

ليلة التوكل: استعملت الجماعة العربية التعبير للإشارة إلى الأمر الخطير والحدث الجلل، ويرتبط هذا التعبير بالليلة التي قتل فيها الخليفة العباسي المتوكل وقد كانت كما يقول النحلي ثلثة الإسلام وعنوان سقوط الهيبة وكانت ليلة الأربعاء خلت من شوال ٢٤٣هـ ومن ذلك قول الشاعر

كم آمن متحصن في جوسق قد بات منه بليلة المتوكل

ونجد من هذا القليل تعبيرات أخرى مثل ليلة الخلافة^(١) ويدل التعبير على توالي الأحداث وتتابعها في آن واحد، وكما يقول النحلي هي ليلة لم يتم مثلها قط وكانت ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول عام ١٧٠هـ فقد مات في هذه الليلة حسيمة المهدي، وولد فيها الحسنة المأمون واستحلف فيها الخليفة الرشيد، وخلافة ابن المعتز^(٢) يشير التعبير إلى ما لا يطول أحده من الناس والأشياء ويرتبط التعبير بابن المعتز لأنه ولي الخلافة يوما أو بعض يوم ثم أدخل العباس ثم مات وقيل إنه قتل ولم يقدر أحد على رثائه^(٣).

٢ - ٥ رأسا التعابير الاصطلاحية التي اعتمدت على الإصافة بين الألفاظ الزمانية وألفاظ مختلفة تارة، وأسماء الأعلام تارة أخرى، وقد تنوعت دلالات هذه التعابير وسنرى فيما يلي أن العربية قد عرفت أيضا صورة ثالثة هي المبنى من التعابير الاصطلاحية، أي التي تبدأ بلفظ ابن أو ست مضافا إلى اللفظ الزمني ومن هذه التعابير^(٤): ابن الأيام الرجل المجرب، ابن الليالي: القمر، ابن الليلة: الهلال، ابن ذكاء الصباح: ابن الدهر. النهار أيضا سمير: الليل والنهار سميا بذلك لأنه يسمر فيهما وقد قالت العرب: لا أفعل ذلك ما سمير أبنا سمير أي لا أفعل ذلك أبدا.

وقالت أيضا: يا جمر: الليل والنهار سميا بذلك للاجتماع فيهما من ممولهم

(١) لمار العنوب ١٩٠

(٢) لمار العنوب ٦٣٦

(٣) لمار العنوب ١٩١

(٤) رثاء أبو بكر العلاف بمصيدة رمية ورث فيها يهرج حوقا من الحليمة المعتز قاتلا

يد هر فارقت ولم تمجد وكنت منا بمقرلة الولد

وكيف دمك عن هوائك وقد كنت لنا عنة من العبد

انظر العنينة، نهاية الأرب ٢٩٣/٩

أحمر القوم على الشيء إذا اجتمعوا عليه وجمير القوم مجتمعهم، وقيل إن ابن جمير ليل المظلم وابن سمير الليل المقمر ومن ذلك قولهم: لا أفعله ما جمر ابن جمير. ومن هذه التعبيرات أيضا: يو الأيام: أهل العصر بنات البحر: المصائب والشدائد، بات الليل الأحلام وقيل النساء أيضا^(٥).

ونجد صورة رابعة عرفت في العربية لتعابير الاصطلاحية، وهي المثنى^(٦)، وبلاحظ أن هذه الصورة تظهر في شكل لفظين يقلب أحدهما على الآخر لانماق السمين في صفة معنة كما نرى في تعبير: «الأبوان» بمعنى الأب والأم بتعليب لفظ الأب، والقمران بمعنى القمر والشمس بتعليب لفظ القمر ومن هذه التعبيرات: اللان: الليل والنهار، الصباحان: الصباح والمساء، والعمران: المستطيل والمستطير، والعشاءان: العشاء والمغرب، والعصران: العصر والظهر، والرجبان: رجب وشعبان، والصمران: صمر والمحرم.

ونجد صورة أخرى للمثنى من التعبيرات مثل: الرمدان: الليل والنهار سميا بذلك لأن كلا منهما يردف صاحبه، الأصمران: الليل والنهار لأن كل منهما ينصرف من الآخر، الجديدان: الليل والنهار سميا بذلك لأن كلا منهما لا يبلى أبدا، والخندان: الليل والنهار، الملوان أيضا، ومن ذلك قول الشاعر: ^(٧)

ألا يا ديار الحى بالسبيحان مر عليها البلى الموان

والأردان: العداة والعشى، والعصران^(٨) وقد يراد بهما الليل والنهار جاء في حديث من صلى البردين دخل الجنة أي الصجر والعشاء، وفي الحديث: أنصا وحافظ على العصرين وهما صلاة المحر وصلاة العصر لأنهما يقعان في طرفي النهار^(٩).

★ ★ ★

(١) انظر كريم حسام: المبنى التعبير الاصطلاحى من ٢٧٥

(٢) انظر لمار العنوب ٣٦٤ - ٢٧٠ - ٢٧٥، الأرمية و لأمكة ٢٥٥/١.

(٣) انظر كريم حسام: مبنى التعبير الاصطلاحى من ٢٨١

(٤) اللسان سبع

(٥) انظر هذه التعبيرات في مواضعها بلسان العرب و قطرب الأرمية وتلبية لجاهلية ٥٨، انحصص ٥٦/٩

(٦) النهاية ١١٤/١، ٢٤٦/٢

الفصل الرابع

دلالة الزمان والسياقات اللغوية

سبق أن أشرنا إلى أن بعض اللغويين المحدثين يرى التفرقة بين - مصطلحي الزمان والزمَن، فالأول يقابل ما نعرفه في الإبحيرية باسم Time الذي يقاس بالسواني والساعات والأيام والشهور ويعبر عنها بالأسماء الدالة على أوقات الزمان، والثاني يقابل ما نعرفه في الإنجليزية باسم Tense أي الزمن اللغوي الذي يعبر عنه بالصيغ الصرفية والسياقات اللغوية^(١)

وبناء على هذه التفرقة بين مفهوم الزمان والزمن نجد في اللغة ثلاثة أقسام للزمن

زمن الأوقات الذي نعبر عنه بالأسماء والعايير التي تحدد أوقات الزمان وتحمل معنى الظرف والمعنى هنا معمى.

الزمن النحوي: الذي يشمل الزمن الصرفي الذي يتمثل في صيغ الأفعال، والزمن السياقي الذي يتمثل في التراكيب المختلفة والمعنى هنا وظيفي.

الزمن الاقتراضي: وهو الزمان الذي يكون بين حدثين، وهذا الزمان يفهم من ظروف الزمانية المنهية التي لا تبدل على الزمان الماضي أو المستقبل إلا إذا أضيفت أو اقترنت بالتركيب مثل أبداً، قط، عوص، قبل، بعد، إذ، إذا، متى، إيان، منذ، منذ، لأن، لئن، عند، ريث^(٢).

(١) د. تمام حسان مناهج البحث في اللغة ص ٢١١ انظر ص (١١٧) من الدراسة وما بعدها

(٢) انظر هذه الظروف في مواضعها من لغات العرب

أبدأ: ظرف زمان يستعمل لاستعراق المسمى أو الإثبات في المستقبل واستمراره، تقول لا أكلمه أبداً، أى من لدن تكلمت إلى آخر عمرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُحِبُّهَا أَبَدًا مَا دُمُوا فِيهَا﴾ (البقرة: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿مَا أَطْنُكَ سِوَى هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٣٥).

استعملت العربية لفظ الأبد بدلالة الزمان غير المحدد في المستقبل وجمع آباد فقالوا أبد بالمكان يآبد أبوداً، أقام به لم يبرحه، وقالوا وقف الرجل أرضه رقعاً مؤبداً إذا جعلها حسماً لا يباع ولا يورث والتأسد التحلید فتقول لا أفعل ذلك أبداً، الأبد أو أبد الآباد^(١).

قَطُ: ظرف زمان غير منصرف يستعمل لاستعراق المسمى في الماضي، تقول ما فعلت ذلك قط، بقول المرزوقي: قط اسم ينتظم أول الوقت إلى آخر ملعه منه، وهو عبارة عن أمده ومدته هوجب لذلك أن يكون مصافاً إلى دى الوقت، كما أصيب إليه قبل وبعد، فلما انقطع عن الإضافة بنى على الصم.

عَوَّضُ: ظرف زمان لدلالة الزمن في المستقبل بمعنى أبداً فتقول لا أحرقك عَوَّضُ أى أبداً، كما يستعمل لاستعراق الزمن الماضي المسمى بمعنى قط فتقول ما رأيت مثله عَوَّضُ أى قط، وببني اللفظ إذا قطع عن الإضافة، ويعرب إذا أصيب كما نرى في هذا التعبير «لا أفعله عَوَّضُ العائضين» أى أبداً الأبد.

قَلُ: ظرف زمان معرب يلزم الإضافة فإن قطع عنها بنى على الضم أو نصب متبوعاً، في مثل قولك: سافر على وسافر أخوه قبله أو من قبله، وقد يحذف المضاعف فيبنى على الصم فتقول: سافر على وسافر أخوه قبل ومن قبل ويجوز الإعراب على التوين فتقول قبلأ ومن قبل، ويجوز تصغير قبل فتقول قبل بصلحاء جاء على قبيل الظهر أى قبله بزمان يسير.

قد جاء الظرف في القرآن الكريم مبيناً في قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٥).

(١) يظن من ٤٣، ٩٣، ١٢١ من الدراسة

كما جاء معرباً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٧٨).
نَعْدُ: ظرف زمان صد قبل، يلزم الإضافة فإن قطع عنها بنى على الضم أو نصب متبوعاً، تقول جاء محمد وحاء أخوه بقْدُ ونَعْدُ ومن نَعْدُ، قد جاء معرباً ومبنياً في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِفُتُورٍ عَهْدٌ لَهُ مِنْ بَعْدِ مِثَاقٍ﴾ (البقرة: ٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكُنَّ أَكَلْنَ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَكُونَ رُوحاً غَيْرُهُ﴾ (البقرة: ٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (البقرة: ٢٢٧) وقوله تعالى: ﴿إِنْ شَاءَ يُدْهِبِكُمْ وَيَسْتَحْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٧٣) ويجوز تصغير بعد مثل قبل فتقول بُتيد لمعرب الزمن الواقع بعد الحدث المقصود التعبير عنه.

يَا: ظرف زمان مبهم يستعمل للمستقبل ينصم معنى الشرط في مثل قولك إذا اجتهدت نجحت، كما يتضمن معنى المفاجأة في مثل قولك خرجت فإذا نصراً بالباب، وقد جاء لظرف في مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُرْتِ الْأَرْضَ رَلْرِ لَهَا﴾ (سورة ١).

إِذْ: ظرف زمان مبهم يستعمل للماضي، لا يقع إلا بعد جملة وقد تحذف ويعوض عنها بالتوين في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتَ الْخُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينُ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٨٢، ٨٣) أى حين إذ بلغت الروح الخلقوم، كما يتضمن الطرف معنى لمحاكاة في مثل قولك سمعنا أنا جالساً إذ جاء صديقي.

مَتَى: ظرف يسأل به عن الزمان المستمير في مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٦٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا لَوْعَدُكَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة ٧).

أَيَّانَ: ظرف يسأل به عن الزمان المستقبل ويكون بمعنى متى، تقول أيان تعودى متى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ آيَاتِ مُوسَى إِذْ عَلَّمَهَا عَبْدُ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا سِوَاهَا لَا هُوَ﴾ (البقرة: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْنِي مِنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (الأنعام: ٦٥).

مُنْذُ وَمُنْذُ ظَرْفَانِ يَدْلَانِ عَلَى ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ فِي الرَّمَنِ، أَيْ إِذَا أُرِيدَ تَعْرِيفُ مَدَّتِهِ، فِي مِثْلِ قَوْلِكَ لَمْ أَرِ صَدِيقِي مُصْطَفَى، فَيَسْأَلُكَ آخَرُ مَا أَمَدُ ذَلِكَ ؟ يَعْنِي انْقِطَاعُ الرَّؤْيَةِ فَتَقُولُ مِنْذُ أَسْبُوعَيْنِ أَيْ انْقِطَاعُ الرَّؤْيَةِ كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.

إِذَا كَانَ الزَّمَنُ مَاضِيًا كَانَتَا بِمَعْنَى مِثْلِ قَوْلِكَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ يَوْمِ الْأَحَدِ وَإِذَا كَانَ الرَّمَنُ حَاضِرًا كَانَتَا بِمَعْنَى فِي مِثْلِ قَوْلِكَ « مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ الشَّهْرِ أَيْ مَدَّةَ هَذَا الشَّهْرِ الْحَاضِرِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى مَعْدُودًا كَانَتَا بِمَعْنَى مِنْ وَائِلِي نَحْوِ قَوْلِكَ « مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَيْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

اِخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي الْأَسْمِ الَّذِي يَقَعُ بَعْدَهُمَا فَيَكُونُ بَعْدَهُمَا مَرْفُوعًا فِي مِثْلِ قَوْلِكَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوْ مِنْذُ يَوْمَانِ وَهَذَا عَلَى هَذَا مَبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهُمَا خَبَرٌ، أَوْ يَكُونُ مَا بَعْدَهُمَا مَحْرُورًا فَتَقُولُ مِنْذُ يَوْمِ الْخَمِيسِ وَمِنْذُ يَوْمَيْنِ وَقَدْ اِعْتَبَرَهُمَا ابْنُ هِشَامٍ حَرْفَيْنِ جَارَيْنِ وَلَيْسَا اسْمَيْنِ وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُمَا ظَرْفَانِ مُصَدَقَانِ لِلْجُمْلَةِ وَمُنْذُ مُحَمَّصَةٌ مِنْ مِنْذُ وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْمَعُونَ دَالَّ مِنْذُ عِنْدَ انْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ نَحْوِ قَوْلِكَ مِنْذُ الْيَوْمِ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَصْلُ الضَّمُّ لَكُسِرَتْ الدَّلْ.

لَأَنَّ ظَرْفَ رَمَانٍ يَشِيرُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَاللَّفْظُ مُشْتَقٌّ مِنْ قَوْلِهِمْ أَنْ الشَّيْءُ يَنْشِئُ نَشْأَةً تَنْتَ وَفَتْهُ يَقُولُ أَنْ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا أَيْ حَانَ وَقْتُ ذَلِكَ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْنُوا لِكُلِّ فِتْنَةٍ يَتَّبِعُهَا وَمَا كَذُورُ الْفَاعِلِينَ﴾ (البقرة: ١٧٠) وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِذْ حَصَرُوا أَهْلَهُمْ لِمَوْءَلٍ بِبَيْتِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ (سجدة: ١٨).

لَدُنْ: ظَرْفُ زَمَانٍ تَمِيدُ أَوَّلَ غَايَةِ الزَّمَانِ، كَمَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى الْمَكَانِ بِمَعْنَى عِنْدَ وَهُوَ مَعْنَى عَلَى السَّكُونِ وَيَجُوزُ جَرُّهُ بِعَنْ وَقَدْ تَحْذِفُ النُّونَ فَتَقُولُ مِنْ لَدُنْ صَلَاةَ الْعَصْرِ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، جَاءَ اللَّفْظُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

عِنْدَ ظَرْفُ لِمَكَانٍ الْحَصُورِ فِي مِثْلِ قَوْلِكَ وَقَفْتَ عَنِ الْبَابِ، وَلِزَمَانٍ الْحَصُورِ فِي مِثْلِ قَوْلِكَ رَحِمْتَ عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، أَوْ عِنْدَ اللَّيْلِ وَلَا يَأْتِي اللَّفْظُ إِلَّا ظَرْفَ

مِصْبُوحًا أَوْ مَحْرُورًا بِمَنْ فَقَطْ فَتَقُولُ أَتَيْتَ مِنْ عِنْدِهِ وَدَلَّ بِمَعْنَى هَذِهِ بَصْرَةٌ وَلَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا بِدَلَالَةِ ظَرْفِ الْمَكَانِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ لَا هُوَ كَمِ عِنْدِي خِرَائِلُ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٠) وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُنَّ لَنَا﴾ (الأنعام: ١١٨).

رَبْثٌ: مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِكَ وَاتَّ يَرِثُ رَبْثًا أَيْ أَنْطَأَ، يَسْتَعْمَلُ اللَّفْظُ ظَرْفًا بِمَعْنَى مَقْدَارٍ لِمُهْلَةٍ مِنَ الزَّمَانِ مِثْلَ مَا لِلْفِعْلِ، كَمَوْلِكَ: رَبْثٌ جَاءَ زَيْدٌ أَيْ حِينَ جَاءَ زَيْدٌ، وَقَفَّ الْمَطَارُ رَبْثًا صَعِدَ الْمَسَافِرُونَ أَيْ مَقْدَارَ صَعُودِهِمْ وَمَا حَلَسَتْ عِنْدَهُ إِلَّا رَبْثٌ أَشْرَبَ الْقَهْوَةَ أَيْ مَقْدَارَ شَرِبِي الْقَهْوَةَ. جَاءَ فِي الْحَدِيثِ « قَلَمُ نَبِثٍ إِلَّا رَبْثًا قَلْتُ أَيْ قَدَرْتُ ذَلِكَ

سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ النُّحَاةَ الْمُسْلِمِينَ دَرَسُوا ظَرْفِي الرَّمَانِ وَالْمَكَانِ تَحْتَ عَوَانٍ وَاحِدٍ فِي قِسْمِ الْمَفْعُولَاتِ لِامْتِرَازِهِمَا فِي وَطِيئَةٍ نَحْوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ وَعَدَائِيَّةُ الْحَدِثِ فَهَذَا حَدِثٌ فِي زَمَانٍ وَذَلِكَ حَدِثٌ فِي مَكَانٍ^(١)، وَلَا كَانَتِ الْأَحْدَاثُ الَّتِي تَقَعُ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ بَعْضُهَا جَرَى فِي الْمَاضِي وَآخَرَى سَجَرَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَثَالِثَةٌ تَجَرَى فِي الرَّمَنِ الْحَاضِرِ، فَقَدْ قَسَّمُ النُّحَاةَ مِنْذُ سَبَبِيَّةِ الْحَدِثِ فِي (الرَّمَانِ) إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، قِسْمٌ لَمَّا كَانَ وَهُوَ الْمَاضِي، وَقِسْمٌ لَمَّا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ وَهُوَ الْحَاضِرُ، وَثَالِثٌ لَمَّا يَكُونُ وَلَمْ يَقَعْ وَهُوَ الْمُسْتَقْبَلُ^(٢)، وَهِيَ قِسْمَةٌ تَقَابِلُ الْحَدِثَ فِي الْمَكَانِ قَرِيبٌ، وَمُتَوَسِّطٌ، وَبَعِيدٌ وَنَعْرِضُهُ أَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ دَا، دَاك، ذَلِكَ.

وَإِذَا كَانَ النُّحَاةَ مِنْذُ سَبَبِيَّةِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ الَّتِي تَصْنَفُ الْأَحْدَاثَ إِلَى أَحْدَاثٍ جَرَتْ فِي الْمَاضِي وَآخَرَى سَجَرَى فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَثَالِثَةٌ تَجَرَى فِي الرَّمَنِ الْحَاضِرِ، لَا أَنَا نَرَى التَّنَاقُضَ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ عِنْدَمَا اصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَةِ تَفْعَلُ لَدَى بِشِيرِ الرَّمَنِ الْحَاضِرِ بِالْمَصَارِعِ فَحَرَدُوهُ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ مِنْ مَفْهُومِهِ الرَّمَنِ، وَيَعُودُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَدْرُسُوا الْفِعْلَ إِلَّا مِنْ حُجَّةِ كَوْنِهِ عَامِلًا، بَلْ اِعْتَبَرُوهُ أَقْوَى الْعَوَامِلِ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ وَكَانَ هَذَا عَلَى حِسَابِ دَوْرِ الْعَمَلِ فِي التَّعْبِيرِ الرَّمَنِ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَحْمَعُوا بَيْنَ الرَّمَنِ وَالْإِعْرَابِ لِأَنَّ الزَّمَنَ طَاهِرَةً تَرْتَبِطُ بِالْعَمَلِ، وَالْإِعْرَابُ يَرْتَبِطُ

(١) انظر ص ٣٨ ١٧٩ من درسه

(٢) انظر سببويه الكتاب ٢٣/١

بالاسم لقولتهم المشهورة « الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال » هذا بالإضافة إلى أن الزمن سمة فارقة بين الفعل والاسم وإلى جانب ما يتضمنه الفعل من حدث من جهة مادة الاشتقاق فإنه يتضمن زمنا من جهة شكل الصيغة.

نقد ركز النحاة اهتمامهم على الزمن الصرفي من خلال الصيغ المعطية المعزولة عن سياقها، واعتبروا الزمن الصرفي زمنا نحويا، كما أنهم لم يدرسوا الصيغ الأخرى التي يمكن أن تدل على الزمن مثل المشتقات في اسم الماعل في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولْ لشيءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلك غداً * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الكهف: ٣٢) والمصادر في مثل قولنا التهجيد ليلاً/ولم يهتموا بدراسة الدلالات الزمنية الدقيقة التي يمكن أن تظهر من خلال السياقات النحوية المختلفة/كما نرى في الفعل الماضي تي ودلالاته الرمزية المختلفة في مثل هذه السياقات القرآنية التي تشير إلى الزمن الحاضر والمستقبل واماضي على التوالي

﴿ إِنَّمَا صَحَّرَا كَيْدُ مَاجِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ اتَّى ﴾ (طه ٦٩).

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء ٨٩).

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ (الإنسان ١).

كذلك لم يربطوا بين الصيغ الصرفية والسياقات التي تأتي فيها في مثل هذه لتراكيب بعكس هذه السيارة لمن تحدثه الآن، ودعاؤك لمن مات قائلاً: يرحمه الله ونتيجة لهذا الإهتمام بالزمن الصرفي وفصله عن الزمن النحوي أو السياقي تحدهم يدرسون ما يمكن أن يكون قرائن زمنية في السياق على أنه أدوات تؤدي وظائف إعرابية ولم يدكروا وظيفتها الزمنية إلا عرضاً، فلن تعمل في الأفعال المصارعة النصب في هذا التركيب: لن يكتب، ولم تعمل الجزم في هذا التركيب. لم يكتب.

لقد ذهب كثير من المستشرقين نتيجة لذلك إلى أن العربية لم تعرف إلا رميين صرفيين في صيغتي فعل ويفعل وكما يقول بعض الدارسين إن عدم اهتمام النحاة بالكشف عن الدلالات الزمنية المختلفة من خلال السياق لا يدل على اعتقار العربية

في مفهوم الزمن المتكامل كما نراه في اللغات الأخرى. فاللغة العربية مثل اللغات الأخرى تعرف إلى جانب التقسيم الثلاثي للزمن التقسيم الساعي كما يلي (١) :

- ١ - الماضي فعل
- ٢ - قبل الماضي كان + فعل
- ٣ بعد الماضي كان + قد + فعل
- ٤ الحاضر يفعل
- ٥ - المستقبل يصع
- ٦ قبل المستقبل سيمعل
- ٧ - بعد المستقبل سوف يصعل

من هنا نجد دلالات متعددة في الزمن الماضي تعرفها العربية كما يلي:

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| الماضي البسيط | في صيغته فعل |
| الماضي البعيد المقطع | في التركيب كان فعل |
| الماضي القريب المقطع | في التركيب كان + قد + فعل |
| الماضي المنتهي بالحاضر | قد فعل |
| الماضي المتصل بالحاضر | ما زال يفعل |
| الماضي المتحدد | كان يفعل |
| الماضي المستمر | ظل يفعل |
| الماضي المتقارب | كاد يفعل (٢). |

★ ★ ★

(١) انظر د. تمام حسان العربية مصنفها ومبناها ٢٤٢ - ٢٤٥
(٢) المصدر نفسه ٢٤٨ وانظر الدلالات المحتملة للزمن الحاضر والمستقبل.

فهرس الألفاظ والتعابير الدالة على الزمان في الدراسة ١٠

(أ)	(ب)
أينما ٢٠٤	أسر ٦٨
الأبد ٢٠٤، ١٢١، ٩٣، ٤٤	ليلة البراء ٧٠
الأبدى ١٦٤، ٢٠١	ليرج ٧٢
إيهام لعطا (يوم) ٨٥	ليروح الثابتة ٧٢
الأحدان ١٦٤	ليروح الحريف ٧٢
الأجل ٩٤، ١٣٠	ليروح الربيع ٧٢
إحياء الوقت ١٠٦	ليروح لشتاء ٧٢
لإدلاج ١٨٠، ١٨٥	ليروح لشمس ٧١
الإراحة ١٨٥	ليروح الصيف ٧٢
الأزل ٩٤، ١٢٢	ليروح المقلبة ٧٢
لأرلم الحدج ٨٢، ٩٣، ١٢٢	لثروة ١٨٢
الأسنوع ١٥٢	مطل الحوت ٦٨
الأميد ٧٢	لمطلى ٦٨
الاستراء ١٨٠، ١٨٥	بعد ٢٠٥
لأصمران ٢٠١	ليكرة ١٦٩
الأصيل ١٧١	البدة ٦٨
لأعزل ٦٨	البيهر (الليالى) ٦٩
لأصهار ١٨٥	البيص (الليالى) ٦٩
لإكليل ٦٨	النبات ١٧٥
الآل ٧٨	
لأمد ١٣٠	(ت)
أمر ١٦	بثارة ١٢٩
الأمه ١٢٢	لثاويب ١٨٠، ١٨٥
لأن ٢٠٦	لنحيين ١٨٦
لإسى ١٦٥	لثعريس ١٨٠، ١٨٥
أنعد (بات بلدة) ٨٢	لثعوير ١٨٥
الأوان ١٢٥	لثمام (ليلة) ١٩٥
أيان ٢٠٥	لثعور ١٨٥
	لثعوبم ١٨٥

* ريبب لافظا و لتعابير لعلباليا دول لجريرد الكلفة لأصلها لثلاثى مع لحدف الألف واللام

لثوة ١٦٦

(ث)
لثريا ٦٨، ٦٠
لثور ٧٢

(ج)
لثارية ٧٤
لثاشوية ١٨٠
لثبهة ٦٨
لثدى ٦١، ٧٢
لثديدان ١٦٤، ٢٠١
لثجمعه
لثجمل (لثعد لثليل)
لثب لثجير ٢٠٠
لثحبب (لثسرى لث)
لثحوارى لثحسن ٦١
لثحرراء ٧٢
لثجوة ٧٤

(ح)
لثحوس ١٤٢
لثحعة ١٣٩
لثحج ١٨٥
لثحدثان ٢٠١
لثحمل (لثعر) ٨٢
لثحصو (لثديك) ٨٣
لثحصو (لثطير) ٨٥
لثحصور ٤٤
لثحصبة ١٣٦، ١٣٩
لثحقب (لثبدة)
لثحمام (لثبة) ٨٣
لثحمل ٧٢
لثحادس (لثسالى) ٦٩
لثحوت ٧٢
لثحول ١٣٨
لثحين ٩٤، ١٢٤

(خ)
لثحريف ١٤٥
لثحدود ٤٤

(د)
لثس لثو (لثيالى) ٦٩
لثميران ٦١، ٦٨
لثنارارى لثحمصة ٦١
لثنرع (لثلبالى) ٦٩
لثدلو ٧٢
لثنهر ٩١، ١٢٠
لثبن لثنهر ٩٢، ٢٠٠
لثبن لثنهر ٩٢
لثبنت لثنهر ٩٢، ١٩٤، ٢٠١
لثكل لثليه لثنهر ٩٢، ١٩٣
لثرب لثنهر ٩٢
لثبنت لثنهر ٩٢
لثدهماء (لثيله) ٧٠
لثدوام ٤٣
لثديك (لثفريد) ٨٣
لثديك (لثسو) ٨٤

(ذ)
لثندراع ٦٨
لثذكاء ٧٤
لثبن لثذكاء ٢٠٠

(ر)
لثربيع ١٤٤
لثرجب ١٤٩
لثرجبان ١٤٩، ٢٠١
لثرفاس ٢٠١
لثرؤبة ١٦٦
لثرواح ١٧٥، ١٨٠
لثريث ٢٠٧

(ز)
لثربابى ٦٨

البردة ٦٨

زحل ٦٢

الرلة ١٦٦

الزمان ١١٩، ٩٠

ومن لبرامكة ١٩٧

ومن السلام ١١٠

ومن المصلح ١١٠

الزهر (الليالي) ٦٩

الزهرة ٦٢

الروال ١٧١

(س)

الساعة ١٦٤

ساعة الحجر ١١٠

ساعات النهار ١٦٦

ساعات الليل ١٧٣

لسيرة ١٦٩

سحبس عجيس ١٢٣

سحابة صيف ١٩٥

السحر ١٧٦

المنحور ١٧٩، ١٨٤

لسلفة ١٧٧

السرح ١٨٥

الصراب ٧٨

المنرحان (نصب) ١٦٧، ٨١

نسرمد ١٣

لنصران ٧٢

لنسرمد ١٢٢

مسند لأحبه ٦٨

مسند الدايح ٦٨

مسند السعود ٦٨

السمالك الأعزل ٦٨

الشمس ١٨٠، ١٨٥

ابن منير ٢٠٠

العبه ١٣٦، ٩٤

سنة لعمار ٨٢

السنة (نصوة) ١٩٣، ٩٥

صنو يوسف ١٩١، ١٩٨

سنيات خالد ١٩١، ١٩٨

السيلة ٧٢

السها ٦١

سهيل ٦١

السوء (ليلة) ٦٩

(ش)

الضياء ١٤١

الشرطان ٦٨

الشمس ٧٣

شمس العصر ١٦٧

الشعاع ٧٤

الشعريان ٦٠

الشولة ٦٨

شوال (هلال)

الشهب الليالي ٦٩

الشهر ١٤٦

الأشهر الحرم ١٤٩

الشهور العربية ١٥٠

ليالي الشهر ٦٩

(ص)

الصبح ١٦٧

لصبح ١٧٩، ١٨٤

الصباحان ٢٠١

با صبحاء ٩٧

الصرفه ٦٨

الصريم ١٧٧

الصمر ١٤٩، ٢٠١

صكه عمى ١١٠

الصيف ١٤٣

(ض)

الضح ٧٤

الصبحى ١٠٩

الصبح ٩٦

(ط)

الطائع ٦٤

الطنفه ١٣٢

الطرف ٦٨، ٨٥

الطروق ١٨٠

الطلاق ١٨٧

الطويل ١٧٢

الطهير ١٨٩

الطور ١٢٩

الطير فى وكناتها ٨٢، ٨٥

(ظ)

الظل ٧٦

الظاهرة ٨١، ١٨٧

الظنم (الليالي) ٦٩

الظهيرة ١٦٩

(ع)

العام ١٢٨

عام لجراد ١٩١

عام جمية ١٩٨

عام الحزن ٩٨

عام الختان ١٩١

عام الرمادة ١٩١

عام ابن عمار ١٩٧

عام الميل ١٩١

اعتنه ٨٠، ١٠٢، ١٧٣، ١٨٦

لعتاء ١٨٢، ١٧٩، ١٨٤

العشاءان ٢٠١

العشى ١٧٢

العصر ١٢٧، ١٧١

العصران ٢٠١

قبل لعصان ٨٥

عصاره ٦٢

العصرب ٧٢

ليلة العقيب

العمر ١٢٩

عمر الحسل ٨٢

عد ٢٠٦

العهد ١٢٦

العواء ٦٨

عوص ٢٠٤

العيد ١٨٧

عيد الأصحبى ١٨٨

عيد المطر ١٨٨

عيد العدير ١٨٨

قبل غير وما جرى ٨٥

العيقوق ٦١

(غ)

العائره ١٧٠

العيب ٥٧، ٧٩، ٨١، ١٨٧

عيب هلال ٨١

عيب الحمار ٨١

لعيش ١٧٦

العيقوق ١٧٩، ١٨٤

عد ١٦٠

لعد ١٦٨

امداد ١٧٩، ١٨٤

العسو ١٨٠، ١٨٦

المرز (الليالي) ٦٩

العزالة ٧٤

العسق ١٧٤

لعمر ٦٨

العلس ١٧٦

(ف)

الفتوه ١٣٨

فسد ٨

فصجر ٦٠

لمحور لستقيم ١٦٧
 لمحور لستطيل ١٦٧
 المحور ٢٠١
 هجمة ١٨٠
 مناعة المعجر ١١٠
 المرغ لأول ٦٨
 المرغ الثاني ٦٨
 لمرقد ٦٠
 انمصل ١٤٠
 لمصيه ١٤٠
 امطعل (ومن) ١١٠
 انص ١٦٧
 فلك البروج ٧٩
 سة ابلية ٧
 ساعه الفته ١٦٥
 هواج نقه ٥٧، ٧٩، ٨٠
 اميت ٧٧

(ف)

لقائه ١٧٠
 قين ٢٠٤
 لمرء ١٨٨
 اقرب ١٨٧
 لقرب ١٣١
 لمط (يوم كانهم) ٨٥
 قص ٢
 لمطع ١٧٧
 اعطب ٦٨
 انعم ١٨، ٦٢
 قمر الشتاء ١٩٧
 الفوس ٧٢
 لميل ١٨٠، ١٨٤

(ل)

ل ٢٦
 لمح النصور ٨٥

انين ١٦٢
 انين اعور ١-٩
 صاء ليل ٢٠١
 ليل لصيرير ١٩٥
 لين المحب ١٩٥
 بل (حاطب) ١٩٤
 لليلان ٢٠١
 سيلاء (لنة) ٧
 سة بعد ٨٢، ١٩٥
 سة سدر ٧
 ليله لتمام ١٩٥
 سة حرد ٩
 سة حلاله ٢
 سة سدر ١٩٦
 سة ش ٩٦
 ليله ص ٨، ٩٦
 سة صيد ٥٥
 سة بعرهس ٥٦
 ليلة العقرب ٨٢، ١٩٥
 لنة لندر ١٩٤
 سة الموسكل ٢٠٠
 سة خيال ٩٥
 سة سبعة ٩٩
 س ل سة ٢
 س ل س

(م)

مس ٢٥
 محرد ٥٠
 محدي ٩
 سة ٢٧
 سة ٦
 برصد ٢٠
 المريخ ٦٢
 لساء ١٧٤

مس ٢٢
 مشري ٢
 مسد ٤٢
 مصى ١٠
 لمصع ٤٢
 بعرب ٧٢
 سة ١٦٤
 سلاوه ٢٨
 سدا بحريد ٦٨
 سدا لربيع ٦٨
 سدا لشت ٦٨
 سدا لصيد ٦٨
 سدا لشعر ٦٧
 سدا ٢
 حوسم ١٨٨
 بوعد ١٨٥
 لير ٧٢
 سمات ٤٣، ٢٢

(ن)

لشقة ١٠٨
 شرة ٦٨
 سخم ٥٩
 لمصف سة ٧
 لمعنه ٦٨
 عشر ١٦
 سها ١٦
 سوه ٦٤

(هـ)

لها حرد ١١
 ليجور ٢٨٤

الهرج ١٧٨
 الهمة ٦٨
 لهمة ٦٨
 لهلل ٦٨، ١٤٧
 للال شوال ١٩٦
 انهل ١٨٦
 الهمة ٦٧

(و)

لوراء ٤٢
 لورد ٨٠
 اسرع من لورل ٨٢
 لوقت ٤٢، ١٢٢
 لحناء الوقت ١٠٦

(ي)

اليوم ٩٦، ١٥٩
 يوم الاخرة ١٩٢
 يوم الجمعة ١٥٧
 يوم حسنة ١٩٩
 يوم لربة ١٩٢
 يوم السبت ١٥٦
 يوم غيب ٩٦، ١٩٨
 يوم هلال ٩٦
 يوم محس ٩٧
 الايام ٩٧
 ايام لاسبوع ١٥٥، ١٥٧
 لايام لبيض ١٥
 نام الشريق ١٩٢
 ادم المعجور ١١١
 الادم المعطومات ١٩٢
 اس لانام ١٩٤، ٢
 بيو الانام ٢٠١

أولاً: المصادر العربية

- ابن الأثير: أبو السعادات، مجد الدين بن المبارك
انتهاية في غريب الحديث. تحقيق د. محمود الطنحاني وظاهر الزاوي ط. بيروت ١٩٦٥.
- ابن الأجداب: أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل:
الأزمنة والأواء. تحقيق د. عزة حسن ط. دمشق ١٩٤٦.
- الأصمغاني: أبو عبد الله حمزة بن الحسن:
الدرة الفاخرة في الأمثال. تحقيق عبد المجيد قطامش، ط. دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.
- الأصمغاني: أبو الفرج، علي بن الحسين:
الأغاني تحقيق إبراهيم الإبياري، ط. دار الشعب ١٩٧٢.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:
صحيح البخاري. ط. الشعب ١٩٦٨.
- البيهقي: أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز:
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. تحقيق عبد المجيد عابدين، ط. دار المأمون دمشق ١٩٨٠.
- البيروني: أبو الريحان، محمد بن أحمد:
الأثار الباقية عن القرون الخالية. تحقيق صباخو، ط. ليدج ١٩٢٢.
- التمالي: أبو منصور، عبد الملك محمد بن إسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار نهضة مصر ١٩٨٤.
- الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن يعر:
البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، ط. الخانجي ١٩٦٩.
- أبو حيان: أبو عبد الله محمد بن يوسف:
التفسير الكبير المسمى باليعر المحيط. ط. الرياض ١٩٧٠.
- أبو حيان: أبو محمد، علي بن محمد بن العباس:
الهوامل والشوامل تحقيق أحمد أمين، ط. القاهرة ١٩٥١.
- الرازي: فخر الدين، محمد بن عمر:
المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعات. ط. طهران ١٩٦٦.
- النويدي: أبو الفيض، محيى الدين السيد بن محمد:
تاج العروس من جواهر القاموس. ط. دار صادر بيروت ١٩٨٢.
- المسكوي: أبو سعيد، الحسن بن الحسين:
شرح أشعار الهذليين. تحقيق عبد الستار فراج، ط. مكتبة دار العروبة ١٩٦٩.
- ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق:
الأنقاط نشر لويس شيخو، ط. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٥.
- ابن مسكويه: أبو الحسن، علي بن إسماعيل:
المختصر. ط. بولاق ١٣٢٢.

الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير:

جامع البيان عن تأويل أي القرآن. ط. بولاق ١٢٢٢هـ.

تاريخ الأمم والملوك. ط. دار القلم بيروت ١٩٦٨.

ابن عبد ربه: أبو عمر، أحمد بن محمد:

المقد الفريد تحقيق أحمد أمين، ط. لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٢.

العسكري: أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل:

جمهرة الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٦٤.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس:

الصحاح في فقه اللغة. تحقيق السيد أحمد، ط. الحلبي ١٩٧٧.

المفهرم: أبو زكريا، يعقوب بن زياد:

الأيام والليالي والشهور. تحقيق إبراهيم الإبياري. ط. دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٨٥.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، ط. مكتبة التريبية بيروت ١٩٥٦.

ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم:

كتاب الأنواء في مواسم العرب. حيدر آباد ١٩٥٦.

أدب الكاتب تحقيق محيى الدين عبد الحميد. ط. التجارية ١٩٥٨.

قطرب: أبو علي، محمد بن المستنير:

كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية. تحقيق د. عاتق المضاف. ط. مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥.

القلقشندي: أبو العباس، أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا. نشر وطبع المؤسسة المصرية العامة عن المطبعة الأميرية.

المجدي: أبو العباس، محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب. ط. المطبعة الأزهرية ١٣٣٩.

المرزوقي: أبو علي، أحمد بن محمد:

الأزمنة والأمثلة. ط. حيدر آباد ١٣٣٢.

مسلم: أبو الحسن، حافظ بن الحجاج بن مسلم:

صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق عبد الله أبو زيد. ط. دار الشعب.

ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب. ط. دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.

نثر الأزهار في الليل والنهار. ط. بيروت ١٩٨٢.

الميسني: أبو الفضل، أحمد محمد بن إبراهيم:

جميع الأمثال. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى الحلبي ١٩٧٧.

السيوطي: شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب المصرية ١٩٧٦.

ثالثاً، الدوريات العربية

- مجلة ديوجين عدد ١٥ مطبوعات اليونيسكو القاهرة ١٩٧١ .
مجلة ديوجين عدد ٢١ مطبوعات اليونيسكو القاهرة ١٩٧٢ .
مجلة عالم الفكر المجلد ٨ العدد الثاني الكويت ١٩٧٦ .
مجلة عالم الفكر المجلد ١٢ العدد الرابع الكويت ١٩٨٢ .
مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ١٤ القاهرة ١٩٦٢ .

رابعاً - المراجع الأجنبية

- Bauman, Richard: Exploration in the Ethnography of speaking 1974.
Dixon, R.B. : The Building of Culture, New York, 1928.
Greenberg, Joseph: Language, Culture and Communication, California, 1971.
Hail, Edward: Silent Language, New York, 1955.
Hymes, Dell: Language in Culture and Society, New York, 1964.
Pride, J.B. : Sociolinguistics, Penguin Book, 1962.
Pulman, S.G. : Word meaning and Belief, London, 1983.
Rothwell, Dan: Interpersonal Communication, Ohio, 1975.
Saville, Muriel: The Ethnography of Communication, Oxford, 1982.

ثانياً، المصادر العربية

- الأبوصبي، حسام الدين: الزمان في الدين والفلسفة بيروت ١٩٨٢ .
د. أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ط. الأنجلو القاهرة ١٩٦٢ .
د. أيوب عبد الرحمن: اللغة بين الفرد والمجتمع ترجمة ط. الأنجلو ١٩٥٤ .
د. بدوي، عبد الرحمن: الزمان الوجودي، ط. النهضة المصرية ١٩٠٥ .
د. بشر، كمال: دور الكلمة في اللغة أولان ترجمة مكتبة الشهاب ١٩٦٤ .
بوخلخال، عبد الله: التعبير الزمني عند نحاة العرب، الجزائر ١٩٨٧ .
توفيق، إميل: الزمن في الفلسفة والعلم، ط. دار الشروق ١٩٨٢ .
الجبوري، منيرة: أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي بغداد ١٩٨٦ .
جلال، شوقي: الأصوات والإشارات كلفراتوف، ترجمة ط. الهيئة المصرية .
د. حسام الدين، كريم: التعبير الاصطلاحي، ط. الأنجلو المصرية ١٩٨٥ .
المحظورات اللغوية، ط. الأنجلو المصرية ١٩٨٥ .
التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ط. دار غريب القاهرة ٢٠٠١ .
د. حسام، تمام: العربية ميناها ومغناها، ط. الهيئة المصرية ١٩٧٢ .
المواخلي، عبد الحميد: اللغة ج. قندريس ترجمة ط. الأنجلو ١٩٥٠ .
د. المراجحي، عبد: اللغة وعلوم المجتمع ط. دار الثقافة الإسكندرية ١٩٧٧ .
د. زروق، أسعد: الزمن في الأدب، ميرهوف ترجمة سجل العرب القاهرة .
د. زيدان، محمود فهمي: من نظريات العلم المعاصر ط. دار النهضة ١٩٨٢ .
د. السعران، محمود: اللغة والمجتمع رأي ومنهج ط. طرابلس ١٩٥٨ .
الصالح، عبد الله: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام بغداد ١٩٨٢ .
لواء صبور، سعد الدين: ٣٦٥ يوما قصة التقويم ترجمة أيرون، النهضة .
د. عبد الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي ط. دار المعارف ١٩٨٦ .
د. عبد الحميد، خير الدين: الوقت عند صوفية المسلمين رسالة ماجستير .
عبد العزيز، سعد: الزمن التراجمي في الرواية المعاصرة ط. الأنجلو ١٩٧٠ .
فاضل، عبد الحق: تاريخهم من لغتهم، ط. بغداد ١٩٧٧ .
كمال، قواد: ألف باء تسمية يرتزاند، ط. ترجمة الألف كتاب القاهرة ١٩٦٥ .
د. لطفي، محمد قدير: اعرف الوقت رايي ترجمة النهضة المصرية ١٩٦٦ .
المطليبي، مالك يوسف: الزمن واللغة (الدراسة في الزمانين الصرفي النحوي) ط. الهيئة المصرية ١٩٨٦ .
تاتلينو، كارلو: علم الفلك تاريخه عند العرب، ط. روما ١٩١١ .

فهرس الدراسة

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٨ - ٧
مقدمة الطبعة الأولى	٢٢ - ٩
تمهيد	٢٦ - ٢٣

الباب الأول

الزمن والإنسان	١١٤ - ٢٧
الفصل الأول : ثنائية الزمن	٥٤ - ٢٩
الزمن والحركة	٣٦ - ٣٠
الزمن والمكان	٤٥ - ٣٧
الزمن والإنسان	٥٤ - ٤٦
الفصل الثاني : الزمن والبيئة	٨٥ - ٥٥
الزمن والنجوم والكواكب	٦٥ - ٥٥
الزمن والشمس والقمر	٧٨ - ٦٥
الزمن والحيوان والطير	٨٥ - ٧٩
الفصل الثالث : الزمن والمجتمع	١١٤ - ٨٧
الزمن ومفاهيم العجز والشدائد	١٠٠ - ٨٧
الزمن ومفاهيم التناول والتشاؤم	١٠٧ - ١٠١
الزمن ومفاهيم القيمة والقضيلة	١١٠ - ١٠٨
الزمن الأمثال والتعابير والأسماء	١١٤ - ١١١

الباب الثاني

الزمن واللغة

٢٠٩ - ١١٥	الفصل الأول : ألفاظ الزمن المبهمة
١٣٤ - ١١٧	الزمن ، الدهر ، الأبد ، الأزل
١٢٣ - ١١٩	الوقت ، الحين ، الأوان ، العهد
١٢٧ - ١٢٣	المدة ، الملاوة ، الفترة ، الطور
١٢٩ - ١٢٧	العمر ، الأجل ، الأمة ، القرن
١٣٥ - ١٢٩	الفصل الثاني : ألفاظ الزمن المحدد
١٧٨ - ١٣٥	السنة ، العام ، الحول ، الحجة
١٣٩ - ١٣٦	ألفاظ القصول الأربعة
١٤٦ - ١٤٠	ألفاظ الشهور وأسمائها
١٥١ - ١٤٧	ألفاظ الأسبوع وأيامه
١٥٨ - ١٥٢	ألفاظ اليوم وساعاته
١٧٨ - ١٥٩	الفصل الثالث : وعائية الزمن ألفاظ وتعبيرات
٢٠١ - ١٧٩	زمانية الحدث ألفاظ وتعبيرات
١٨٦ - ١٨٠	حدثية الزمن ألفاظ وتعبيرات
٢٠١ - ١٨٧	الفصل الرابع : دلالة الزمن والسياقات اللغوية
٢١٥ - ٢٠٣	ظروف الزمن المبهمة
٢٠٦ - ٢٠٤	الزمن الصرفي والنحوي
٢٠٩ - ٢٠٧	فهرس الألفاظ والتعبير الدالة على الزمن
٢١٥ - ٢١٠	المصادر والمراجع
٢١٩ - ٢١٦	

المكتبة اللغوية

* صدر منها للمؤلف :

- ١ - أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ط الثالثة مكتبة النهضة المصرية
- ٢ - الإشارات الجسمية ط الثانية دار غريب
- ٣ - دراسة لغوية لاستعمال أعضاء الجسم في التواصل ط الأولى دار غريب
- ٤ - التحليل الدلالي جزءان ط الأولى دار غريب
- ٥ - إجراءاته ومناهجه
- ٦ - التعبير الإصطلاحي ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية
- ٧ - دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته وأماطه التركيبية ط الثانية مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢
- ٨ - الدلالة الصوتية دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل ط الثانية دار غريب
- ٩ - الزمن الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية ط الأولى مكتبة دار الرسالة
- ١٠ - علوم العربية ثقاتها ومصادرها ط الأولى مكتبة دار الرسالة
- ١١ - الفصائل اللغوية أصولها وفروعها ط الأولى مكتبة دار الرسالة
- ١٢ - اللغة والثقافة ط الثانية دار غريب
- ١٣ - دراسة أنشور لغوية لألفاظ وعلاقات القراءة في الثقافة العربية ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية
- ١٤ - المحظورات اللغوية دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ ط الأولى مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٢
- ١٥ - العربية تطور وتاريخ ط الأولى مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٢
- ١٦ - معجم اللسانيات الحديثة بالاشتراك ط الأولى مكتبة لبنان - بيروت

* تحت الطبع :

- ١ - دلالة الأفعال
- ٢ - ظواهر لغوية في العربية